



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



## مقاومة منطقة متليلي الشاذلية للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851 - 1908م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

الأستاذ المشرف:

د. محمد الزين

إعداد الطالب:

الشيخ لكحل

لجنة المناقشة

أ.د/ حنيفة هلايلي. أ.ت.ع/ جامعة جيلالي ليابس.....رئيسا

د/ الزين محمد. أستاذ محاضر أ/ جامعة جيلالي ليابس.....مشرفا ومقررا

أ.د/ بوسليم صالح. أ.ت.ع/ جامعة غرداية.....عضوا مناقشا

د/ ميسوم ميلود. أستاذ محاضر أ/ جامعة الشلف.....عضوا مناقشا

د/ بلحاج محمد. أستاذ محاضر أ/ جامعة وهران1.....عضوا مناقشا

د/ زايدى عزالدين. أستاذ محاضر أ/ جامعة جيلالي ليابس.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



## مقاومة منطقة متليلي الشاذلية للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851 - 1908م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

الأستاذ المشرف:

د. محمد الزين

إعداد الطالب:

الشيخ لكحل

لجنة المناقشة

أ.د/ حنيفة هلايلي. أ.ت.ع/ جامعة جيلالي ليابس.....رئيسا

د/ الزين محمد. أستاذ محاضر أ/ جامعة جيلالي ليابس.....مشرفا ومقررا

أ.د/ بوسليم صالح. أ.ت.ع/ جامعة غرداية.....عضوا مناقشا

د/ ميسوم ميلود. أستاذ محاضر أ/ جامعة الشلف.....عضوا مناقشا

د/ بلحاج محمد. أستاذ محاضر أ/ جامعة وهران1.....عضوا مناقشا

د/ زايدى عزالدين. أستاذ محاضر أ/ جامعة جيلالي ليابس.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1420 هـ

قال الله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

(الحجرات، 13)

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِجِينَ  
حَرْجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ  
عَلَى الْقَاعِجِينَ أَجْرًا عَظِيمًا حَرْجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

(النساء، 95-96)

***« Les chaamba aiment les chants, la musique, les femmes, la poudre et, pardessus tout, l'indépendance. »***

Le Lieutenant-Colonel Daumas. 1845.

***« La conquête d'un peuple brave et compte autant de combattants qu'il y a d'hommes en état de porter les armes, est hérissée de difficultés et de périls. »***

Le Maréchal Rondon. 1864

***« Les chaamba sont un peuple de chefs et de guerriers; ils ne peuvent que commander ou se battre. »***

Y. Régnier. 1933

## الإهداء

إلى روح الأبوين الطاهرين اللذين رباني على حب العلم ومجالسة

العلماء، تغمرهما الله برحمته الواسعة.

إلى من تعلمت منه أن كثرة العلم لا تفسد مع قلة الأوب كما أن كثرة

الملح لا تنفع مع قلة الرقيق، إلى أستاوي الأول وشمخي الأكبر، الشيخ

محمدر الزهبي بن مولاي علي حفظه الله.

إلى زوجتي "العالية" وأبنائي: رباب، محمدر الزهبي، رميساء، آلاء، ولينة.

إلى أرواح كل شهراء منطقة متليلي الشعانبة الذين رونا برمائهم

وتضحياتهم مختلف مناطق جزائرننا الحبيبة رعمهم الله جميعا.

إلى كل هؤلاء أهري شمرة هذا الإنجاز العلمي المتواضع.

الشيخ للحل

## شكر وتقدير

الشكر لله أولاً وأخيراً، فهو الذي وفقني وسرّو خطاي ومنحني القوة والصبر للإتمام هذا العمل.

لكن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فيقتضي المقام أن أقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل أساترتي ومشايخي الذين ساهموا في تعليمي وتربيتي منذ نعومة أظفاري إلى اليوم، من باب " من علمني حرفاً صرت له عبداً ". كما أقدم خالص شكري إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد الزين، الذي أشرف على هذا البحث وتعهده بالرعاية والمتابعة طيلة مراحل انجازه.

كما أشكر كل من ساعدني في انجاز هذا العمل خاصة مسؤولو وعمال مراكز الأرشيف داخل وخارج الوطن، والذين لقينا لديهم صروراً رحبة وأجواءً ممتعة للبحث والدراسة، ويأتي في مقدمتهم أُرشيف أليكس أون بروفانس بفرنسا، الأُرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء بتركيا، أُرشيف الزاوية الشيخية البوعمامية بالمغرب وأُرشيف ولاية ورقلة.

وأخيراً، فإنّ الشكر الخالص موصولٌ لكلّ زملاء والأصدقاء الذين زوّوني بما توفر لديهم من وثائق أو مصادر أثريت بها موضوع دراستي؛ خاصة الدكتور لخضر عواريب.

الشيخ لكلل

# قائمة المختصرات

## 1- باللغة العربية:

أ. ب. م: أرشيف بلدية متليلي الشعانية

أ. خ.: أرشيف خاص

أ. ز. ش. م: أرشيف الزاوية الشيخية بالمغرب

أ. م. ع: أرشيف المسجد العتيق بمتليلي الشعانية

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

ج: جزء.

س. ح: سِجِلّ الحبوس

س. ع: سِجِلّ العشرة

ش. و. ن. ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ص ص: صفحات متتالية.

ص: صفحة.

ع: عدد.

مخ: مخطوط.

وق: ورقة.

## 2- باللغة الأجنبية:

A. E. S. C: Annales, Économies, Sociétés, Civilisations.

A. O: Archives de la willaya d'Ouargla

A.N.E.P: Agence Nationale d'Édition et de Publication.

ANOM: Archives Nationales d'Outre Mers

B.L.S: Bulletin de Liaison Saharienne

B.M.S.A.P: Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris

CCDS: Centre Culturelle et de Documentation Saharienne

Cie: Compagnie.

CNRS: Centre National de la Recherche Scientifique.

f: feuille.

F: Fond Ministériel

ff: feuilles successives

Fscl: Fascicule

GGA: Gouvernement General d'Alger

Introd.: Introduction.

Manus.: Manuscrite.

M<sup>gr</sup>: Monseigneur

MI: Ministère de l'Intérieur.

MMSH: Maison Méditerranéenne des Sciences et de l'Homme.

N: Numéro.

p: page.

pp : pages successives.

Pub: Publication.

R.A: Revue Africaine.

R.O.M.M: Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée.

S: Série

T: Tome.

Trad: Traduction.

UNESCO: United Nations Educational Scientific and Cultural Organization

V: Volume.

# مقدمة

إنّ التاريخ مرآة الشعوب والأمم، تعكس أجدادها وتوثق مقوماتها وتطوّر حياتها، فهو ينقل للأبناء إنجازات الآباء ونجاحاتهم، وينبّه الأحفاد إلى أخطاء الأجداد وزلاتهم. فيفخر هؤلاء ويسلكوا سبيل الاقتداء، ويقف أولئك لأخذ العبرة ويعملوا على تصويب الأخطاء.

كما أنّ الأمم تفخرُ ببطولات وشجاعة الأجداد في الدفاع عن حياض هذا الوطن، وبإنجازات الأجداد في بناء وتشديد حضارة ذلك الوطن، فتجعل من تاريخ سيرهم انجيلا تقرأه الأجيال المتلاحقة، مفتخرةً بهؤلاء، متأسيةً بأولئك، لتظلّ راية المقاومة معقودةً، ومقومات الحضارة محفوظةً، جيلاً بعد جيل.

وتاريخ الجزائر مرصّع بصفحات مشرقة لبطولات أبنائها في الجهاد والفداء، ولإنجازاتهم في الحضارة والبناء، عبر تاريخ الجزائر الطويل. وتبقى فترة الاستعمار الفرنسي عُرةً في جبين تاريخ الجزائر، لما أظهره أبناء الجزائر خلالها من شجاعة واستماتة في الدفاع عن أرضهم، اعترف بصلابتها العدو قبل الصديق.

فمنذ توقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام في 5 جويلية سنة 1830، دخلت القوات الفرنسية الغازية مدينة الجزائر معلنة نهاية العهد العثماني فيها. وبعد أخذ ورد قررت الحكومة الفرنسية أنّ أرض الجزائر هي أرض محتلة وينبغي توسيع هذا الاحتلال إلى كافة مناطق القطر الجزائري.

أخذت القوات الفرنسية توسع احتلالها نحو المدن الساحلية. ولما بدأت تتوغل في المناطق الداخلية اصطدمت بمقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق، اللتين ظلت تواجههما طيلة حوالي عشرين سنة، وكان الجنوب الجزائري حينها ممتنعاً عن النفوذ الفرنسي.

وبعد القضاء على المقاومين سنة 1847، وجهت أنظارها نحو المناطق الجنوبية، فكانت أول مواجهة مع أهالي الجنوب الجزائري في مقاومة الزعاطشة سنة 1849. ثم مقاومة محمد بن عبد الله التي تعتبر أهم وأكبر مواجهة مع سكان الجنوب الشرقي للجزائر.

ويبدو أنّ منطقة متليلي الشعابنة لم تتخلّف عن ركّب هذا النضال؛ فقد شارك أبناؤها في مقاومة هذا المستعمر حتى قبل أن تصل قوّاته إلى منطقتهم؛ وساهموا في معظم المقاومات والثورات الشعبية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

ورغم رصد النضال لأبناء المنطقة، إلا أنّها لم تحظَ لحد الآن بدراسة مستقلة تبرز مظاهر مقاومة سكانها للاستعمار الفرنسي، ولهذا فقد رأيت أن أتقدم بهذه الدراسة الموسومة بـ **مقاومة منطقة متليلي الشعابنة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908**.

### - دواعي ودوافع اختيار الموضوع:

- هناك جملة من الأسباب جعلتني أختار موضوع هذه الدراسة أوجزها في الآتي:
- الرغبة الشخصية؛ كوني أحد أبناء المنطقة، في إبراز الدور الذي قام به سكان منطقة متليلي الشعابنة في تاريخ الجزائر المعاصر.
  - أداء بعض الواجب والدّين تجاه شهداء ومقاومي المنطقة الذين روّوا بدمائهم ربوع جزائرنا الحبيبة، وذلك ليظل تاريخهم نبراسا لنا نحن جيل الاستقلال، وللأجيال التي تأتي بعدنا.
  - رغبتني في المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر، خاصة أحداث المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة.

### - أهداف الدراسة:

- أما الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة فهي عديدة لعل أهمّها:
- محاولة ملء الفراغ الذي تركه إهمال الدراسات الأكاديمية في كتابة تاريخ المنطقة.
  - المحافظة على الميراث التاريخي الذي أدته المنطقة.
  - إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية بدراسة تتناول مقاومة الاستعمار الفرنسي في إحدى مناطق الجنوب الجزائري.

### - الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

تنحصر هذه الدراسة في إطار زمني ومكاني محدّين، ففي الإطار الزمني تناولت بالدرس النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ من سنة 1851م، إلى غاية سنة 1908م.

أما المعلم الزمني الأول؛ فهو أنّ سنة 1851م شهدت اندلاع مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وانضمام شعانية متليلي له في نفس السنة.

أما المعلم الزمني الثاني؛ أي سنة 1908م، فهو يمثل السنة التي توفي فيها الشيخ بوعمامة بالمغرب وتوقف مقاومته، وعودة من كان معه من أبناء المنطقة إلى الجزائر.

ولدراسة هذه الفترة، فقد قمت بتقسيمها إلى خمسة أقسام؛ بحيث جعلت بين هذين المعلمين الزمنيين ثلاثة تواريخ مفصلية، وهي سنوات 1864، 1870، و1881.

فسنة 1864م هي السنة التي شهدت انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ من منطقة متليلي، أما سنة 1870 ففيها دخل الثائر بوشوشة إلى متليلي، أما سنة 1881 فكانت سنة اندلاع ثورة الشيخ بوعمامة، وانضمام شعانية متليلي لثورته.

أما الإطار المكاني فهو يتمثل في منطقة متليلي الشعانية خاصة؛ وبعض المناطق التي ذهب إليها أبناء المنطقة مشاركين في مقاومة أو ثورة، مثل منطقة الجنوب الشرقي، وبعض مناطق الجنوب الغربي وحتى على الحدود المغربية.

### - الإشكالية:

إنّ الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تتعلق بالبحث للإجابة عن التساؤل التالي: ما مدى مقاومة منطقة متليلي الشعانية لقوات الاحتلال الفرنسي؟

وتتفرع عنه عدة إشكالات فرعية وهي:

- هل قاوم سكان منطقة متليلي الشعانية الاستعمار الفرنسي؟
- وما مظاهر مساهمتهم في المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر؟
- وما هي ردود أفعال الاستعمار على مقاوماتهم؟
- وما أثر مقاومتهم على التوسع الاستعماري في الجنوب؟

## – المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت خلال بحثي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على عرض الظواهر التاريخية من حيث أهميتها وتأثيرها، وتحليل الأحداث وأبعاد تفاعل الصراع بين الاستعمار وسكان المنطقة، وتفسير التطورات واستخدام النتائج المترتبة عنها، قصد الوصول إلى معرفة الدوافع الحقيقية لاحتلال منطقة متليلي الشعانية ومساهمة أهاليها في التصدي لقوات الاحتلال.

كما استعنت بالمنهج الوصفي الذي ساعدني على التفسير الموضوعي والدقيق للموضوع.

## – الدراسات السابقة:

هناك الكثير من المؤلفات التي تناولت مقاومة سكان الجنوب للاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، إلا أننا لا نجد المؤلفات التي تتحدث عن مقاومة الشعانية.

وباستثناء تقرير باساجيه (Passager) والمعنون بـ: متليلي الشعانية دراسة تاريخية جغرافية وطبية (Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale) والذي كتبه لفائدة معهد باستور بالجزائر سنة 1958م، فإننا لا نجد من هذه الدراسات من يُفرد الحديث عن تاريخ منطقة متليلي الشعانية. كما أنّ كل هذه الدراسات مكتوبة من قبل الفرنسيين وبالتالي فهي تعبر عن وجهة نظر المدرسة الاستعمارية.

وقد نُشر هذا التقرير في أرشيف معهد باستور بالجزائر في العدد الرابع، ديسمبر 1958، من المجلد السادس والثلاثين، والذي جاء في أربع وستين صفحة؛ من الصفحة 508 إلى الصفحة 572، وقد قسّم باساجيه دراسته إلى خمسة فصول، وجاءت على التوالي: الأسطورة والتاريخ، الجغرافيا، السكان، الموارد، والدراسة الطبية. إضافةً إلى مقدمة وخاتمة وقائمة البيبليوغرافيا.

وقد تكلم في الفصل الأول عن مقاومة شعانية متليلي للتوسع الاستعماري في الجنوب، فذكر مساهماتهم في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، وفي ثورات أولاد سيدي الشيخ، بوشوشة، والشيخ بوعمامة، لكنه ذكر هذه المساهمات باختصار؛ ذلك أنه جمعها في أقل من صفحتين. لكنه في المقابل توسع في الدراسة الاجتماعية والطبية.

كما أنّ هناك تقريراً آخر غير منشور للدكتور إيمي (A. Emé) موسوماً ب: دراسة حول متليلي (Monographie sur Metlili)، وقد وجدت نسخة مرقونة من هذا التقرير في المركز الثقافي للوثائق الصحراوية بغارداية، مؤرشفة تحت رقم (cote) 01920007.

وقد عمل الدكتور إيمي ثلاث سنوات في متليلي كطبيب عسكري من سنة 1954 إلى غاية 1957، وحسب ما ورد في الورقة رقم 8 فإنّ تقريره هو خلاصة فهمه لشعابنة متليلي وتعامله معهم خلال مدة إقامته في متليلي، وقد كتبه ليستفيد منه الضباط والأطباء الذين سيعملون في متليلي مستقبلاً، حسب زعمه.

وقد احتوى التقرير ثلاثة وأربعين ورقة، مكتوبة بالآلة الرافنة وعلى وجه واحد من الورقة، بعضُ الكلمات والأسطر تكاد تكون ممسوحة، كما أنه احتوى بعض الأخطاء الكتابية. وقسمه الدكتور إيمي إلى عدة عناوين؛ فقد درس فيه الجغرافيا والغطاء النباتي؛ خاصة الأعشاب الطبية المنتشرة في منطقة متليلي الشعابنة، بينما أفرد أغلب دراسته إلى التركيبة السكانية والعادات وتقاليد الزواج والدفن، واهتم بأوضاع المرأة والطفل... وغيرها من المواضيع الاجتماعية. لذلك، لم نجد في هذه الدراسة أية إشارة، إلى تاريخ المنطقة؛ خاصة تاريخ المقاومة خلال القرن التاسع عشر.

### – الخطة المعتمدة في الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع، فقد رأيت أن أقسّمه إلى خمسة فصول:

فالفصل الأول الذي عنوانه بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة متليلي الشعابنة خلال القرن التاسع عشر؛ عرّفت فيه بمنطقة متليلي الشعابنة واستعرضت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان مساهمة منطقة متليلي الشعابنة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله واحتلال متليلي (1851-1862)، وقد تطرقت فيه إلى مساهمة منطقة متليلي الشعابنة مقاومة الاحتلال الفرنسي قبل سنة 1851، كما استعرضت بإسهاب مساهمة شعابنة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله. وكذلك للظروف التي أحاطت باحتلال مدينة متليلي الشعابنة.

بينما خصصت الفصل الثالث لابرار دور منطقة متليلي الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1880)؛ والذي حاولت من خلاله تتبع مواقف ومساهمة شعانية متليلي في هذه الثورة، وكذلك رد فعل الاستعمار الفرنسي.

أما الفصل الرابع فعنوانه بدور منطقة متليلي الشعانية في ثورة بوشوشة وفي مقاومة النشاط التبشيري للآباء البيض (1870-1881)، وقد استعرضت فيه نشاط بوشوشة في المنطقة وموقف شعانية متليلي من مقاومته، إضافة إلى محاولة الإحاطة بنشاط الآباء البيض في المنطقة ومقاومة أبناء المنطقة لهذا النشاط.

وجاء الفصل الأخير من هذه الدراسة موسوماً بدور منطقة متليلي الشعانية في ثورة بوعمامة (1881-1908)؛ حاولت أن أتبع من خلاله نشاط أبناء المنطقة ودورهم في هذه الثورة.

أما الخاتمة، فقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع.

### - الصعوبات المعترضة:

وأثناء إنجازي لهذه الأطروحة اعترضتني بعض الصعوبات؛ منها ندرة توفر الوثائق التي تتحدث عن مقاومة شعانية متليلي، خلال الفترة موضوع الدرس، في المكتبات والمراكز الأرشيفية في الجزائر، وكذلك ضياع أغلب الوثائق المحلية التي كانت في خزانة المسجد العتيق بمدينة متليلي الشعانية، وعدم تعاون البعض ممن يُظنّ بأنهم يحتفظون ببعض هذه الوثائق، فكان لزاماً علي أن أتوجه إلى الأرشيفات خارج الوطن في فرنسا خاصة، وكذلك في تركيا والمغرب.

وبما أنّ أغلب الوثائق والمصادر المعتمدة مكتوبةً باللغة الفرنسية، فقد تحتم علي بذل كثير من الجهد والوقت في سبيل ترجمتها لغرض فهم معانيها وتحليل مضمونها.

### - عرض نقدي لأهم مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمد الباحث في اعداد هذه الرسالة على وثائق ومؤلفات مخطوطة وأخرى مطبوعة ومقالات منشورة، وفيما يلي استعراض لأهمها:

## 1- الوثائق الأرشيفية:

تعتبر الوثائق الأرشيفية من أهم المصادر التاريخية، وكثيرا ما يطلق عليها الأصول أو المصادر الأولى، ونظرا لأهمية الموضوع، فقد حاولت الاعتمادَ بشكل كبير على الوثائق الأرشيفية، وهي تتنوع ما بين التقارير العسكرية والمراسلات الإدارية الصادرة من القادة العسكريين العاملين في المنطقة أو قادة العمالات أو حكام الجزائر أو حتى المسؤولين في باريس، وكذلك وثائق أرشيفية مختلفة. وقد زرت بعض مراكز الأرشيف، داخل وخارج الوطن.

فمن الأرشيفات داخل الوطن زرت المركز الوطني للأرشيف ببيير خادم، أرشيف ولاية ورقلة، أرشيف ولاية غارداية، وأرشيف المركز الثقافي للوثائق الصحراوية CCDS، المعروف بمركز الآباء البيض بغارداية، كما اطلعت على خزانة المسجد العتيق بمدينة متليلي الشعابنة، وأرشيف بلدية متليلي الشعابنة.

أما خارج الوطن، فقد زرت أرشيف ما وراء البحار بمدينة أيكس أون بروفانس بفرنسا، والذي اعتمدت عليه بنسبة كبيرة؛ إذ عثرت فيه على ثروة هامة من الوثائق وظفتها في دراستي، كما زرت الأرشيف العثماني باستانبول بتركيا، واستفدت من أرشيف الزاوية البوعمامية الشيخية في وجدة بالمغرب.

### أ- وثائق أرشيف ما وراء البحار ANOM:

يعتبر الأرشيف الوطني لما وراء البحار أكبر أرشيف فرنسي، ومن أكبر الأرشيفات العالمية؛ إذ يحتوي على الكثير من أرصدة السجلات الإدارية والسجلات المختلفة لأكثر من ثلاثة قرون من التاريخ، وتنقسم إلى مجموعتين كبيرتين:

- أرصدة أمانات الدولة والوزارات المسؤولة عن المستعمرات الفرنسية، من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين.

- الأرصدة المنقولة من المستعمرات السابقة ومن الجزائر عند الاستقلال بين 1954 و1962، باستثناء أرشيف الإدارة المتبقي في البلدان المعنية.

بالإضافة إلى ذلك هناك الأرشيفات الخاصة، وأرشيفات المؤسسات المتعلقة بالمستعمرات، ويحتوي الأرشيف كذلك على مكتبة متخصصة ومكتبة خرائط ومكتبة صور.

ونجد في أرصدة الوزارات مجموعتين رئيسيتين خاصتين بإدارة المستعمرات، الأولى خاصة بالوثائق العامة للمستعمرات، والثانية خاصة بوثائق حروب المستعمرات. وداخل أرصدة وزارة المستعمرات نجد الوثائق الصادرة من مختلف الوزارات والمتعلقة بالجزائر، وهما مجموعتان:

– وزارة الداخلية: F80 – وزارة الشؤون الجزائرية: F81

وقد عثرت على الكثير من الوثائق المتعلقة بموضوع هذه الدراسة في المجموعة الأولى F80 واستفدت من العلب الأرشيفية: 1679، 1682، 1683، 1690، 1695، 1696 التابعة لهذه المجموعة.

كما استفدت من مجموعة الحكومة العامة للجزائر GGA، خاصة السجل رقم 53II/17، والسجل رقم 50 II/261. إضافة إلى بعض الوثائق الميكروفيلمية؛ خاصة البكرة رقم: 18 MI 91... وغيرها من العلب الأرشيفية.

### ب- أرشيف الزاوية البوعمامية الشيخية:

الزاوية البوعمامية الشيخية هي أكبر زاوية شيخية بالمغرب، مقرها بعين بني مطهر ولاية وجدة. وقد أسسها الشيخ بوعمامة بعد أن لجأ إلى المغرب أواخر القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين توارث أبناؤه وأحفاده مشيختها، وهي الآن تحت إشراف الشيخ سي حمزة بوعمامة. ولها مقرات في شكل زوايا محلية تابعة لها في كل من: وجدة، المهاية ( مشرع لعمور)، فاس، الدار البيضاء والرباط؛ حيث توجد زاوية ماثلة تعود إلى عهد سيدي الشيخ.

تضم الزاوية مسجدا كبيرا ومدرسة قرآنية لتعليم القرآن الكريم والتجويد والفقهاء والحديث الشريف... وبها أيضا متحف ومكتبة. وبما أن الزاوية كانت مقر زماله الشيخ بوعمامة أثناء وجوده بالمغرب فهي تحفل بالكثير من المخطوطات والوثائق الأرشيفية، من مراسلات وعقود البيعة للشيخ بوعمامة وعقود هبات وتبرعات.. وغير ذلك.

إلا أنّ الرصيدَ الأرشيفيَّ للزاوية لازال غير مستغل بسبب عدم فهرسته، وبسبب التحفظ لدى القيّمين على الزاوية من إتاحتها للعامة. وهو سبب تشترك فيه مع معظم زوايا الطرق الصوفية سواءً في الجزائر أو في المغرب، وقد يكون سبباً وجيهاً، خشيةً وقوع هذه الوثائق في أيدي العابثين أو غير المتخصصين فيستعملونها في ما يضر بالاسلام أو المسلمين.

ورغم ذلك فهم متعاونون إلى حد ما مع المؤرخين والباحثين المتخصصين، وهذا ما لمسناه منهم، حين رحبوا بنا، وجادوا علينا ببعض الوثائق التي استفدنا منها في دراستنا، منها وثيقة الصلح والأخوة بين الشعانبة وقبائل البرابير المغربية والتي عقدها بين يدي الشيخ بوعمامة بهدف التوحد خلفه ضد المستعمر الفرنسي، وقد تضمنت ذكر أسماء الكثير من أعيان شعانبة متليلي الذين كانوا مع الشيخ بوعمامة في المغرب، وكذلك بعض وثائق الهبة والتبرعات لزاوية بوعمامة مثل عقد الهبة للمدعو "الفنيش"، إضافة إلى وثائق أخرى.

### ج- خزانة المسجد العتيق بقصر متليلي:

كان المسجد العتيق بقصر متليلي منذ تأسيسه يشكل المؤسسة الدينية والعلمية والإدارية لشعانبة متليلي، فقد كانت تعقد فيه الحلق والندوات العلمية، كما كان يمثل دار ندوة لمجلس جماعة متليلي أو جماعة العشرة؛ حيث تعقد فيه الجلسات التي تخرج منها بقرارات تهم البلدة خاصة فيما يتعلق بإصلاح ذات البين أو بإعلان الحرب أو بمبايعة تائر أو مقاوم أو انجاد شعانبة المنيع أو ورقة أو غيرها من القضايا، وكانت تسجل تلك القرارات في دفاتر وسجلات، توضع في خزانة المسجد العتيق.

وكانت هذه السجلات إلى وقت قريب محفوظةً في خزانة المسجد العتيق، وهي تنقسم إلى ثلاثة سجلات رئيسية: سجل الأنساب الذي كانت تسجل فيه ألقاب كل العائلات والقبائل التي انضمت لشعانبة متليلي أو سكنت البلدة، سجل الأوقاف؛ أين كانت تجرّد فيه كل الأموال والعقارات والهبات التي أوقفها المحسنون سواء داخل البلدة أو خارجها على المسجد العتيق، وكذلك سجل العشرة؛ وهو السجل الذي كانت تسجل فيه قرارات جماعة العشرة، ويجوي الكثير من الأحداث السياسية التي عرفتها البلدة وموقف شعانبة متليلي منها. لكننا لم نعثر في هذا

الأرشيف سوى على سجل الأوقاف، وبعض الوريقات المتناثرة من السجلين الآخرين. وهذا ما حال دون استفادتنا من هذا الأرشيف.

كما استفدنا من بعض الأرشيفات الخاصة؛ حيث زوّدني بعضُ الأشخاص مشكورين بوثائقَ وطلبوا مني عدم ذكر أسمائهم، لذلك فقد رمزت لأرشيفاتهم ب: أ. خ.

## 2- المصادر:

اعتمدت في دراستي هذه على جملة من المصادر؛ أغلبها باللغة الفرنسية، وما يلاحظ أنّ المصادر العربية المحلية قليلة، والذين كتبوا لم يقدموا لنا الكثير. أما المصادر الفرنسية فهي متنوعة ما بين مؤلفات الرحالة ومذكرات الضباط والمستكشفين وغيرهم. ومن أهمّ هذه المصادر نجد:

. بليدي ابراهيم بن يوب: قانون الأهالي وتطبيقه على الميزابيين

**Blidi Brahim Ben Youb: De l'Indigénat son application aux Mozabites**, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Philippeville 1903.

يعتبر كتاب بليدي المصدر المحلي الوحيد الذي اعتمدت عليه بشكل كبير في هذه الدراسة، وهو في الأصل عريضة تقدم بها مجموعة من أعيان بني ميزاب؛ من منطقة ميزاب وخارجها، تتضمن هذه العريضة اعتراضا على قرار الحكومة الفرنسية تطبيق قانون الأهالي على الميزابيين، وقد حاول المعترضون، وعلى رأسهم التاجر الميزابي من منطقة عنابة، ابراهيم بن يوب بليدي، من خلال هذه العريضة، تذكير المسؤولين في باريس بأنّ منطقة ميزاب لها وضع خاص، وهم لا يوافقون على تطبيق قانون الأهالي على سكانها، وقد قدّم هؤلاء من خلال هذا الكتاب عدة حجج ودلائل لشرح وجهة نظرهم.

وقد حوى هذا الكتاب الكثير من المراسلات التي كانت تتم بين عدون بن باسعيد وكيل بني ميزاب في بني يزقن وضباط ورؤساء المكتب العربي بالأغواط خلال الفترة من 1855 إلى غاية 1876؛ حيث بلغ عددها حوالي 84 مرآسة؛ وما يلاحظ أنّ كلّ المراسلات كانت في اتجاه واحد، أي أنّ عدون بن باسعيد كان هو المستقبِل، ولم يرد فيها ردود عدون. وقد حوت هذه المراسلات الكثير من الأحداث في المنطقة خلال هذه الفترة.

وقد وجدت في هذا الكتاب الكثير من المعلومات حول تاريخ المنطقة خلال القرن التاسع عشر؛ بالأخص فيما يتعلق بأحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ والشريف بوشوشة، وموقف شعابنة متليلي منهما.

وقد عثرت على نسختين لهذا الكتاب؛ واحدة باللغة الفرنسية والأخرى باللغة العربية، وقد قارنت بين النسختين فوجدتهما متطابقتين في المتن ولا فرق بينهما، إلا أنني اعتمدت على النسخة الفرنسية لأنني وجدتها أصلية وكاملة من صفحة الواجهة إلى آخر الكتاب، بينما وجدت صورة طبق الأصل عن النسخة العربية، لكنها منقوصة من صفحة الواجهة.

. دوفرييه هنري: مسار الرحلة من متليلي إلى حاسي بركاوي ومن المنيعه إلى متليلي

**Deverier Henry : Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili/In/ Bulletin de la Société de Géographie, Librairie de Ch. Delagrave, Paris, S6, T2, Juillet- Décembre 1876.**

هنري دوفرييه هو مستشرق ورحالة فرنسي، قام بأول رحلة له إلى الأغواط سنة 1857، وفي يوم 21 جوان 1859 وصل دوفرييه إلى غارداية ومنها إلى متليلي لعله يلتقي ببعض التوارق ليساعده على زيارة بلادهم، وقد غادر متليلي في 28 أوت ليصل يوم الفاتح سبتمبر 1859 إلى المنيعه، والتي هرب منها عن طريق آخر نحو الغرب. وبذلك تعرف على الطريق الشرقي والغربي بين متليلي والمنيعه، وهو ما دونه في مقاله: "مسار الرحلة من متليلي إلى حاسي بركاوي ومن المنيعه إلى متليلي"، والذي نشرته الجمعية الجغرافية الفرنسية في دوريتها سنة 1876.

وقد جاء في مقاله وصفاً لكل المناطق التي مر بها من متليلي إلى المنيعه مروراً بحاسي بركاوي، كما تضمن وصفاً جغرافياً وطبوغرافياً لمنطقة متليلي الشعابنة، إضافة إلى وصفه للحياة العامة في المدينة بعد مكوثه فيها أياماً سنة 1859.

. بول صوليهيه: رحلة بول صوليهيه من مدينة الجزائر إلى واحة عين صالح

**Paul Solleillet: Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, Typographie et Lithographie. A Jourdan, Alger, 1875.**

بول صولبييه: هو تاجر ورحالة فرنسي، كان شديد التأثير بالمستكشفين والرحالة الذين تنقلوا في المناطق الصحراوية؛ خاصة دوفرييه. كما عرف بحماسة الشديد لغزو الجنوب بهدف التحكم في الطرق التجارية الصحراوية، قام برحلة استكشافية من متليلي نحو عين صالح سنة 1874 لفائدة غرفة التجارة بالجزائر، وقد وجد مساعدة كبيرة من شعانة متليلي في هذه الرحلة التي أسبغ عليها الطابع التجاري.

وقد دوّن مسار هذه الرحلة في هذا الكتاب؛ الذي حوى الكثير من المعلومات التاريخية حول منطقة متليلي الشعانة، وقد استفدت من هذا الكتاب في التعرف على بعض الشخصيات الفاعلة في مجتمع متليلي في تلك الفترة؛ مثل القايد سليمان بن مسعود والقايد أحمد بن أحمد... وغيرهما، إضافة إلى الوضع الأمني والتجاري للمنطقة، والطرق التجارية الصحراوية التي كان يسلكها شعانة متليلي وغير ذلك.

. تريملي كورناي: الفرنسيون في الصحراء.

**Trumelet Corneille: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885.**

العقيد تريملي كورناي (1817-1892) هو أحد الضباط الفرنسيين الذين انتسبوا إلى القوات الفرنسية التي غزت شمال الصحراء مطلع خمسينات القرن التاسع عشر؛ فقد كان ضابطاً صفّاً تحت إمرة العقيد دوريو (Durrieu)، ورغم اشتغاله في الحملات العسكرية إلى أنه كان يدوّن الكثير من الملاحظات والمعلومات التي شاهدها بنفسه أو جمعها من الأهالي، وبما أنه كان يحسن التكلم اللغة العربية بدرجة مقبولة، فقد سهل عليه التواصل مع الأهالي الجزائريين. كما أنه أصبح بعد ذلك مراسلاً للجمعية التاريخية الجزائرية. وقد دوّن كل تلك الملاحظات والمعلومات في كتابه "الفرنسيون في الصحراء"؛ الذي اطلعت على طبعته الرابعة والتي طبعت سنة 1885، بينما صدرت أول طبعة منه سنة 1862.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يؤرخ إلى التوسع الاستعماري في شمال الصحراء الجزائرية بدءاً باحتلال الأغواط ثم متليلي ثم ورقلة، وقد شارك تريملي في أغلب تلك الحملات، وقد استفدت من هذا الكتاب في التأريخ لدور شعانة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد

الله، وكذلك للحملة العسكرية الأولى التي دخلت متليلي في جانفي سنة 1854، والتي كان تريملي ضابطا فيها.

. تريملي كورناي: تاريخ الثورة في جنوب محافظة الجزائر سنة 1864.

Trumelet Corneille: **Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879.

أما هذا الكتاب، فهو يؤرخ لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864، وقد قسمه تريملي إلى جزأين صدر الجزء الأول منه بهذا العنوان سنة 1879، واحتوى ظروف اندلاع الثورة وأحداثها الأولى حتى مقتل سي سليمان بن حمزة، بينما صدر الجزء الثاني منه سنة 1884 لكن تحت عنوان مختلف قليلا: "تاريخ ثورة أولاد سيدي الشيخ (جنوب الجزائر) من 1864 إلى 1880" (**Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880**) ، وهو يؤرخ لمسار الثورة بعد استلام سي محمد لوائها إلى غاية سنة 1880.

ونحن لا نعلم إن كان تريملي قد شارك في أحداث هذه الثورة، إلا أنه كان معاصرا لها، ويبدو أنه كان مطلعاً على الكثير من تفاصيلها؛ نظرا لكثرة المعلومات والأحداث التي صاغها في هاذين الكتابين. وقد اتبع نفس المنهج الذي سلكه في تأليف كتابه الأول "الفرنسيون في الصحراء"؛ من حيث التعمق في تفاصيل الأحداث، وذكر أسماء الضباط الفرنسيين والثوار الجزائريين، وكذلك تسمية الأماكن والمناطق الصحراوية النائية، ووضع إحصائيات لجنود الحملات وحصيلة القتلى والمرحى ... وغير ذلك.

### 3-المراجع:

كثيرة هي المراجع المعتمدة في هذه الدراسة منها:

. رونيه إيفيس: الشعابنة تحت الحكم الفرنسي.

Régnier Yves: **Les Chaamba sous le régime français**, Les Editions Domat-Montchrestien, Paris, 1933.

يعتبر كتاب "الشعابنة تحت الحكم الفرنسي" أول دراسة أكاديمية تخصصت في تاريخ الشعابنة، ذلك أنّ الباحث رونييه قام بتقديمها إلى كلية القانون بجامعة باريس لنيل شهادة الدكتوراه في القانون، وقد نوقشت هذه الأطروحة يوم 14 ديسمبر 1933، على الساعة 14:00 وكان المشرف على هذا العمل هو البروفيسور مونييه (M. Maunier).

وقد قسم رونييه دراسته إلى خمسة فصول، تناول فيها مختلف جوانب التاريخ السياسي والحضاري للشعابنة؛ فبعد أن تحدث عن تفرع الشعابنة إلى عدة أقسام، أفرد كل فرقة من الشعابنة بالدراسة؛ فقد درس شعابنة متليلي وشعابنة المنيعية وشعابنة ورقلة وسوف وغيرها. وقد وجدت في هذه الدراسة ذكرا لبعض الأحداث السياسية التي وقعت في منطقة متليلي، معتمدا على الوثائق الحكومية وأيضا الشهادات الحية للأهالي، حيث تنقل بنفسه إلى المنطقة والتقى بالقياد والأعيان وكبار السن في متليلي.

. كوناى أوقوست: الشعابنة (بداوتهم).

**Cauneille Auguste: les chaambas leur Nomadisme, Edition du C. N. R. S, Paris 1968.**

يعتبر كتاب "الشعابنة (بداوتهم)" للرائد كوناى هو الآخر من الدراسات الأكاديمية التي عُنت بتاريخ تطور قبيل الشعابنة في عهد الإدارة الفرنسية، ذلك أنه كُلف من قبل معهد البحوث الصحراوية بجامعة الجزائر بعد الاستقلال بإجراء تحقيق حول هذا القبيل، وقد صاغ كوناى نتائج هذا التحقيق في شكل دراسة تقدم بها إلى المركز الوطني للبحث العلمي CNRS بباريس لطبعها، وقامت الهيئة العلمية لهذا المركز البحثي بمراجعة المادة العلمية لعمل كوناى، وأرسلت إليه بعض الملاحظات لتصويبها قبل الطبع، إلا أنّ الموت عاجله قبل أن يرى عمله هذا النور، فأجاز المركز البحثي الكتاب على الشكل الذي رغب فيه كوناى وطبع سنة 1968.

وقد قسمه كوناى إلى ثلاثة أقسام وأدرج تحت كل قسم مجموعة من الفصول؛ فقد عُنون القسم الأول بـ "الوسط والتركيبية" حيث أفاض من خلال فصلي القسم في تتبع تطور هذا القبيل منذ نشأته وتفرعه إلى أربعة فروع؛ حيث أفرد كل فرع بدراسة تطوره قبل قدوم الفرنسيين.

بينما خصّص القسم الثاني إلى "الشعابنة الرحل" وأدرج تحته خمسة فصول؛ فتتبع مواطن حلهم وترحالهم في شمال ووسط الصحراء الجزائرية، وحتى داخل الحدود التونسية والليبية.

أما القسم الأخير فكان خاصاً بالشعابنة "المستقرين" وقد درس أوضاعهم في خمسة فصول أيضاً.

وقد ذيل دراسته بمجموعة من الملاحق تتضمن كرونولوجيا الأحداث عند كل من شعابنة متليلي، المنيع، ورقلة، وسوف. وكذلك مجموعة من الخرائط.

ويعتبر كتاب كونا، بحق، مرجعاً لكل الباحثين في تاريخ الشعابنة، خاصة أنه اطلع على الأرشيفات المحلية في كل من متليلي، المنيع، ورقلة، كما أنه اعتمد على الروايات الشفوية التي تلقاها من كبار السن في هذه المناطق. وقد استفدت من دراسته حول شعابنة متليلي على وجه الخصوص؛ حيث تكلم عن تركيبتهم القبلية، وعن جانبٍ من مقاومتهم للاستعمار الفرنسي.

#### 4- تقارير الصحافة الاستعمارية:

عمل الباحث على توظيف التقارير الصحفية التي كان يكتبها الساسة والضباط وحتى الكولون في الصحافة الاستعمارية الصادرة بالجزائر أو بباريس خلال القرن التاسع عشر.

وقد جلبت الكثير من المقالات الصحفية من أرشيف ما وراء البحار، كما قمت بتحميل البعض منها من مواقع الأنترنت المتخصصة في الأرشيف؛ مثل موقع المكتبة الوطنية الفرنسية المعروف بغالليكا (Gallica)، وقد تنوعت هذه الصحف ما بين الصحف الحكومية مثل جريدة المبشر والأخبار، وكذلك الصحف الغير حكومية.

وتكمن فائدة هذه التقارير الصحفية أنها تساعد في تحليل بعض الأحداث، كما أنها تنقل وجهات النظر المختلفة من الأحداث، عكس التقارير العسكرية التي يطغى عليها الجانب الرسمي والسري.

وقد يلاحظ القارئ عدم اعتمادنا على الرواية الشفوية أو الموروث الشعبي بشكل كبير، وذلك يعود إلى منهجنا في التعامل مع الرواية الشفوية؛ فرغم أننا نعتبرها مصدراً من مصادر التاريخ المحلي، إلا أننا لا نعتمد عليها في حالة وجود الوثائق والمصادر، وإنما نستأنس بها. وقد واجهتنا في

نقل الرواية الشفوية مشكلةً نادرة ناقلها بموت أغلب حفاظها، إضافةً إلى أننا وجدنا بعضَ التضارب في الروايات، قد يصل في بعض الأحيان إلى حد التناقض في وصف سير الأحداث، إضافة إلى هذا وذاك، فإنّ الكثير من الروايات الشفوية تعتمد على التصور أو التفسير الميتافيزيقي لسير الأحداث بالتركيز على خوارق العادات والكرامات التي كثيرا ما ترافق المقاومين والثوار.

وقد يكون الجهد الكبير الذي بذلناه في البحث عن الوثائق الأرشيفية جعلنا نستغني عن الاعتماد على الرواية الشفوية بشكل كبير، ورغم ذلك فقد استخدمنا الروايات الشفوية في ذكر بعض الأحداث التي لم نجد لها سندا في الوثائق والمصادر، وان لم يتكرر ذلك كثيرا في بحثنا.

كما استفدت من مراجع عديدة، ومقالات ودراسات كثيرة، سأضعها وفق ترتيبها في قائمة المصادر والمراجع في آخر هذه الدراسة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أحمد الله، أولاً وأخيراً، على أن وفقني إلى إتمام هذه الدراسة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلّ من قدّم لي يد العون والمساعدة في سبيل انجاز هذا العمل، وأذكر في مقدمتهم أستاذي المشرف الدكتور محمد الزين، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الأطروحة، ولم يخل علي بنصائحه وتوجيهاته، رغم ارتباطاته الكثيرة، فله جزيل الشكر. كما أنّ الشكر الجزيل موصول لعائلتي الصغيرة؛ وبالأخص زوجتي التي صبرت معي وشجعتني خلال مراحل انجاز هذه الدراسة.

متللي الشعانية في: 20 رمضان 1439هـ

الموافق ل: 05 جوان 2018م.

الطالب: الشيخ لكحل

# الفصل الأول

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة متليلي الشعانية  
خلال القرن التاسع عشر

– المبحث الأول: التعريف بمنطقة متليلي الشعانية

– المبحث الثاني: التراتبية الاجتماعية

– المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية

## الفصل الأول:

### الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة متليلي الشعانبة

#### خلال القرن التاسع عشر

تُعد مقاومة الاستعمار من الواجبات التي يجب أن يضطلع بها أيُّ مجتمع يدافع عن أرضه وعرضه وعن هويته ودينه، وقد تتظافر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لتشكّل معراجا لبلوغ تلك الغاية وتحقيق هذا الهدف.

وكان لدخول المستعمر الفرنسي أرضَ الجزائر آثاراً سيئةً ليس على الجانب السياسي فحسب، بل شمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية؛ فقد تدهورت أوضاع الجزائريين على هاذين المستويين بسبب حالة الاضطراب والفوضى واللامن التي نتجت عن المعارك والاشتباكات التي خاضها الجزائريون في سبيل صد المحتل الفرنسي ومنعه من توسيع مناطق احتلاله، كما أنه حاول في المقابل غلق المنافذ الاقتصادية والتجارية عن المقاومين والثوار الجزائريين بهدف توقيفهم ومنعهم من الثورة؛ وذلك من خلال التحكم في الأسواق الموسمية، وتشكيل دوائر مراقبة جمركية لمراقبة حركية القوافل التجارية.

سنحاول في هذا الفصل التعرف على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة متليلي الشعانبة خلال القرن التاسع عشر، محاولين إبراز الآثار التي خلفها دخول الاستعمار إلى المنطقة على هذين الصعيدين، وقبل ذلك سنُعرّف بمنطقة متليلي الشعانبة.

## المبحث الأول:

### التعريف بمنطقة متليلي الشعابنة

#### أولاً: الموقع الجغرافي

متليلي الشعابنة هي من البلديات الجزائرية العريقة من حيث المنشأ، وتقع في شمال الصحراء الجزائرية على خطي عرض 17-32° شمالاً وخطي طول 3°-41 شرقاً، بارتفاع عن مستوى البحر يقدر بـ 525م.<sup>(1)</sup> وقد كانت تابعةً لولاية الأغواط قبل أن تصبح إحدى بلديات ولاية غارداية سنة 1985، وهي تتربع على مساحة تقدر بـ 7300 كلم<sup>2</sup> في موقع يبعد 45 كلم من مقر الولاية، بينما تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 650 كلم. وقد بلغ عدد سكانها 40576 نسمة في سنة 2008م. يميزها مناخٌ صحراوي جافٌ وحارٌ صيفاً قليلُ الأمطار وباردٌ شتاءً.

أما منطقة متليلي الشعابنة؛ محلُّ الدراسة، فهي تشمل بلدية متليلي إضافة إلى ما يليها من بلديات سبب، المنصورة، حاسي الفحل، وزلفانة وهي تشكل دائرة متليلي الكبرى، أو ما كان معروفاً غداة الاستقلال بحدود دائرة متليلي الشعابنة؛ والتي تمتد على مساحة تبلغ حوالي 300 كلم طولاً، و200 كلم عرضاً.<sup>(2)</sup> وقد كانت حدود هذه المنطقة ممتدةً إلى مناطق الرعي التي يرتادها الرحل البرازقة؛ والتي تمتد من ضاية تيلغمت<sup>(3)</sup> شمالاً إلى أبار زيرارة جنوباً ومن وادي زلفانة شرقاً

---

(1) -P. Passager: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale/In/ Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, T: XXXVI. n:4. décembre 1958, p 513.

وانظر الملحق رقم 1.

(2) - أنظر الحدود الإدارية لمركز متليلي سنة 1949 في الملحق رقم 2.

(3) - ضاية تيلغمت Tilghemt: تبعد عن الأغواط بـ 90 كلم في الطريق نحو ميزاب، كانت ملتقى للقبائل الرعوية؛ الشعابنة، أولاد نايل، والأرباع نظراً لوجود المياه بها، وقد عملت سلطات الاحتلال على حفر الآبار بها كما قام الجنرال مارقوريت سنة 1885 ببناء خزان مائي عرف بحوض مارقوريت، والغرض من ذلك هو جعلها محطة توقف واستراحة للطواير العسكرية المنطلقة من الأغواط في اتجاه ميزاب أو ورقلة . أنظر:

Edgard Pothier: Les Tumulus de la daia de Tilghemt, In, Revue d'Ethnographie, Ernest Leroux, Paris 1886, T5, pp 301-303.

إلى ما وراء وادي زرقون غرباً<sup>(1)</sup> وقد بدأت هذه المناطق تنحسر منذ دخول القوات الفرنسية للمنطقة.

يقول كوناوي: "إنّ وجود مقابر لشعابنة متليلي في مناطق سيدي الحاج الدين<sup>(2)</sup>، عقلة، دبان وحاسي منية تدل على أنهم كانوا يرتادون هذه المناطق منذ زمن بعيد... وقد شعر شعابنة متليلي بالتذمر من القرارات الادارية الفرنسية التي حرمتهم من هذه المناطق والتي كان الغرض منها هو تقوية تبعيتهم وولائهم لأولاد سيدي الشيخ."<sup>(3)</sup> وقد بعث أعيان متليلي برسالة احتجاج إلى سلطات الاحتلال بتاريخ 18 جانفي 1928، موضّحين فيها أسباب أحقيتهم بتلك المناطق التي حرمتهم منها السلطات الاستعمارية<sup>(4)</sup> فقامت تلك السلطات بمراجعة قراراتها وقامت بتعديلها، لكنها تأخرت في اصدار تلك التعديلات حوالي ثلاثين سنة؛ حين صدر مرسوم 20 مارس 1958 والذي أعطى الحق لشعابنة متليلي في وادي محيقن<sup>(5)</sup> ووادي زرقون<sup>(6)</sup> فقط.<sup>(7)</sup>

---

(1) -Henry Deverier: Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili/In/ Bulletin de la Société de géographie, Librairie de Ch. Delagrave, Paris, S6, T2, Juillet-Décembre 1876, p580.

(2) - سيدي الحاج الدين: قرية تابعة لبلدية بريزينة وتبعد عنها بحوالي 22 كلم جنوباً، وتنسب إلى الحاج الدين بن بوحفص بن سيدي الشيخ، وقد ورث حب وتبجيل شعابنة متليلي من والده سيدي الحاج بوحفص، ولازلت لحد الآن مزار المحبين والمريدين من متليلي وغيرها كل سنة. أنظر:

A. Cauneille: les chaambas leur Nomadisme, Edition du C. N. R. S, Paris 1968, p268.

(3) -A. Cauneille: Op. cit, p95.

(4) - قياد وأعيان متليلي: شكوى حول المخطط الجديد لترسيم حدود متليلي الشعابنة في وادي زرقون، مراسلة إلى السيد رئيس ملحقة غارداية، متليلي: 1928/1/18، أ. م. ع.، س. ع.

(5) - وادي مُحَيَّقِن: من أودية الشبكة يقع غرب مدينة متليلي بينها وبين واد زرقون، ينبع من جبال الأطلس الصحراوي ويصل إلى واد مية عبر ضاية الطرفاية، سرق الناقة، دمران والطويل، ويصب في وادي مية من أعالي حاسي الحجل. أنظر: A. Cauneille: Op. cit, p34.

(6) - وادي زَرْقُون: من أهم أودية الشبكة، يقع شمال غرب مدينة متليلي ويبعد عنها بحوالي 110 كلم، هو مرعى خصب نظراً لتوفر المياه الناتجة عن فيضانه المتكرر في السنة وذلك لقرب منبعه من جبال الأطلس الصحراوي، لذلك فإنه يشهد ارتياد القبائل الرعوية لمضاربه على طول السنة؛ خاصة شعابنة متليلي وأولاد سيدي الشيخ، لكونه يتوسط المدن الثلاث متليلي شرقاً، بريزينة وسيدي الشيخ غرباً. ويضيف كوناوي بأن وادي زرقون ووادي محيقن يشكلان حوضاً سهبياً غنياً حيث تتجمع فيه المياه النازلة من جبال القصور وعمور. أنظر:

A. Cauneille: Op. cit, p242.

(7) -A. Cauneille: Op.cit, p95.

## ثانيا: التركيبة السكانية

أغلبُ سكان المنطقة حاليا شعابنة؛ وهم قبيلٌ عربي ينحدرون على أرجح الروايات من علاق بن عوف، من سُليم بن منصور<sup>(1)</sup>، من العدنانية.<sup>(2)</sup> وقد فدوا إلى شمال إفريقيا إبان التغيرية الهلالية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.<sup>(3)</sup>

بينما ذكر بعضُ المؤرخين أنّ أجدادَ الشعابنة قد وفدوا على شمال إفريقيا بعد الفتح الاسلامي؛ فيذهب الأبُّ فيلار (Vellard) إلى أنّ أصول الشعابنة تنحدر من أبناء إدريس الأكبر<sup>(4)</sup> مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب.<sup>(5)</sup> في حين يرى بوفيل (Bovill) أنّ قبائل الشعابنة المستقرين في شمال الصحراء تعتبر القبائل الصحراوية الوحيدة المنحدرة من سلالة عربية دخلت شمال إفريقيا من الشرق بعد الفتح العربي، أما الجماعات الأخرى الناطقة بالعربية فهي منحدرة من أصول بربرية تأثرت على نحو بالغ بالنفوذ العربي.<sup>(6)</sup> وهو ما تؤكدُه الوثيقة التي اطلعنا عليها والتي

---

(1) - سُليم بن منصور: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية.، تنتسب الى سليم بن منصور بن عكرمة من قيس بن عيلان، من العدنانية. تنفرع الى عدة عشائر وبطون منها: بنو ذكوان بن رفاعة بن رجا ابن الحارث، بنو بھثة بن سليم، بنو سمّال، بنو مطرود، بنو الشريد، بنو قنفذ، بنو عصية، بنو ظفر، بنو بھز بن امرئ القيس بن بھثة، بنو عوف بن بھثة، بنو ثعلبة بن بھثة ابن سليم، بنو زغب بن مالك بن بھثة، بنو ذباب بن مالك، وبنو سليمان بن ذباب. كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، ثم غلب بنو الأصفر بن تغلب على البحرين بدعوة العباسية ايام بني بويه، وطرّدوا عنها بني سليم، فلحقوا بصعيد مصر وأحازهم المستنصر على يد الاروزي وزيره، الى افريقية لحرب المعز بن باديس عند خلافته عليهم، فأجازوا مع الهلاليين، وأقاموا ببرقة، وجهات طرابلس زمنا، ثم صاروا الى افريقية، وتصارهوا مع القبائل البربرية، وامتزجوا بهم. أنظر:

عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1994، ج2، ص 546.

(2) - إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 163.

(3) - سليمان محمد الطيب: موسوعة القبائل العربية، 4 أجزاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ج1، ص 1007.

(4) - إدريس الأكبر (ت 177هـ/793م): إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الادارسة في المغرب. وإليه نسبتها. عظم أمر إدريس وبنى مدينة فاس واتخذها عاصمة له، واستمر في الحكم إلى أن توفي مسموما في وليلي. وهو أول من دخل المغرب من الطالبين. أنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 2002، ج1، ص 279.

(5) -P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144, f 29.

(6) - أ. و. بوفيل وروبين هاليت: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1988، ص 99.

تذكر سلسلة نسب لرجل من متليلي يدعى عمر بن العيد بلَّغُور؛ حيث توصل نسبه إلى ثامر بن ثلال، ثم تكمل السلسلة نسب ثامر بن ثلال لتوصله حتى علي بن أبي طالب مروراً بإدريس بن عبد الله.<sup>(1)</sup>

أما عن أصل التسمية، فنجد أنّ أغلب الروايات المتواترة تفيد بأنّ أصل تسمية الشعابنة هي تركيبة لكلمتي " شعاع نبا" أو "شعاع بان" أي شعاع ظهر؛ وذلك أنهم كانوا قديماً يشعلون النار ويقونها مشعة ليلاً، فلما يرى عابر السبيل شعاع تلك النار يقول فرحاً: هذا شعاع بان أو شعاع نبأ. كما أنهم كانوا يلجؤون إلى حث التراب نهاراً للدلالة على مكان تواجدهم، لعل تائها في تلك الربوع الخوالي أو قاصداً أو عابر سبيل يهتدي إليهم فينزل بينهم، وهذا دليل على خصلة كانوا يتميزون بها وهي كرم الضيافة؛ ومن ثمّ غدت هذه الصفة ملازمة لهم إلى اليوم. وبفعل التداول تداخلت الكلمتان "شعاع" و"نبأ" لتصبح كلمة واحدة وهي "الشعابنة".<sup>(2)</sup>

## 1- الاستقرار بمتليلي:

إنّ قدومَ الأخوين ثامر وطريف<sup>(3)</sup> من شمال الجزائر، وتحوّلهما في شمال الصحراء بحثاً عن الكلاء، قد أدى إلى اكتشافهما لوادي متليلي الذي كان حينها في حالة فيضان. ويعتبر هذا الاكتشاف نقطة تاريخية مهمة في تاريخ المنطقة؛ ذلك أنّ الأخوين قد اتخذوا من هذا الوادي

---

(1) – عبد الله مولاي محمد بن عبد الرحمان: سلسلة نسب عمر بن العيد بلغور: أ. خ. للاطلاع على الوثيقة انظر الملحق رقم 3.

(2) – الشيخ لكحل: احتلال مدينة متليلي الشعابنة الاسباب الوقائع والنتائج، في الواحات، جامعة غرداية، ع 21، ديسمبر 2014، ص 35.

(3) – ثامر وطريف: هما الأخوان لأم، ثامر بن ثلال وطريف بن محمد. وتذكر الروايات أنّهما قدما لمتليلي بعد خلافات عائلية، وأول القادمين كان ثامر الذي خرج مع زوجته وأولاده وظل يجوب مناطق شمال الصحراء مع قطيع أغنامه حتى عثر على وادي متليلي، ثم التحق به أخوه طريف بعد ذلك. وبعدما استقرت الأفواج الأولى من أبناء الشعابنة بوادي متليلي تم الاتفاق بين الأخوين ثامر وطريف على تقاسمه بينهما، حيث استقر ثامر بن ثلال ومن التحق به من الوافدين بالجهة الشرقية من الوادي، بينما استقر طريف بن محمد ومن معه بالجهة الغربية منه. وقد قام الأخوان بالترحيب بكل قادم إليهما، والسماح له بالاستقرار والانضمام إلى أي الجهتين شاء، وهذا ما سارع في تعمير الوادي. أنظر:

مستقرا ومقاما، وبدأت من حينها تتوافد عليهما البطون والأعراش التي تألفت منها قبائل الشعانية، وبدأت أعدادها تزداد باطراد وذلك منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.<sup>(1)</sup>

أما تسمية متليلي فيُرجَّح أنّ بعضَ أعراش الشعانية حينما وفدوا من شبه الجزيرة العربية مكثوا بناحية "فزان" في ليبيا وفي منطقة اسمها "واد ليلي" حيث شيّدوا قصرا هناك، وصادف أن رحل فريق منهم إلى منطقة متليلي الحالية فوجدوا أنّ هذه تشبه إلى حد كبير المنطقة التي جاءوا منها لوجود واد بها وأرض خصبة فقيل هذه بقعةٌ "مثل ليلي" وبفعل التداول تلاحمت الكلمتان لتصبح متليلي، لهذا فإنّ دوفرييه (Deverier)<sup>(2)</sup>؛ الذي زار متليلي في خمسينات القرن التاسع عشر، يؤكّد أنّ الكتابة الصحيحة بالحروف اللاتينية لمتليلي هي Methlili بالـ th، لأنه وجدها تُكتب حينها باللغة العربية "متليلي" بالثاء المثناة وليس بالثاء المثناة.<sup>(3)</sup>

## 2- تشكل كونفدرالية الشعانية:

بعد تكاثر أعداد الشعانية، أصبح وادي متليلي لا يسعهم فذهب قسم منهم إلى المنيعه وقسم آخر إلى ورقلة وبذلك تشكلت شبه كونفدرالية تشمل كل الشعانية المنتشرين في المناطق الصحراوية وتضم خمس مجموعات رئيسية هي: شعانية متليلي "البرازقة"، شعانية المنيعه "المواضي"، شعانية ورقلة "بوروبة"، شعانية واد سوف، وشعانية العرق الغربي الكبير؛ الذين كانوا مقسمين إلى شعانية قورارة وشعانية بني عباس.

ويرى رينييه (Régnier) أنه خلال خمسة قرون من سنة 1350 حتى 1850 كان الشعانية متمركزين في كامل الواحات الرئيسية في الجنوب الجزائري تقريبا، وحتى أبعد في أقصى

---

(1) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, Les Editions Domat-Montchrestien, Paris, 1933, p5.

(2) - هنري دوفرييه Henri Duveyrier: مستشرق ورحالة فرنسي ولد بباريس سنة 1840، اهتم بالدراسات العربية في باريس، قام بأول رحلة له إلى الأغواط سنة 1857، انطلق يوم 8 ماي 1859 في رحلة نحو الصحراء ولم يرجع منها إلى غاية أكتوبر 1861، أصدر عدة دراسات حول المناطق الصحراوية وقد نشرت أغلبها المجلة الجغرافية. توفي سنة 1892. أنظر:

Henri Lamirault et C<sup>ie</sup>: La Grande Encyclopédie inventaire raisonné des sciences des lettres et des arts, 31 Tomes, H. Lamirault et C<sup>ie</sup>. Editeurs, Paris, 1885-1902, T15, p153.

(3) -Henry Deverier: Op.cit, p138.

الجنوب.<sup>(1)</sup> ويذكر صاحب "المنهل العذب" أنّ بلادَ الشعانية كانت تمتد حتى حدود طرابلس الغرب.<sup>(2)</sup>

أما كوناوي (Cauneille) فيُعلّق على تكاثر هذا القبيل وانتشاره بقوله: "في الواقع، فإنّ انتشار الكونفدرالية أكبر من ذلك بكثير؛ فانتشار الشعانية لم يقتصر على المناطق الجنوبية بل هجر بعضهم إلى الشمال؛ فنجدهم، حالياً، في وهران والجزائر وتونس وحتى في فرنسا."<sup>(3)</sup>

بل إنّ نشاطَ الشعانية قد وصل حتى داخل الأراضي المغربية؛ فيروي أبو القاسم الزياني<sup>(4)</sup> في الترجمان المغرب أنّ السلطان المغربي المولى عبد الله<sup>(5)</sup> بن المولى اسماعيل قد استعان بهم في إطار صراعه مع إخوته لوراثة عرش أبيهم المولى اسماعيل<sup>(6)</sup>، وأنه قد أمر فرقةً من الشعانية، سنة 1731م، بالهجوم على حي الرياض في مدينة مكناس بعد أن كان ملجئاً لمعارضيه.<sup>(7)</sup> كما أنّ

---

(1) -Yves Régnier: Op.cit, p28.

(2) - أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تح: طاهر أحمد الزاوي، جزآن، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب 1961، ج1، ص 9.

(3) -A. Cauneille: Op.cit, p17.

(4) - أبو القاسم الزياني (1734 - 1833م): مؤرخ من الوزراء ولد بفاس بالمغرب. قام بأسفار كثيرة وزار مناطق عديدة مثل تركيا ومصر وسوريا وسواحل أوروبا الجنوبية، واستطاع أن يكتب خمسة عشر مصنفاً كبير الحجم. وترجع شهرته الجغرافية إلى كتابه الترجمان الكبرى الذي جمع فيه أخبار العالم براً وبحراً. أنظر: الموسوعة العربية العالمية: 22 جزءاً، دار الفكر، دمشق 2010، ج10، ص480.

(5) - المولى عبد الله (1710 - 1757 م): هو عبد الله بن إسماعيل بن الشريف محمد ابن علي الحسيني العلوي السجلماسي من ملوك دولة الاشراف العلويين بمراكش. ولد بتافالالت، ويبيع له بعد وفاة أخيه أحمد سنة 1728 م. وكان قد خلع أربع مرات، وعاد. وانتهى أمره بأن استقر في مكان بقرب فاس الجديدة سنة 1746 وأقام به مهملاً لا يأتيه أحد. أنظر: الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص325.

(6) - المولى إسماعيل (1645 - 1727 م): هو إسماعيل بن محمد الشريف بن علي الشريف المراكشي الحسيني العلوي، من كبار ملوك الاسلام وخلفائهم، تولى السلطنة بعد وفاة أخيه المولى الرشيد سنة 1671م، ويبيع بمكناس واتخذها عاصمة لملكه. دامت فترة حكمه سبع وخمسون سنة، وخذ خلالها البلاد ووسع حدود السلطنة العلوية إلى تحوم بلاد السودان، بعد وفاته تنازع أبناؤه على الحكم. أنظر:

الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص325.

(7) -Aboulqasim ben Amed Ezziani: Le Maroc de 1631 à 1812, extrait de l'ouvrage intitulé Ettordjemân el-moarib an douel elmachriq ou 'Imaghrib, Trad: O. Haudas, Imprimerie Nationale, Paris 1886, p 71.

الشعانية كانوا يَصِلون بغاراتهم على القبائل المغربية حتى ضفاف المحيط الأطلسي.<sup>(1)</sup> إضافةً لكل ذلك، فإنّ الشعانية تفرقوا حتى في إفريقيا جنوب الصحراء؛ يقول لوشاتولييه (Le Chatelier): "وكان جنوب الجزائر ممثلاً هنا (في تمبوكتو)<sup>(2)</sup> منذ عشرين عاماً من قِبَل بعض الشعانية."<sup>(3)</sup>

لقد عرّف قبيل الشعانية تطوراً بدخول عناصر جديدة إليه؛ مثل الشرفة والزوى والمرابطين وبني مرزوق وغيرهم وتكاثر عدده فانتشر في أنحاء الصحراء، وتشكلت كونفدرالية تضم الشعانية المتوزعين في مختلف مناطق الصحراء، بل يمكننا أن نتحدث عن شعب الشعانية وليس قبيلة فقط كما يقول كوناي.<sup>(4)</sup> وبعد تفرق الشعانية في هذه المناطق أصبحت لهم نفوذ واسع في المجال التجاري والعسكري في كلِّ مناطق شمال الصحراء الممتدة من غات<sup>(5)</sup> وغدامس<sup>(6)</sup> شرقاً إلى الساورة<sup>(7)</sup> وتوات غرباً ومن متليلي شمالاً إلى عين صالح جنوباً.<sup>(8)</sup>

(1) -Paul Solleillet: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, Imprimerie de F. Seguin Aîné, Avignon, 1877, p86.

(2) - تمبوكتو(Tumbouctou): مدينة تقع في إقليم آزواد شمال مالي، على نهر النيجر وعلى مسافة 1018 كلم من العاصمة باماكو، وقد أسسها الطوارق أواخر القرن الحادي عشر، وأصبحت ممراً تجارياً مهماً بين السودان وشمال الصحراء الجزائرية والمغرب، وصل إليها الرحالة كاييه سنة 1828، وبارث سنة 1853، واحتلها الفرنسيون سنة 1893. أنظر: مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، 20 جزءاً، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت 2004، ج18، ص 155.

(3) -A. Le Chatelier: L'Islam dans l'Afrique occidentale, G. Steinheil Editeur, Paris, 1899, p292.

(4) -A. Cauneille: Op.cit, p22.

(5) - غات (Ghat): مدينة في قلب الصحراء الليبية الغربية على مشارف الحدود الليبية الجزائرية، وتتبع المدينة إقليم غات وهي عاصمتها. سكان المدينة من الشعانية ومن الطوارق. ويذكر الحشائشي أن إقليم غات به ثلاث مدن هي غات وتونين وبلاد العتارة، ويصف مدينة غات بأنها مدينة تجارية بامتياز حيث في كل سنة يدخلها ما ينيف عن الثلاثين ألف جمل من السودان الأقصى والأدنى، وأن قرشها يسوي فرنكا في غيرها من المدن. أنظر: محمد بن عثمان الحشائشي: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، تح: علي مصطفى المصري، دار لبنان، بيروت 1965، ص 112.

(6) - غدامس: مدينة تقع في الصحراء الليبية على بعد 630 كلم جنوب غرب طرابلس، وعلى بعد 15 كلم من الحدود الجزائرية، و8 كلم من الحدود التونسية، مركز تجاري صحراوي هام؛ حيث تقع على إحدى أهم الطرق التجارية العابرة للصحراء، بما نسبة معتبرة من الشعانية. أنظر: مسعود الخوند: المرجع السابق، ج18، ص 77-78.

(7) - الساورة (Saoura): وادي يوجد في منطقة بني عباس على بعد 250 كلم جنوب بشار. أنظر:

عاشور شرقي: المرجع السابق، ص 802.

(8) -A. Coÿne: Une Ghazzia dans le Grand Sahara, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1881, p 10.

ورغم تشكل هذه الكونفدرالية إلا أنّ كل فرع من فروع الشعابنة كان يسيّر شؤونَه الخاصة من قِبَل أعيانه وقيّاده دون الرجوع إلى العاصمة والمنشأ؛ متليلي. كما كان لكل منهم وجهة نظره الخاصة من الأحداث، إلا أنّهم كانوا يتوحدون في مواجهة الخطر الأجنبي. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فحينما وقعت معارك بين بني ثور وشعابنة ورقلة بسبب الصراع حول النفوذ داخل سلطنة علاّهم<sup>(1)</sup> بورقلة خلال القرن السابع عشر، استنجد الشعابنة بإخوانهم من متليلي<sup>(2)</sup>.

كما تداعى شعابنة المنيعه سنة 1875م إلى المشاركة في الحملة الضخمة التي جهّزها شعابنة متليلي تحت قيادة أحمد بن أحمد الشعاني نحو إقليم تافلات<sup>(3)</sup> لتأديب قبائل البرابير<sup>(4)</sup> المغربية التي أغارت على خيام شعابنة متليلي في وادي زرقون<sup>(5)</sup>.

كما أنّ توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء أدى إلى توحدهم جميعا في مواجهته؛ فقد طبع التنسيق والتوحد أغلب جولات الصراع مع الفرنسيين في كل المقاومات والثورات التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر؛ كما شهد بذلك الفرنسيون أنفسهم<sup>(6)</sup>.

---

وانظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 176. وانظر أيضا الخريطة في الملحق رقم 4.

(1) - علاّهم أو مولاي علاّهم: تنسب على الأرجح إلى إحدى العائلات المعروفة بمدينة فاس، وفدت على ورقلة بطلب من أهلها سنة 1602م، بعد أن تلاشى حكم أسرة ابن أبي غلبون، وقد عرفت منذ القرن 17م، تنافسا بين أفرادها مما تسبب في وقوع فتن وأعمال انتقامية شهد بعضها منها الرحالة العياشي. أنظر: عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ج1، ص 115.

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, In, R.A, V64, 1923, p386.\ Charles Amat: Le M'zab et les M'zabites, Challamel et C<sup>ie</sup> Éditeur, Paris, 1888, p36.

(3) - تافلات أو تافيلات: إقليم في جنوب شرق المغرب متخمة للحدود الجزائرية، تعرف محليا بواحة واحدة تمتد بين وادي زيز ووادي غريس، وقد يتوسع مفهومها لتطلق على منطقة وادي زيز، هي إحدى الطرق التجارية العابرة للصحراء منذ العصر الإسلامي، من مدنها سجلماسة. قد سطع نجم هذه المنطقة منذ صعود الأسرة العلوية الفيلاية سنة 1631م. أنظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، 23 جزءا، مطابع سلا، المغرب 1989، ج6، ص 2082.

(4) - البرابير: مجموعة من القبائل المغربية الأمازيغية، موطنهم إقليم تافلات قريبا من الحدود الجزائرية، نجد منهم آيت خباش، آيت واعمر، ازوالا، آيت عطا... وغيرهم. كانت بينهم وبين شعابنة متليلي عداوة بسبب أعمال النهب المتكررة بين الطرفين، كانوا يدينون بالولاء لأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وللشيخ بوعمامة فيما بعد. أنظر:

A. Coÿne: Op.cit, p35.

(5) -A. Coÿne: Op.cit, p12.

(6) - D'Armagnac: le Mzab et les pays Chaamba, Braconnier Editions, Alger, 1934, p126.

## المبحث الثاني:

### التراتبية الاجتماعية.

#### أولاً: قصر متليلي

يعتبر قصر متليلي أهم معلم حضاري وتاريخي موجود في المنطقة، وقد بُني على هضبة تطل على الوادي يعلوه المسجد الذي بني سنة 550هـ/1156م،<sup>(1)</sup> وفي أسفله السوق، وتتراكب المنازل الملتصقة بدايةً من أسفل المسجد حتى أسفل القصر. وكانت غابات النخيل، في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمتد من القصر باتجاه أعلى الوادي بحوالي كيلومتين وبنفس المسافة تقريباً في الاتجاه المعاكس، كما شاهد دوفرييه.<sup>(2)</sup>

وكان المسجد متميزاً بمئذنته الهرمية الشكل التي تشبه مآذن مساجد قصور وادي ميزاب<sup>(3)</sup>، لكن هذا ليس فيه أي دليل على ما يدعيه بعضهم بأنّ بني مزاب هم من بنوا المسجد العتيق بمتليلي وأنه كان إباضياً،<sup>(4)</sup> فالشعابنة لم يعرفوا مذهباً غير المذهب المالكي، ولا نجد في أرشيف المسجد العتيق ما يشير إلى غير هذا، كما أنّ بناء منارات المساجد بهذا الشكل كان معروفاً في كامل الصحراء تقريباً في تلك الفترة؛ يقول الرائد كوفي (Cauvet): "شكل منارات مساجد مزاب ومتليلي منقول من ورقلة، ونفس الشكل موجود في بلاد السودان."<sup>(5)</sup> يسكن في هذا القصر وفي الواحة شعابنة متليلي.

(1) - المجهول: تاريخ المسجد العتيق، أ. م. ع. س. ح.، وانظر الملحق رقم 5.

(2) - Henry Deverier : Coup d'œil sur les pays des Beni-M'zab et sur celui des Chaanba Occidentaux/In/ Revue Algérienne et coloniale, Librairie de L. Hachette et C<sup>ie</sup>, Paris, T2, Janvier- juin 1860, p138.

وانظر الملحق رقم 6.

(3) - أصيبت هذه المئذنة بصاعقة سنة 1946م فتهدمت، ثم أعيد بناؤها على الشكل الحالي.

(4) - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992، ص 60.

(5) - Le Commandant Cauvet: Les Marabouts petits monuments funéraires et votifs du Nord de l'Afrique, In, R.A, V64, 1923, p497.

## ثانياً: التاريخ الحضاري لمنطقة متليلي الشعانية:

إنّ استقرار الشعانية في متليلي، وبناءهم للقصر، لا يعني أنّ المنطقة كانت خالية من أيّ شكل حضاري من قبل. فالحفريات المكتشفة أثبتت أنّ المنطقة كانت مأهولةً منذ عصور ما قبل التاريخ. وقد أجرى فوانيه (Voignier) مسحاً أثرياً للقصر وللواحة، في خمسينات القرن العشرين، فاكتشف عدّة رسومات حفرية في أحياء الحريقة، سيدي بولنوار، وشعبة سيدي الشيخ.<sup>(1)</sup>

وكان عالم الآثار الدكتور غوبو (Dr Reboud) قد أشار قبل ذلك بقرن من الزمن إلى وجود آثار ما قبل التاريخ حول واحة متليلي، وحتى في وادي زرقون ومحيقن، وهي عبارة عن مقابر بمقاسات مختلفة.<sup>(2)</sup> وكانت تلك الحفريات المكتشفة تحوي أدوات كان يستعملها إنسان ما قبل التاريخ، وهي تعود إلى العصرين النيوليتي والبايلوتي.<sup>(3)</sup>

وقد أثبتت الإكتشافات الأثرية الأخيرة أنّ منطقة متليلي الشعانية كانت تحوي قصوراً في الأزمنة الغابرة، لازالت أطلال البعض منها باقية إلى الآن؛ مثل قصر "واد الذيب" بناحية طريق "اللّوّاي" على مسافة 10 كلم تقريبا جنوب شرق وسط المدينة، وقصر "القُصير" بناحية السوارق على بعد 05 كلم شرق وسط المدينة، إضافةً إلى "قصر الدلاعة" الواقع بناحية المنصورة، و"لوداغير" الواقع بناحية حاسي الفحل. وحسب الملاحظات الأولية التي أبدتها بعثة معهد علم الآثار بالجزائر العاصمة التي زارت المنطقة خلال سنة 1995م فإنّ هذه القصور قد يرجع منشؤها إلى عصر فجر التاريخ.<sup>(4)</sup>

(1) - J. -M. Voignier: Les Gravures Rupestres de Metlili des Chaamba, In, Libya, T: XII, 1964, p 343.

(2) - Dr Reboud: Notes archéologiques sur les ruines de Djelfa, In, R.A, V 1, 1856, p29.

(3) - Ginette Aumassip: Le Bas-Sahara dans la Préhistoire, Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris 1986, pp 106-107.

(4) - سيف الدين هبية: الطريقة الشيخية في متليلي دراسة سوسيو أنثروبولوجية لزاوية سيدي أحمد بن بوحفص، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2006، ص 152.

### ثالثاً: شعابنة متليلي

هم أهم وأقوى فرع من فروع الشعابنة، يطلق عليهم شعابنة برزقة أو البرازقة واحدها برزيق وتعني مجموعة من الرجال الفرسان.<sup>(1)</sup> ويضم هذا الفرع ثلاثة عروش كبيرة، تحت كل عرش مجموعة من الفرق، وتنضوي تحت كل فرقة العديد من العائلات الشعابنية. وهذه العروش هي:

عرش أولاد علوش: ويتفرع منه ثمان فرق وهي: التوامر، البهاهزة، الشلق، أولاد ابراهيم، أولاد موسى، الجرودة، أولاد عيسى بن موسى، وعميرات.<sup>(2)</sup> هذا العرش هو الأكبر عدداً ويغلب عليه الطابع البدوي؛ بحيث لا نجد منه من كان مقيماً في القصر أو الواحة إلا القليل.

عرش أولاد عبد القادر: ونجد فيه خمس فرق: أولاد حنيش، السوايح، العوامر، القمار، وأولاد عمر.<sup>(3)</sup> وهو يشبه عرش أولاد علوش في الطابع البدوي.

عرش القصر: تنتمي لهذا العرش خمس فرق وهي أولاد اسماعيل، بني مرزوق، بني ابراهيم، المرابطين والشرفة.<sup>(4)</sup> ورغم أنّ هذا العرش هو من يمثل المجتمع الحضري لشعابنة متليلي؛ حيث أنّ أغلب العائلات المنتمة إليه مقيمة في قصر متليلي، إلا أنه يعتبر الأقل عدداً مقارنة بالعرشين الآخرين حيث يمثل ما نسبته الربع، في أحسن الحالات، من تعداد شعابنة متليلي، كما أنّ أغلب الفرق المنتمة إليه هي حديثة الدخول إلى قبيلة الشعابنة؛ مثل الشرفة والمرابطين القادمين من المغرب، وبني مرزوق الوافدين من تونس، وبني ابراهيم أحفاد العائلات الميزابية الوافدة من مليكة خلال القرن الرابع عشر.<sup>(5)</sup>

كما أنّ هناك العديد من العائلات الإفريقية الأصل أتت الشعابنة بآبائهم وأجدادهم عبيداً إلى متليلي، فلما قام الاستعمار الفرنسي بالقضاء على تجارة العبيد تحرروا ودخل أغلبهم تحت العائلات الشعابنية التي كانوا يخدمونها، فتمسوا بألقابهم، وانضموا إلى فرقهم وعروشهم.

(1) -P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144, f 30.

(2) -Auguste Cauneille: Les Chaanba leur nomadisme, Ed. du CNRS, Paris 1968, p42.

(3) -A. Emé: Monographie sur Metlili, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 01920007, f 10.

(4) -Auguste Cauneille: Op.cit, p45.

(5) -Ibid., p22.

دون أن ننسى فرقة أولاد سيدي الشيخ التي وفدت طلائعها على منطقة متليلي منذ أواخر القرن السادس عشر رفقة سيدي الشيخ وابنه سيدي الحاج بحوص، إلا أنها ظلت، نظراً لمكانتها الروحية والدينية، مستقلة عن عروش الشعابنة.<sup>(1)</sup>

وهكذا نرى بأنّ المجتمع الشعابني لتليلي تطور وأصبح عبارة عن فسيفساء اجتماعية لا يخضع للانتماء للدم أو العرق أو اللون، وإنما يجمعهم إطار القبيلة،<sup>(2)</sup> ووحدة اللغة العربية والمذهب المالكي. ويذكر الدكتور ايمي (A. Emé) أنّ اللغة الوحيدة المستعملة في متليلي هي اللغة العربية، وحسب رأيه فهي عربية خالصة، وتقترب كثيراً من اللغة العربية الكلاسيكية، مع تسجيل بعض اللحن في نطق بعض الحروف.<sup>(3)</sup>

ورغم ذلك فإنّ اللسان البربري الزناتي قد أثر في لغة الشعابنة من خلال الكثير من المصطلحات المستخدمة على نطاق واسع، مثل بعض أسماء النخيل: تمّجوهرت، آدالة، تافزوينت، عاوشت... وكذلك بعض المصطلحات المرتبطة بالزراعة مثل: تسمراقت، تامدا، الفالة، آسقي... وقد يرجع سبب ذلك إلى المجموعات السكانية الغير عربية، والتي التحقت بقبيل الشعابنة خلال مراحل تشكله.

كما أنّ هناك بعض المناطق في صحراء متليلي يغلب على تسمياتها الطابع البربري، والتي لازالت متداولة لحد الآن؛ مثل: تيمكرت، تيلغمت، تليلت، قوفافة... وغيرها، ونرجح أنّ ذلك يعود إلى القبائل الزناتية التي سكنت المنطقة قبل استقرار الشعابنة فيها.<sup>(4)</sup>

لقد أصبح الانتماء إلى شعابنة متليلي شرف يسعى إليه من هو خارج القبيلة ويتفاخر به المنتسب إليها، يقول باساجي (Passager) أنّ: "الشعابني متفاخر بنسبه، كما أنه لا يرضى

(1) - بعد الاحتلال الكامل لشمال الصحراء، في أوائل القرن العشرين، انضم الكثير من عائلات أولاد سيدي الشيخ إلى فرق مختلفة من عروش الشعابنة، مثل زاوي سيدي الشيخ، الزاوي، شيتورة، بن يمنة، هيبية، بولحية، صديقي، بوعمامة وغيرهم. وذلك حسب ما هو موجود في الدفتر الأصلي لسجلات الحالة المدنية في بلدية متليلي الشعابنة. أنظر: الدفتر الأصلي، سجلات الحالة المدنية، أ. ب. م.

(2) - UNESCO: Nomades et Nomadisme au Sahara, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963, p 36.

(3) - A. Emé: Monographie sur Metlili, Manus., CCDS – Ghardaïa, Cote: 01920007, f 11.

(4) - لم نجد أية مادة علمية تتحدث عن هذا الموضوع، ولعلها تكون ضمن أبحاثنا المستقبلية.

امتهان المهن الحقيرة مثل خدمة الأرض؛ إذ أنه يعتبرها في عمل العبيد بينما يتحمس للقيام بأعمال البطولة والشجاعة المتعلقة بحمل السلاح.<sup>(1)</sup>

ويصف رينيه (Régnier) الشعابنة بقوله: "الشعابنة لا يدفعون العربات ولا يجمعون الروث ... إنهم لا يجذون القيام بأي عمل كان فيما مضى من اختصاص العبيد. إنهم شعب الأسياد والمحاربين، لا يقدرون سوى أن يقودوا أو يحاربوا."<sup>(2)</sup>

إنّ أهمّ ما يميز الشعابنة هو الشجاعة والحرية والكرم فيصفهم دوماس ( Eugène Daumas) بقوله: " الشعابنة يحبون الغناء والموسيقى والنساء والبارود، وقبل كل شيء، الاستقلال."<sup>(3)</sup> ويقول الشعابني الذي التقاه دوماس في باريس سنة 1851م: "نحن لا ندفع ضرائب لأحد ولا يتحكم فينا أي سلطان أو حاكم...أنتم هنا تقدمون الضيافة مقابل المال.. أما عندنا فنقري الضيف بلا مقابل بل نعمل على خدمته وإسعاده."<sup>(4)</sup>

ويصف ابن الدين الأغواطي شعابنةً متليلي بأنهم كانوا فرساناً على الجمال، ومسلحين بالبنادق والسيوف.<sup>(5)</sup>

#### رابعاً: إدارة القبيلة

كان مجتمع منطقة متليلي الشعابنة متضامناً يخضع لشيخ القبيلة، أو القايد؛ الذي يتمتع بسلطة شبه مطلقة ليس على أبنائه وأحفاده فقط، وإنما على كل من هو في مجموعته وخاضع له. يُراعى في اختياره سنّه وقواه الجسمانية والعقلية، ولا يكون طرفاً من الإدارة الاستعمارية، لكن يمكنه أن يحصل على اعترافها مقابل دفع الضرائب المترتبة على القبيلة التي يتولى تسيير شؤونها.<sup>(6)</sup>

(1) -P. Passager: Op.cit, p 527.

(2) -Yves Régnier: Op.cit, p168.

(3) -Eugène Daumas: Le Sahara Algérien, Dubos Frères, Alger, 1845, p314.

(4) -Eugène Daumas: Mœurs et coutumes de l'Algérie, Librairie de L. Hachette Et C<sup>ie</sup>, Paris 1853, p123.

(5) - ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص90.

(6) -P. Passager: Op.cit, p 527.

ويذكر الدكتور ايميه أنّ اختيارَ قايد أو شيخ العرش لا يتم عبر الوراثة أو الانتخاب، وإنما تؤهله إمكانياته المادية والمعنوية، كما أنّ أولاده لا يحضون بأية مزية في خلافة أبيهم في هذا المنصب.<sup>(1)</sup>

## 1- جماعة متليلي

يساعد القايد في تسيير أمور القبيلة مجلس جماعة متليلي؛ أو ما يسمى بـ"جماعة العشرة"، والتي يُعهد إليها الفصل في القضايا الداخلية بين الأعراش، أو في القضايا الخارجية كعقد مجلس الحرب أو الموافقة على الهدنة أو الحلف، أو انجاد شعانبة ورقلة أو شعانبة المنيع... وغيرها من القضايا التي تهم البلدة.<sup>(2)</sup>

وتتشكل هذه الجماعة من القياد الثلاثة لعروش القصر، أولاد علوش، وأولاد عبد القادر، إضافة إلى رؤساء الفرق المنضوية تحت كل عرش. فيكون عدد أفرادها 21 فرداً.<sup>(3)</sup>

ويبدو أنّ نظام " العشرة" كان مأخوذاً من النظم السياسية لدولة الموحدين؛ فتذكر المصادر التاريخية أنّ المهدي بن تومرت قد عين على رأس أتباعه جماعةً تمثل أعلى سلطة في حكومته، وهي تتألف من عشرة رجال، كان من بينهم عبد المؤمن بن علي الكومي، كانت تسمى جماعة العشرة، وكان هؤلاء الرجال يمثلون القبائل التي ناصرت مهدي الموحدين،<sup>(4)</sup> وبذلك ضمن ولاءهم بتعيين رؤسائهم في أعلى هيئة في حكومته، وهو ما كان عليه جماعة العشرة لدى شعانبة متليلي.

ولم أعر في الوثائق، التي اطلعت عليها، على ما يشير إلى تاريخ تطور هذا المجلس، إلا أنه كان له الفصل في كل القضايا التي تهم شعانبة برزقة، ويمكن القول أنّ هذا المجلس كان بمثابة الرابطة التي تجمع العروش الثلاثة تحت مسمى شعانبة متليلي.

(1) -A. Emé: Monographie sur Metlili, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 01920007, f 12.

(2) -Paul Solleillet: Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, Typographie et Lithographie. A Jourdan, Alger, 1875, p 45.

(3) -P. Passager: Op.cit, p 526.

(4) - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت 2006، ص141.

## 2- قايد القياد

لقد كان لكل عرش من عروش شعانبة متليلي قايد يشرف على شؤون عرشه، وكان هناك أيضا قايد القياد؛ والذي يكون ممثلا لشعانبة متليلي أمام السلطة الاستعمارية، ويشترط في قايد القياد أن يكون مقيماً في قصر متليلي، ولذلك فقد يكون هو قايد عرش القصر نفسه؛ لأنّ عرش القصر كان يعتبر القسم المدني أو المستقر من شعانبة متليلي الذين يغلب عليهم البداوة.

ولم نجد ما يشير إلى وجود هذا المنصب قبل دخول الاستعمار إلى المنطقة، فالمصادر الفرنسية التي تحدثت عن دخول الاستعمار إلى متليلي سنة 1854 لا تشير إلى وجود قايد القياد وإنما تتحدث عن جماعة متليلي فقط.

وعلى الأرجح، فإن هذا المنصب لم يظهر للعيان إلا بعد حملة دو سونيس (De Sonis) على متليلي سنة 1866، حيث طلبت السلطات الاستعمارية من أعيان متليلي تعيين قايد يكون ممثلا لكل الشعانبة. وقد تداولت الوثائق في الفترة من 1866-1874 اسم القايد سليمان بن مسعود؛ والذي قام الجنرال دو لوفيردو (De Loverdo) القائد العسكري لعمالة المدية بتعيينه قائداً موحداً لقياد متليلي والمنيعة معاً في ربيع سنة 1875.<sup>(1)</sup>

وحتى اختيار القايد لم يكن بالأمر الهين؛ فقد تقوم السلطات الاستعمارية بالموافقة على اختيار قايد وتكون هناك معارضة لقيادته، فتجد هذه السلطات صعوبة في التوفيق بين الفريقين فتعيد الأمر إليهم ليعيدوا انتخابه؛ مثل ما حدث في مطلع سنة 1879 حينما وافقت السلطات الاستعمارية على انتخاب القايد عبد القادر بن محمد بعد استقالة القايد سليمان بن مسعود؛ إلا أنّها تفاجأت بوفد من المعارضة يتجه نحو الأغواط ليحتج على قيادته، مما وضعها في موقف محرج.<sup>(2)</sup> ولما أرادت تلك السلطات حسم الخلاف بين شعانبة متليلي بتعيين قايد أجنبي عنهم ثاروا جميعهم ضد هذا القرار سنة 1881.<sup>(3)</sup>

(1) -E. Mangin: Note sur l'Histoire de Laghouat/In/ R. A., V 39, 1895, p 139.

(2) -Le Colonel Belin: Dépêche Télégraphique, N 962, Laghouat: 19/06/1879, A. O.

(3) - Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59, f 32.

وأبرز القيّاد الذين اشتهروا خلال القرن التاسع عشر نجد، قايد أولاد علوش أحمد بن أحمد الشلقي؛ الذي كان له دور في الكثير من الأحداث التي عرفتها المنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إضافة إلى القايد سليمان بن مسعود وخليفته عبد القادر بن محمد.

إنّ التنوع الذي يميز شعابنة متليلي قد أثمر ميزة أخرى وهي الشورى أو الديمقراطية؛ فقد كانت الحرية مكفولةً لمختلف الأعراش والفرق، بل وفي بعض الأحيان حتى الأفراد، في الادلاء برأيهم فيما يهّم القبيلة. ورغم مكانة القيّاد، إلا أنهم كانوا لا يُلزمون بمجموع الشعابنة برأيهم إن رأى هؤلاء المصلحة في غير رأي القايد.

إنّ حرية الرأي الموجودة في المجتمع الشعابني هي التي تفسّر مشاركته، أفراداً وجماعات، في كل المقاومات والثورات التي عرفتها مناطق الشعابنة أو المناطق الأبعد منها دون الارتباط الملزم بموقف الأعيان أو القيّاد، وإن كان القيّاد في أغلب الأحيان يميلون لرأي الأغلبية. وهذا ما كان مفقوداً عند بعض القبائل الأخرى، والتي حُرّم أفرادها من شرف المشاركة في مقاومة الاستعمار بسبب التزامهم بموقف الأعيان أو الجماعة.

#### خامساً: تعداد شعابنة متليلي

إنّ تعداد شعابنة متليلي هو مجموع سكان قصر متليلي؛ والذي كان يمثل عرش القصر عموماً وبعض المقيمين من العروش الأخرى في قصر متليلي أو في الواحة، إضافة إلى الشعابنة الرّحل لعرشي أولاد علوش وأولاد عبد القادر والذين كانوا يجوبون المناطق الصحراوية الرعوية ولا يدخلون الواحة إلا في موسم جني التمور في فصل الخريف.

وكان تعداد الشعابنة المقيمين والمستقرين في القصر والواحة قليلاً مقارنة بتعداد الشعابنة الرّحل؛ حيث بلغ في أحسن الحالات الربع مقارنة بالعدد الاجمالي لشعابنة متليلي؛ ولهذا فعندما يذكر دوفرييه أنّ تعداد سكان متليلي سنة 1859 كان حوالي 1600 ساكن،<sup>(1)</sup> فإن العدد الكلي لشعابنة برزقة يقترب من العدد 6000. لكن هذا العدد بدأ يتناقص خلال السنوات اللاحقة، ثم رجع يتزايد حتى اقترب من هذا العدد في نهاية القرن؛ فحسب الاحصاء الرسمي ليوم 25 ديسمبر

(1) -Henry Deverier : Op.cit, p138./ Bérard Victor: Indicateur général de l'Algérie, renfermant la description géographique, statistique et historique de chacune des localités des trois provinces, Bastide Libraire-Éditeur, Alger 1867, p301.

1882 كان تعداد سكان متليلي 3924 نسمة، منهم 1035 من عرش القصر، 1498 أولاد علوش، و1391 لأولاد عبد القادر،<sup>(1)</sup> ليرتفع حسب الاحصاء الرسمي ليوم 29 مارس 1896 إلى 5795؛ منهم 1425 من عرش قصر متليلي، 2210 أولاد علوش، 2160 أولاد عبد القادر.<sup>(2)</sup>

ويمكن أن نفسرَ هذا التناقصَ في أعداد شعابنة متليلي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الظروف التي رافقت أو نتجت عن وصول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة؛ حيث كانت مسرحاً لصدام عنيف أتمى على الكثير من أعداد أفرادها ضمن إطار المقاومات والثورات الشعبية، كما أنّ الشعابنة أصبحوا يفضلون حياة البادية عن الاستقرار في القصر، وذلك لما فيها من الاستقلال والحرية والبعد عن الاحتكاك بالاستعمار.

كما انتشرت ظاهرة "الحلّيات"؛ وذلك عندما يقوم الشعابنة بالخروج الجماعي من قصر متليلي إلى البادية حين يتوقعون انتقاماً من الجنرالات الفرنسيين بعد مشاركتهم في أي انتفاضة أو مقاومة، وقد تكرر ذلك في عدة مناسبات خاصة في سنتي 1866م عقب ثورة أولاد سيدي الشيخ، و1881م عقب ثورة الشيخ بوعمامة. كما لا يمكن إهمال عامل الجفاف والمجاعة وما رافق ذلك من أمراض خاصة في سنوات 1866، 1867، 1868م. كما شهدت متليلي أواخر القرن التاسع عشر انتشار بعض الأمراض المعدية مثل الجذام.<sup>(3)</sup>

#### سادساً: علاقة شعابنة متليلي بالمجموعات السكانية المجاورة:

يبدو أن شعابنة متليلي لم يكونوا منعزلين عن العالم الخارجي؛ فقد كانت تربطهم بالمجموعات السكانية المجاورة لمناطقهم أواصرُ القرابة والدين والولاء والمصالح المشتركة. ونجد من هؤلاء أولاد سيدي الشيخ، بنو ميزاب، والتوارق.

(1) -Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, 26/12/1882, ANOM GGA 50 II/261, f115.

(2) -Jean Bruche: les Oasis du Souf et du M'zab comme type d'établissements Humains, In La Géographie, Bulletin de la société de Géographie, V: 5, Mars 1902, p189.

(3) -J. Huguet: Les conditions générales de la vie au Mzab. La médecine et les pratiques médicales indigènes/In/B.M.S.A.P, V° Série, T4, 1903, p239.

## 1- مع أولاد سيدي الشيخ:

أولاد سيدي الشيخ هي قبيلة عربية بالغرب الجزائري، تتربع حاليا على مساحة كبيرة من ولاية البيض، غرب منطقة متليلي، ينتسبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يعود تاريخ دخولهم للمغرب العربي، حسب أغلب الروايات، إلى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث دخل أسلافهم الجزائر بقيادة سيدي معمر بن سليمان العالية مع القبائل الهلالية، واستقروا في القطاع الوهراني؛ وامتدت مناطقهم من حدود الشلف إلى البيض وصولا إلى واحات فجيج بالمغرب الأقصى.<sup>(1)</sup>

برز من أحفاد سيدي معمر التيمي رجل يدعى سليمان بن أبي سماحة<sup>(2)</sup> وظهر بعده حفيده عبد القادر بن محمد المكنى " بسيدي الشيخ"، والذي يعتبر المؤسس والموحد الحقيقي لقبيلة أولاد سيدي الشيخ؛<sup>(3)</sup> وهي التسمية التي أطلقت على البوبكريين الأجواد من بعده إلى حد الآن.

وُلد لسيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا وهم: سيدي الحاج بن الشيخ، سيدي الحاج عبد الحاكم، سيدي الحاج إبراهيم، سيدي أحمد عبد الله، سيدي الحاج أبي حفص، سيدي عبد الرحمان، سيدي المصطفى، سيدي الحاج أحمد، سيدي محمد، سيدي التاج، سيدي بن عيسى لعرج، سيدي زروقي، سيدي الحاج الدين، سيدي حسن، سيدي المدني، سيدي قاسم، سيدي الموسم، وسيدي بونوار الذي دفن بمتليلي.<sup>(4)</sup>

---

(1) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 211.

(2) - سليمان بن أبي سماحة (1461-1539م): هو جد سيدي الشيخ، يلقب بأبي داود سليمان بن أبي سماحة، انتقل إلى فاس بالمغرب فدرس بها وعاد إلى فيقيق حيث كان إماما بقصر لوداغير بالحمام الفوقاني بفقيق، ثم انتقل إلى بني ونيف حيث استقر في المكان المسمى الصالحين، غير بعيد من قصر بني ونيف، أسس هناك زاوية علم فيها طريقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه داعيا للإسلام وبتقفة الأهالي، فكانت هي النواة الأولى لزوايا أولاد سيدي الشيخ؛ وهي معروفة اليوم بزاوية سيدي سليمان بن أبي سماحة. أنظر:

سيف الدين هبية: المرجع السابق، ص 130. / مصطفى حاكمي: ترجمة سيدي سليمان بن أبي سماحة، في موقع الطريقة الشيخية الشاذلية، <http://www.cheikhiyya.com/Sidi-Sliman.php>، 2018/05/13، 9:30.

(3) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 213.

(4) - سيف الدين هبية: المرجع السابق، ص 137.

تكونت بطون قبيلة أولاد سيدي الشيخ من خلفه وتفرعت نسبة لكل ولد على حدة. أصبحت للقبيلة مكانة مرموقة ومتميزة في المناطق التي تواجد بها أعضائها.

بعد وفاة والدهم، سنة 1616م، تنازع أولاد سيدي الشيخ فيما بينهم حول الزعامة الدينية والقيادة السياسية؛ فانقسموا إلى قسمين:

- قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ، حول قبر أبيهم بزعامة الابن الثاني الحاج إبي حفص.

- قسم آخر استقر في الناحية الغربية من القصر، بزعامة الابن الثالث سيدي الحاج عبد الكريم، وعددهم أكبر.<sup>(1)</sup>

عاش القسم الأول حياة الترحال والبدواة مع العبيد والأتباع والخدم، ثم استقروا في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ<sup>(2)</sup> وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، كما أنشأ الفرع الآخر زاوية خاصة بهم أيضا، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

وقد حاولت الإدارة الفرنسية تكريس هذا التقسيم في إطار سياستها الرامية إلى تحطيم نفوذ الأسر الجزائرية الكبيرة؛ ففي خضم حربها مع الأمير عبد القادر عمدت إلى توقيع معاهدة لالة مغنية مع المغرب في 18 مارس 1845م، والتي قسمت قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى فرقتين: أولاد سيدي الشيخ "الشراقة" أو الشرقيين وأصبحوا بموجب الاتفاقية جزائريين. وأولاد سيدي الشيخ "الغرابة" أو الغربيين وأصبحوا بموجب نفس المعاهدة مغاربة.<sup>(3)</sup>

(1) - إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 213.

(2) - الأبيض سيدي الشيخ: بلدية تقع على بعد 130 كلم جنوب مقر ولاية البيض، على ارتفاع 900م عن سطح البحر، تضم أكثر من 200 ألف نسمة، كانت من أهم مراكز القوافل الصحراوية، وهي المدينة المقدسة لدى أولاد سيدي الشيخ لوجود ضريح سيدي الشيخ بها؛ حيث يقام عليه موسم سنوي يجتمع فيه مقادم وفقراء وأحباب الطريقة الشيخية. أنظر: عاشور شرقي: المرجع السابق، ص 45.

(3) - جاء في البند الرابع من هذه المعاهدة: "العرب التابعون للسلطنة المغربية هم المبية، حميان الجنبه عمور الصحراء وأولاد سيد الشيخ الغرابة. أما التابعون للجزائر فهم أولاد سيد الشيخ الشراقة وكل حميان ماعدا حميان الجنبه ". أنظر:

E. Rouard De Card: Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord: Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, A. Pédone Editeur, Paris, 1906, p 337.

وقد وفد أولاد سيدي الشيخ، أو "الزوى" كما يسميهم أهل المنطقة، إلى متليلي منذ نهاية القرن السادس عشر ميلادي بقدوم جدهم الأول سيدي الشيخ ومن بعده ابنه سيدي الحاج بوحفص؛ الذي عاش في متليلي وبين الشعابنة ردحا من الزمن خلال النصف الأول من القرن السابع عشر،<sup>(1)</sup> ومنذ ذلك الحين أصبح الشعابنة يحترمون ويجلون أولاده وأحفاده من أولاد سيدي الشيخ ويقدمون لهم الزيارات والهدايا وغير ذلك.

لذلك فالعلاقة بين أولاد سيدي الشيخ والشعابنة علاقة روحية وتاريخية؛ حيث شاركهم في المقاومات التي ثار خلالها سكان الجنوب على المستعمر؛ وتجسد ذلك خاصة في ثورة أولاد سيدي الشيخ، والشيخ بوعمامة، وبفضل هذه العلاقة الوطيدة مكث أولاد سيدي الشيخ بمتليلي، وأصبحوا أنسابا وأصهارا للشعابنة. فأولاد سيدي الشيخ (الزوى) أثناء نزولهم إلى المنطقة كانوا عبارة عن بعض العائلات في البداية، غير أنهم تكاثروا بمرور الزمن إلى أن ضاقت بهم "شعبة سيدي الشيخ"<sup>(2)</sup> فتوزعوا هنا وهناك عبر مدينة متليلي الشعابنة.<sup>(3)</sup>

وكان شعابنة متليلي يدفعون سنويا وطواعية لأولاد سيدي الشيخ مجموعة من الهدايا والزيارات وقد حددتها المصادر الفرنسية، خلال القرن التاسع عشر بما يلي:

- مائة شاة لسي الدين بن حمزة وسي قدور بن حمزة.

- ثلاثون جملا لسيدي الحاج بوحفص.

- مائة شاة لسيدي الحاج الدين.

إضافة إلى اثني عشر برنوسا تقدم إلى "خادم" سيدي الشيخ دحمان بن الشيخ وهو مقيم في متليلي.<sup>(4)</sup> وأخيرا مجموعة من البرانس وعبايات من الصوف، السكر، القهوة ومواد غذائية أخرى

(1) -A. Coÿne: Op.cit, p 6.

(2) - أحد الأحياء الكبرى لمدينة متليلي الشعابنة، أغلب سكانه من أولاد سيدي الشيخ، يتميز بوجود قبة سيدي الشيخ وكذلك قبة سيدي الحاج بوحفص، إضافة إلى زاوية سيدي أحمد بن بوحفص، يبعد عن وسط المدينة بحوالي كيلومترين جنوبا.

(3) - سيف الدين هببة: المرجع السابق، ص 137.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897, t2, p862 .

تصل قيمتها إلى 1500 فرنك .. كلها ترسل سنويا إلى بوعمامة.<sup>(1)</sup> كل هذه النذور تدفع سنويا عند الخروج إلى الصحراء في بداية فصل الخريف وتحملها العروش الثلاثة لشعابنة برزقة.

ولشدة ولائهم لأولاد سيدي الشيخ، فقد بنى الشعابنة قبة سيدي الشيخ سنة 1881 في المكان الذي صلى فيه بمتليلي، وذلك مباشرة بعد قيام السلطات الاستعمارية بتهدم ضريح الأبيض سيدي الشيخ عقب اندلاع ثورة بوعمامة. وفي نفس الفترة تقريبا تم بناء قبة سيدي الحاج بوحفص بجانب قبة سيدي الشيخ.<sup>(2)</sup> كما كانوا يقومون في كل سنة بإحياء زيارة سيدي الشيخ بمتليلي ويذبحون خمس عشرة شاة وجملين ويعدون مائة قصعة من الطعام توزع على الجالسين من زوار القبة.<sup>(3)</sup>

وقد بلغ من نفوذ عائلة أولاد سيدي الشيخ في المنطقة أنه كان يتعين على كل القوافل التجارية المتجهة إلى ميزاب دفع غرامة قدرها فرنك واحد إلى زاوية سيدي الشيخ عند مرورها بمتليلي. وبمرور الوقت قامت السلطات الفرنسية بإلغاء هذا التقليد.<sup>(4)</sup>

ورغم انقسام أولاد سيدي الشيخ إلى فرعين شرقي وغربي، فإنّ الشعابنة كانوا يجلبون كلا الفريقين. إلا أنهم كانوا في بعض الأحيان يفضلون أحدهما على الآخر على حسب علاقته بالثورة والجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، وقد لاحظ دي لامارتينيار (De La Martinière) تفضيل شعابنة متليلي لبوعمامة، أواخر القرن التاسع عشر، حيث أكد ذلك بقوله: "منذ بضعة سنين، أصبح شعابنة متليلي لا يدفعون الأموال والهدايا لأولاد سيدي الشيخ الشراقة كما كانوا من قبل، وأصبحوا لا يولونهم اهتماما كبيرا. والسبب هو أن الشعابنة - المتطلعين دائما للاستقلال والثورة- أصبحوا لا ينظرون بعين الرضى لخضوع أولاد سيدي الشيخ لفرنسا. لأنهم كانوا دائما ينظرون لأولاد سيدي الشيخ كأبطال تحرير الجنوب فإذا بهم يغادرون الميدان ويقبلون ولو ظاهريا بهيمنة

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 10 مجلدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج4، ص 109.

(2) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p862 .

(3) -Ibid, t2, p861 .

(4) -Ibidem.

فرنسا. إنّ الشعابنة غيروا وجهتهم نحو هذا الذي لازال ثائرا منذ خمسة عشر سنة؛ أي بوعمامة.<sup>(1)</sup>

إذاً فعلاقة شعابنة متليلي بأولاد سيدي الشيخ لم تكن علاقة خضوع وتبعية "عمياء"، وإنما كانت علاقة ودّ واحترام وتبجيل، قد تأثرت في بعض الفترات بالأحداث السياسية خاصة فيما يتعلق بالمحتل الفرنسي، إلا أنها لم تكن تنحو نحو القطيعة.

## 2- مع بني ميزاب:

ينحدر بنو ميزاب من بني مصعب من قبيلة زناتة الأمازيغية، وكلمة "ميزاب" هي تحريف لكلمة مصعب. وسبب تحريف مصعب إلى مزاب؛ هو أنّ من البربر من لا يستطيع النطق بالعين المحققة، وإنما ينطق بها همزة ويسهلها إلى الألف، فقالوا مصعب ثم مصاب ثم مزاب وميزاب. ومصعب هذا هو مصعب بن بادين انتقل بنوه إلى الوادي واستقروا به مع بني إخوته عبد الواد وتجين وزردال.<sup>(2)</sup> يقول ابن خلدون: "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب."<sup>(3)</sup>

وقد سميت المنطقة بهذا الاسم، نسبة إلى وادي ميزاب الذي يقع بها، وهو واد يوزاي وادي متليلي، ويبعد عنه شمالا بـ 30 كلم تقريبا ويسير بنفس الاتجاه كغيره من أودية الشبّكة.

يقع وادي ميزاب في شمال الصحراء الجزائرية، يبعد عن الجزائر العاصمة بـ 600 كلم وعن جنوب الأغواط بـ 200 كلم، ويتكون من سبع مدن، خمسة منها متجاورة: وهي العطف<sup>(4)</sup>،

(1) -Ibid, t2, p862 .

(2) - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992، ص ص 13-14 .

(3) - عبد الرحمان ابن خلدون: العبر، 8 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 2000، ج7، ص 59.

(4) - العطف: أول القرى الميزابية تأسيسا، أسست سنة 402هـ/1012م على يد الشيخ خليفة بن آغور. يقول اطفيش في تسميتها: "سميت لانعطفها جانب الوادي بحيث لا يراها من يسير في جهة الوادي إلى القبلة حتى يصل إليها، ويقال لها العطفاء". أنظر: محمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية في تاريخ بني ميزاب، طبعة حجرية، 1908، ص 37. / بكير بن سعيد أعوش: وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية، المطبعة العربية، غرداية 1991، ص 66.

بونورة<sup>(1)</sup>، مليكة<sup>(2)</sup>، بني يزقن<sup>(3)</sup>، وغارداية<sup>(4)</sup>، واثنان تبعدان عن هذه المجموعة وهما مدينة بريان<sup>(5)</sup> التي تبعد عنها 50 كيلومتر شمالا، ومدينة القرارة التي تبعد بحوالي 100 كيلومتر شرقا.

وبنو ميزاب هم إباضية وَهْبِيَّة نسبة لعبد الله بن وهب<sup>(6)</sup> وليس لعبد الوهاب، كما يقول القطب اطفيش<sup>(7)</sup>، وقد تلقوا أصول المذهب عن إباضية سدراته الفارين من تيهرت بعد سقوط الدولة الرستمية.

وبحكم التجاور، فقد قامت علاقات بينهم وبين شعانبة مثليلي تأرجحت بين التنافس والتنافر حيناً، والتقارب والتعاون أحيانا كثيرة.

وقد حاولت الكثير من الكتابات الفرنسية التركيز على مظاهر العداء بين الطرفين؛ فقاموا بتضخيم بعض الخلافات والاشتباكات، إلا أنهم أغفلوا الكثير من مظاهر الترابط والتعاون، وذلك

---

(1) - بونورة: أنشأت سنة 437هـ/1045م من طرف أولاد ابي اسماعيل، يقول اطفيش: "وتسمى أيضا نورة نسبة إلى امرأة كانت تبيع النورة وهي المغرة أو الجير" أنظر: محمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص35. / بكيير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 67.

(2) - مليكة: أسست سنة 750هـ/1350م من طرف أولاد عمي عيسى مستعينين بمجموعة إباضية صغيرة قادمة من مثليلي، أما عن تسميتها فيقول اطفيش: "سميت باسم امرأة تسمى مليكة" أنظر: محمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص35. / Charles Amat: Op.cit, p18.

(3) - بني يزقن أو بني يسجن: أنشأت سنة 721هـ/1321م باندماج خمس قرى قديمة وهي: بوكياو، موركي، ترشين، وأجنوناي، وتفيلالت. أنظر: بكيير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 68.

(4) - غارداية: غرداية- تغردايت، أنشأت بعد العطف وبونورة سنة 447هـ/1053م، وأول من سكنها الشيخ بابا والجمة والشيخ بابا السعد، يقول اطفيش: "سميت باسم الغار وهو الكهف في الجبل واسم امرأة نزلت به وهو إلى الآن معروف" أنظر: محمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص34. / بكيير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 67.

(5) - بريان: أنشأت سنة 1060هـ/1690م من طرف العفافة ثم التحقت بهم جماعات من وادي ميزاب. أنظر: بكيير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 70.

(6) - عبد الله بن وهب الراسبي(ت 38هـ/658م): من أئمة الإباضية. كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة وكان عجا في العبادة. أدرك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص. ثم كان مع عليّ في حروبه. ولما وقع التحكيم أنكره جماعة، فيهم الراسبي، فاجتمعوا بالنهروان (بين بغداد وواسط) وأمروه عليهم، فقاتلوا عليا، وقتل الراسبي في هذه الواقعة. أنظر: الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص143.

(7) - محمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص80.

في إطار سياسة فرق تسد التي ينتهجها منظرو الاستعمار من الكُتّاب والمؤرخين. إلا أنّ تاريخ العلاقات بين الطرفين مليء بمظاهر التعاون والترابط يكاد يطغى عن الجوانب الأخرى ومنها:

### أ- العلاقات السياسية والاجتماعية

رغم الاختلاف المذهبي بين شعانبة متليلي المالكيين وبنو ميزاب الإباضيين إلا أنّ ذلك لم يمنع من حدوث تزواج واختلاط بين الفريقين على مدى قرون عديدة؛ فاختلاط الدماء بالمصاهرة وترطيب القلوب بالمجاورة يؤدي إلى رآب النزاعات وطمر الخلافات.

وقد حاول وجهاء وأعيان المنطقة وضع حد لبعض تلك الخلافات؛ حين قاموا بإجراء تبادل للعائلات بين قبيلتي الشعانبة وبنو ميزاب، ويبدو أنّ العامة لم يكونوا أقلّ حكمة من هؤلاء الوجهاء؛ ذلك أنّ رضى مجموعة من العائلات من كلا الجانبية بالتنقل إلى العيش في كنف الطرف الآخر، والاختلاط بهم في سبيل الحفاظ على السلام والوئام يعتبر قمةً في الايثار، وفي بذل النفس والأهل، يقول أعوش: "هناك عدة عائلات من متليلي لها صلة النسب والقراية بعائلات إباضية إلى يومنا هذا."<sup>(1)</sup>

ففي سنة 1388م قدمت اثنتا عشر عائلة ميزابية من مليكة، واستقرت في متليلي، وتخلت عن المذهب الإباضي،<sup>(2)</sup> في مقابل انتقال اثني عشر عائلة أخرى من متليلي واستقرارها في مليكة. ويبدو أنّ هذا التبادل لم يكن هو الأول؛ فيذكر أمات (Amat) أنه في سنة 1350م طُردت فرقة إباضية صغيرة من متليلي، وتقوّت ببعض العائلات من أولاد عمي عيسى الذين قدموا من غارداية، واشتركوا في تشييد مليكة.<sup>(3)</sup> وهذا يدل على أنّ العائلات الاباضية كانت متساكنة مع العائلات الشعانبية في متليلي منذ مطلع القرن الرابع عشر، أو ربما قبل ذلك.

لقد نص الاتفاق الذي كان بين قصر متليلي وقصر مليكة، سنة 1388م، على تحالف عسكري يقوم بموجبه شعانبة متليلي بنصرة عرش مليكة ضد الصراعات التي كانت بينه وبين قصري غارداية وبنو يزقن، كما سُمح لميزابيين مليكة بزراعة النخيل في واحة متليلي بسبب التضييق

(1) - بكير بن سعيد أعوش: وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية، المطبعة العربية، غرداية 1991، ص 71.

(2) - Yves Régner: Op.cit, p9.

(3) - Charles Amat: Op.cit, p18.

الذي تعرضوا له في وادي ميزاب.<sup>(1)</sup> ولضمان تطبيق بنود هذا الاتفاق فقد تم تنقل عائلات شعانية من متليلي واستقروا في ربع قصر مليكة عند باب لطرش وقد ظلوا مالكية، بينما انتقلت العائلات الميزابية إلى قصر متليلي وسكنوا باب دبونة، وبمرور الوقت تخلوا عن مذهبهم وأضحوا يشكلون عنصرا فاعلا في النسيج الاجتماعي لشعانة متليلي.

والجدير بالذكر أنّ هذه ليست المرة الوحيدة التي يتدخل فيها شعانة متليلي في الصراعات داخل القصور الميزابية؛ فقد استعان ابراهيم بن بوهون زعيم الصف الغربي بالقرارة بقايد متليلي أحمد بن أحمد الشلقي لسحق منافسيه من الصف الشرقي والاستفراد بحكم القرارة سنة 1863م، وهذا ما أدى إلى غضب سلطات الاحتلال وقيامها بالانتصار للصف الشرقي وملاحقة ابراهيم بن بوهون وحليفه أحمد بن أحمد،<sup>(2)</sup> وقد أدت تبعات هذه الأحداث إلى اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م، كما سنرى لاحقا.

وقد رد أصحاب الصف الغربي هذا الجميل، حين قاموا بإيواء الثائر أحمد بن أحمد الشعاني وأصحابه من شعانة متليلي بعد هروبهم من سجن الجلفة سنة 1881، وهذا ما اعتبرته السلطات الاستعمارية خرقا من طرف الميزابين لمعاهدة الحماية وجعلت هذا التصرف من بين الذرائع التي تذرعت بها لإلحاق ميزاب يوم 7 ديسمبر 1882.<sup>(3)</sup>

### ب- العلاقات التجارية:

رغم خبرة بني مزاب التجارية في الشمال الجزائري إلا أن ذلك لم يغنهم عن الاستعانة بشعانة متليلي لتسيير قوافل التجارة الصحراوية، كما أنّ الشعانة المسيطرين على القسم الشمالي للصحراء حتى توات وعين صالح قد وجدوا في بني مزاب عوناً على الولوج إلى أسواق الشمال الجزائري.

---

(1) -Abou Zakaria: Chronique d'Abou Zakaria, Trad: Emile Masqueray, Imprimerie de L'association Ouvrière V. Aillaud et Cie, Alger 1878, Introd. p vi.

(2) -Calassanti-Motylnski: Guerara depuis sa fondation, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur Alger 1885, p 63.

(3) -Charles Amat: Op.cit, p25.

ويذكر يوسف بن الحاج سعيد أنّ موكباً تجارياً لبني ميزاب يضم حوالي ثلاثين مالكيّاً من منطقة ميزاب، أغلبهم شعانية، تعرض في طريقه نحو الشمال، سنة 1640م، لهجوم من قطاع الطرق على بُعد مرحلتين من الحلفة، فساند الشعانية رفقاءهم بني مزاب في صد هذا الهجوم، مما أدى إلى وقوع معركة بينهم وبين المهاجمين أسفرت عن قتل العديد من المهاجمين، مما دفعهم إلى الفرار. بعد هذه الحادثة عقد بنو ميزاب والشعانية حلفاً تجارياً بباب الواد بمدينة الجزائر سنة 1642م، وقرروا فيه انضمام الطرفين، وتعاونهما في التجارة والأسفار، وفي صد الهجومات على القوافل... وغيرها.<sup>(1)</sup>

ويبدو أنّ هذا الاتفاق قد أثمر تعاوناً بين شعانية متليلي والميزابيين في المجال التجاري؛ وفي هذا الصدد يقول الضابط كويين (Coÿne): "رغم الخلاف الذي بين الشعانية وبني ميزاب إلا أنّ الشعانية يقومون بنقل بضائع بني ميزاب إلى أسواق توات قورارة وتديكليت التي يختلفون إليها بانتظام."<sup>(2)</sup> ويضيف أنّ بني مزاب كانوا يجلبون بواسطة الشعانية من أسواق الجنوب الغربي الحناء، المصنوعات الحديدية، الخردوات، الزنجيات، وغيرها من المواد المجلوبة من تافلات.<sup>(3)</sup>

وكان بنو ميزاب في بعض الأحيان، لا يذهبون بأنفسهم إلى توات، ولكن يعقدون الصفقات التجارية مع تجار هذه المنطقة بواسطة وكلائهم الشعانية؛ الذين يجلبون لهذه المنطقة القمح والصابون والشمع والتبغ والسكر والقهوة إلخ..، ويبادلونها بالفيلاي ريش وبيض النعام، حبال النخل، جلود الطباء والفهود، أدوات وأسلحة التوارق، الجلود المدبوغة، العاج، البخور، الحنة، الشبّ، الملح الصخري، الأحمر... وبالأخص العبيد السود والإماء.<sup>(4)</sup>

وهكذا نجد بأنّ كلاً من شعانية متليلي وبني ميزاب كان كل منهما في حاجة إلى الطرف الآخر ومتعاوناً معه في أغلب الأحيان، على عكس ما أشاعه الكثير من المغرضين من أتباع المدرسة الاستعمارية.

(1) - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص ص 47-48.

(2) -A. Coÿne: Op.cit, p 7.

(3) -A. Coÿne: Le Mzab/In/ R.A., V23, 1879, p 201.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t3, p435 .

### 3- مع التوارق:

التوارق هم قبائل رحل ينحدرون من أصول أمازيغية في منطقة شمال أفريقيا. وقد استوطنوا لمئات السنين منطقة الساحل؛ حيث تجوب قوافلهم التجارية منطقة الصحراء الكبرى، من غات حتى توات، بهدف الاتجار في التمور والعطور والتوابل والعبيد. وكلمة توالاق مفردها باللغة العربية تارقي. أما التوارق فيسمون أنفسهم إيموهاق (Imohag) ولغتهم تماشاق أو تيمهاغ (Temahag).<sup>(1)</sup>

ويُعرف التوارق باسم رجال الصحراء الزرق وذلك بسبب ملابسهم ذات اللون النيلي، وكذلك بالملثمين لعمائمهم التي يستخدمونها أيضا لتغطية أفواههم.<sup>(2)</sup>

يعيش التوارق في الصحراء الكبرى وجزء من الساحل، ويتوزعون على شكل قبائل صغيرة هي كالتالي: قبيلة "آجار" ويمتد وجودها من أقصى الجنوب الشرقي الجزائري؛ جبال الطاسيلي ناجار تحديداً، إلى ليبيا، قبيلة "أهقار" ويمتد وجودها من أقصى الجنوب الجزائري إلى دولة النيجر، قبيلة "آزاواد" وتستوطن دولتي النيجر ومالي، قبيلة "آير" موجودة بالنيجر، وقبيلة "تاداماكا" بمالي.<sup>(3)</sup>

كانت هذه القبائل إلى وقت غير بعيد كثيرة التناحر فيما بينها يغزو بعضها بعضاً لأدنى الأسباب، وغالباً ما كان السبب نزاعاً على مناطق الرعي أو أماكن وجود المياه؛ مثل النزاع الذي كان قائماً بين توارق آسجر التاسيلي وتوارق الهقار.<sup>(4)</sup>

---

(1) - عبد الرحمان تشايحي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، تر: علي اعزازي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1982، ص 57.

(2) - محمد بن عثمان الحشائشي: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، تح: علي مصطفى المصراقي، دار لبنان، ص ص 118-123.

(3) - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 175.

(4) -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie Première Partie. Ce qu'ils sont - Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger 1929, p79.

وكان لكل قبيلة منهم زعيم يطلق عليه باللهجة التارقية "أمينوكال" يقودهم في الحرب وعليه تعود مسؤولية حماية القبيلة وتسيير شؤونها. كما ينقسم المجتمع التارقي إلى طبقات: المحاربون ورجال الدين وهم الطبقة الراقية، الحرفيون يشكلون الطبقة المتوسطة، والخدم وهم الطبقة الدنيا.<sup>(1)</sup>

يتحدث التوارق لهجة مشتركة تُسمى اللهجة التارقية، ولهم ديانة واحدة؛ هي الاسلام، ورغم لهجتهم البربرية إلا أنّ الكثير من كبار السن التوارق ينسبون أنفسهم إلى العرب، ويقولون أنهم من حَمير جاؤوا إلى منطقة الشمال الافريقي بعد خراب سد مأرب.<sup>(2)</sup>

وكما أشرنا من قبل، فإنّ مناطق نفوذ الشعابنة تمتد حتى عين صالح جنوبا؛ لأنه بداية من عين صالح تبدأ مناطق نفوذ التوارق، حتى أنّ كثيرا من المؤرخين يقسمون الصحراء إلى قسمين صحراء شعابنية شمالا، وصحراء تارقية جنوبا؛<sup>(3)</sup> ولذلك فقد طغى التنافس على علاقة الفريقين في سبيل توسيع مناطق نفوذه على حساب الفريق الآخر،<sup>(4)</sup> وقد ترجم ذلك إلى العديد من الحروب والاشتباكات المسلحة بينهما، ويذكر رينيه أنه خلال خمسة قرون كان الشعابنة يدخلون في حروب مع التوارق وقبائل رعوية أخرى في الهضاب العليا والصحراء.<sup>(5)</sup>

وحسب ما أورده الضابط كويين،<sup>(6)</sup> فقد كان آخر صدام وقع بين الفريقين، قبل وصول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة، سنة 1833؛ بعد ذلك تم توقيع السلام بين الشعابنة والتوارق، وذلك في حاسي بركاوي<sup>(7)</sup>. وقد استمر هذا السلام إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر حسب شهادة الضابط كويين دائما.

---

(1) - أ. و. بوفيل وروبين هاليت: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1988، ص 100.

(2) - محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ج1، ص 65.

(3) -Yves Régnier: Op.cit., p143.

(4) -P. Passager: Op.cit., p 511.

(5) -Yves Régnier: Op.cit., p132.

(6) -A. Coÿne : Op.cit., p 9.

(7) - حاسي بركاوي: تبعد عن مدينة متليلي الشعابنة جنوبا بحوالي 77 كلم جنوبا وتقع في وادي ثغير، تعد من المناطق التي يلجأ إليها الشعابنة في حال الخطر، ويتوقفون عندها في رحلاتهم، وقد ذكر العياشي أن اسمها "أبو الرغاوي" وأن بها مصلى سيدي الحاج بوحفص، وقبور بعض الصالحين. أنظر:

ويبدو أنّ هذا السلام قد أثمر تقاربا بين الفريقين؛ إذ أصبح بإمكان التوارق الدخول إلى متليلي وحتى الإقامة فيها، كما أصبح بإمكان شعابنة متليلي الوصول بقوافلهم التجارية إلى أقصى الجنوب من بلاد التوارق؛ فيحكي دوماس عن تلك القافلة التجارية التي خرجت من متليلي نحو بلاد التوارق وكان دليلها تارقي يدعى شقوان كان مقيما ومتزوجا في متليلي منذ سنة 1839.<sup>(1)</sup>

ومع توغّل الاستعمار الفرنسي في الصحراء بدأ يُعدّ العدة لإذكاء العداوة بين الفريقين، وذلك في سبيل توسيع سيطرته على مناطق أوسع في الصحراء الجزائرية، فنجد تارة يفضل هذا الطرف على ذلك؛ كما جاء في الوثائق الرسمية لحكومة الجزائر: "هناك بين الشعابنة والتوارق كراهية شديدة وحرب دائمة. إنّ التوارق، مثل كل البربر، هم الظاهرة المتخلفة والمنبوذة. في حين أنّ الشعابنة هم على اتصال مع الحضارة في المنطقة الشمالية، حين يتحكمون بكل المنافذ المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى الجزائر انطلاقا من الموانئ والمدن الكبرى أين يشترون البضاعة؛ عكس التوارق الموجودين في قلب وأطراف الصحراء."<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ الفرنسيين لا يكتفون وُدّا لا للشعابنة ولا للتوارق ولا لغيرهما من القبائل الجزائرية القوية، وإنما هي سياسة يعتمدونها لتفكيك نفوذ هذه القبائل وإذكاء العداوة بينها لإضعافها؛ وقد صرحوا بذلك في وثائقهم الرسمية: "سياستنا في الصحراء، هي سياسة لايرين (Laperrine)<sup>(3)</sup>، تقوم على أساس أذكاء العداء بين الشعابنة والتوارق، لأنّ هذا العداء قد مكننا من النجاح في السيطرة على الجنوب."<sup>(4)</sup>

---

عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ج1، ص 115. وأنظر أيضا:

A. Cauneille: Op.cit, p242.

(1) -Eugène Daumas: Op.cit., p328.

(2) -Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit., p74.

(3) - لايرين (Laperrine François Henri)(1860-1920) : جنرال فرنسي شارك في غزو الصحراء والسودان، أسس فرق الميهاريست الصحراوية التي ترأس قيادتها من 1901 إلى 1914، دخل عين صالح سنة 1904 مع الأب شارل دوفوكو، والفلكي نوال فيات. عاد من الصحراء بعد الحرب العالمية الأولى، وتوفي في حادث سقوط طائرة، خلال أول رحلة جوية بين الجزائر وتمبوكتو. انظر:

Philippe Decraene et François Zuccarelli : Grands sahariens, Denoël Editions, Paris 1994, p 267.

(4) -Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p75.

وينبغي الإشارة هنا إلى التمازج والتعاون الذي كان بين الشعانبة والتوارق خلال المقاومات والثورات التي شهدتها مناطق الجنوب، والتي أعاققت تقدم القوات الفرنسية؛ مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ، ثورة الشريف بوشوشة، و ثورة الشيخ بوعمامة... والتي سنشير إليها في مواضعها خلال فصول هذه الدراسة.

## المبحث الثالث:

### الأوضاع الاقتصادية

لمواجهة صعوبة الجغرافيا ووعورة التضاريس وقساوة المناخ، فقد كان شعابنة متليلي يمتنون عدة مهن لتحسين أوضاعهم الاقتصادية خلال القرن التاسع عشر، ويمكننا أن نميز نشاطين رئيسيين هما: الرعي والزراعة، والتجارة.

#### أولا: الرعي والزراعة

كما أشرنا سابقا فقد كان أغلب سكان منطقة متليلي الشعابنة يعيشون الحياة الرعوية؛ إذ أن أكثر من ثلثهم يعيشون في البادية ويقتسمون موسمهم بين الرعي والواحة؛ التي يدخلونها في نهاية فصل الحرارة لجني التمور. ثم يخرجون بعد ذلك من الواحة قاصدين أماكن الرعي حيث لا يذهبون - في الغالب- أبعد من 200 أو 300 كلم من واحة متليلي.<sup>(1)</sup> لكن مناطق الرعي عند الشعابنة أكبر من تلك المساحة فهي تمتد من الحدود الطرابلسية شرقا حتى العرق الغربي الكبير غربا، كما يقول رينيه (Régnier).<sup>(2)</sup>

ورغم ذلك فقد كان شعابنة متليلي (البدو) يقومون بعدة زراعات موسمية، بعد هطول الأمطار وجريان الوديان، وذلك في عدة مناطق من الشبّكة<sup>(3)</sup> منها: واد الطويل، واد سبب، واد مسين، سيدي مناع، أوريقنو بواد مزاب، نشو بواد النسا، عدة ضايات في القعدة، وحتى في أعالي واد مزاب. وقد تمثلت هذه الزراعات خاصة في زراعة الحبوب، وكانوا يجلبون آلات الحرث من التل أو من الصناعات في متليلي.<sup>(4)</sup>

كما كانوا يقومون بزراعة الأراضي المنخفضة على ضفاف الوديان والشعاب، والتي تتميز بعدم انتظام سقيها- وذلك تبعا لفيضان السيول. هذه الأراضي تابعة للقبيلة أو العرش، يقوم

---

(1) -P. Passager: Op.cit., p 526.

(2) -Yves Régnier: Op.cit., p30.

(3) - الشبّكة: هي منطقة تضاريسية تحتوي على مجموعة من الهضاب الصخرية المتشابكة يجري بينها الشعاب والوديان، وهذا ما تتميز منطقة متليلي الشعابنة والمناطق القريبة منها.

(4) -A. Cauneille: Op.cit, p128.

الأعيان كل سنة بتعيين من له الحق في استغلالها. وقد أدرجت لجنة المجلس المشيخي<sup>(1)</sup> (Sénatus-Consulte) هذه الأراضي ضمن أراضي العرش؛ أي الأراضي المشاعة والتي ليست موضوعا للبيع أو الهبة ولا تخضع للعرف، ولكن كل خيمة لها الحق في قطعة من هذه الأراضي في حالة التقسيم.<sup>(2)</sup>

وقد ازدادت نسبة البداوة لدى شعابنة متليلي بعد وصول الاحتلال الفرنسي؛ وقد أكتشف صولييه ذلك سنة 1874 حينما لاحظ أنّ: "الشعابنة هم رحل. ومع ذلك، فإن هناك أعدادا منهم تعيش في قصر متليلي لرعاية الحدائق وبيوت إخوانهم الذين يجوبون الصحراء بقطعاتهم. وأضاف أن الشعابنة الرحل يعيشون بعيدا عن المدينة؛ أي أنهم لا يعيشون في منازلهم إلا بشكل مؤقت. وفي كل عام كل الشعابنة يأتون في مناسبتين اثنتين للتخييم حول الواحات؛ المرة الأولى هو في موسم زج شعر الأغنام، والثانية في وقت جني التمور." <sup>(3)</sup>

ويبدو أن السبب في زيادة تلك النسبة يرجع إلى كره شعابنة متليلي للاستعمار وتخوفهم من أعمال انتقامية عقب كل مقاومة أو ثورة كانوا يشاركون فيها.

وقد وصف ترميلي واحة متليلي بأنها غنية بأشجار النخيل التي كانت تمتد على مسافة أربعة كيلومترات؛ كما أن هذا النخيل ينتج أجود أنواع التمور، وأن الشعابنة كانوا يستغلون المساحات الفارغة بين النخيل لزراعة بعض الخضروات والفواكه الموسمية؛ التي يقومون بسقيها من الآبار المنتشرة في بساتين الواحة.<sup>(4)</sup>

---

(1) - لجنة المجلس المشيخي: تشكلت يوم 22 سبتمبر 1863، وقد جاءت في إطار السياسة الإصلاحية لنابليون الثالث، كان هدفها اصلاح نظام ملكية الأراضي في الجزائر. وقد عملت على احصاء الأراضي التابعة للقبائل الجزائرية بهدف الاعتراف بملكية هذه القبائل لها. لكنها لم تستمر طويلا إذ تم التخلي عنها بعد سنة 1870 إثر سقوط الامبراطورية الثالثة واندلاع ثورة المقراني. أنظر:

Didier Guignard: Conservatoire ou révolutionnaire ? Le sénatus-consulte de 1863 appliqué au régime foncier d'Algérie, In Revue d'Histoire du XIX<sup>e</sup> siècle, N41, 2010, pp 81-85

(2) - Yves Régnier: Op.cit, p139.

(3) - Paul Solleillet: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, Imprimerie de F. Seguin Aîné, Avignon, 1877, p85.

(4) - C. Trumelet: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885, p 367.

وهو ما شاهده أيضا دوفرييه، الذي أثنى على جودة تمر متليلي، وقال أنّ الشعابنة كانوا يقومون بزراعة بعض الخضروات والفواكه، خاصة "الفقوس" الذي يصل طوله حتى ثمانين سنتيمتر، والذي يتحول عند نضجه إلى بطيخ ذي مذاق رائع.<sup>(1)</sup> كما أنه وجد في واحة سبب بعض الشعير المزروع أيضا.<sup>(2)</sup> بينما ذكر كوناى أنه في سنة 1896، كان تعداد النخيل في متليلي 27049 نخلة، بمعدل 20 نخلة لكل عائلة.<sup>(3)</sup>

### ثانيا: التجارة

إنّ الطابع الرعوي لنشاط شعابنة برزقة، ومعرفتهم بمسالك الصحراء قد أهّلهم لأن يقتحموا التجارة، ويبدعوا في تسيير القوافل التجارية العابرة للصحراء خلال القرن التاسع عشر؛ وقد اعترف فيليكس (Félix) بذلك؛ حين أكد بأنّ القوافل التجارية التي تتحرك من البيض نحو منطقة قورارة وتوات، لا يمكن أن تُسيّر إلا بواسطة أدلاء أكفاء؛ خاصة من الشعابنة الذين هم تجار محترفين لهم خبرة كبيرة بمسالك هذه المناطق الخالية.<sup>(4)</sup> ويذكر التلاني في هذا الصدد أنه رافق موكبا تجاريا لشعابنة برزقة في رحلته من تيممون إلى مدينة الجزائر سنة 1816م؛ حيث أوصلوه إلى متليلي، ومنها أكمل رحلته.<sup>(5)</sup>

لقد كان حجم النشاط التجاري بين الجزائر ومناطق وسط أفريقيا، عند وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، في بداية القرن السادس عشر، قد بلغ مستوى كبيرا. وكانت متليلي كغيرها من مدن الكبرى في الصحراء، مثل ورقلة، نقوسة، توقرت، غارداية والأغواط، قد اغتنت من هذه

---

<sup>(1)</sup> - ذكر دوفرييه أنه "الخيار". وبالفعل "الفقوس" يشبه الخيار وقد يُستخدم في السلطات مثل الخيار قبل نضجه، لكن هو أكبر من الخيار في الطول، وعند نضجه يصبح بطيخا. أنظر:

Henry Deverier: Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili, p582.

<sup>(2)</sup> -Henry Deverier: Coup d'œil sur les pays des Beni-M'zab et sur celui des Chaanba Occidentaux, p139.

<sup>(3)</sup> -A. Cauneille: Op.cit, p182.

<sup>(4)</sup> -Félix Jacquot: Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en avril et mai 1847, Gide Et J. Baudry, Libraire-Editeur, Paris, 1849, p184.

<sup>(5)</sup> - عبد الرحمان التلاني: رحلة التلاني إلى ثغر الجزائر، مخ، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، أدرار، وق 1.

التجارة،<sup>(1)</sup> وقد اشار ليون الأفريقي إلى هذا.<sup>(2)</sup> ولكن بعد الفتح العثماني، بدأت هذه التجارة تندهور تدريجيا، وعندما وصل الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة، لم يبق منها سوى القليل.<sup>(3)</sup> وكانت متليلي، قبل وصول الاستعمار الفرنسي إليها هي بوابة الجزائر جنوبا نحو السودان، وكانت تشكل حدا طبيعيا لجنوب الجزائر.<sup>(4)</sup>

ويذكر ماك كارثي (Mac Carthy)<sup>(5)</sup> أن تجارة الجنوب الجزائري مع تونس كانت تمتد على طريق طوله 1000 كلم، بدايةً من متليلي إلى غاية تونس مرورا بتوقرت وسوف وواحات الجريد التونسي.<sup>(6)</sup> لقد كانت التجارة في متليلي هي تجارة عبور حيث يجلب الشعانبة لميزاب الشب والملح الصخري والحنة والحمير من تافلات وخاصة العبيد والإماء السود.<sup>(7)</sup>

أما زيت الزيتون المنتج في بلاد القبائل؛ فقد كان يُسوّق من منطقة انتاجه إلى بوسعادة بواسطة القبائل، ومن بوسعادة إلى متليلي بواسطة أولاد نايل، ومن متليلي إلى المنعفة ومنها إلى توات بواسطة الشعانبة، ومن توات إلى تمبوكتو بواسطة الطوارق.<sup>(8)</sup>

وكانت تجارة العبيد رائجةً قبل توغل الاستعمار الفرنسي، ويذكر أمات أن الشعانبة كانوا يأتون بالعبيد السود من افريقيا إلى ميزاب.<sup>(9)</sup> ويؤكد دوفرييه أنّ غالبية أعداد العبيد السود التي يأتي

---

(1) -Oscar Mac Carthy: Géographie Physique Économique et Politique de l'Algérie, Dubos Frère Imprimeur – Editeur, Alger 1858, p 235.

(2) – الحسن الوزان: وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983، ج 2، ص 135.

(3) -Oscar Mac Carthy: Op.cit, p 235.

(4) -Rozet Claude-Antoine et Autres: Algérie Etats tripolitains Tunis, Firmin Didot Frères Editeurs, Paris, 1850, p3.

(5) – ماك كارثي (Mac Carthy Oscar)(1825-1913): جغرافي ورحالة فرنسي، رافق دوفورييه إلى الأغواط سنة 1857، عين رئيسا لمكتبة الجزائر. انظر:

Philippe Decraene et François Zuccarelli : Op.cit, p 267.

(6) -Oscar Mac Carthy: Op.cit, p 231.

(7) -Paul Solleillet: Op.cit, p 131.

(8) -Rozet Claude-Antoine et Autres: Op.cit, p157.

(9) -Charles Amat: Op.cit, p212.

بها التجار الشعابنة إلى المنطقة تأتي من عين صالح... ويضيف: "لقد رأيت في متليلي زنجية جميلة قد بيعت ب365 فرنكا."<sup>(1)</sup>

أما دوماس فيحدثنا عن تاجر شعابني من متليلي يسمى سي الحاج محمد، كان كثير التردد على مناطق الهاوسا<sup>(2)</sup> في افريقيا ما وراء الصحراء؛ والتي تبعد بحوالي 2500 كلم من متليلي؛ حيث كان يجلب منها العبيد. ويصفه دوماس بأنه كان مغامرا وشجاعا وذكيا، وقد وصل بتجارته آخر مرة؛ أواخر أربعينات القرن التاسع عشر، حتى زندار (Zendeur) جنوب قاشنة (Kachena) حيث جلب منها 5000 عبدا، ولكي يتجنب التوارق الذين كانوا يترصدونه في آبار عَسَاوة، فقد فضل الانحراف غربا نحو فزان<sup>(3)</sup> حتى وصل إلى طرابلس؛ أين باع من بقي من هؤلاء العبيد حيا، ثم ذهب إلى بنغازي ومنها إلى القاهرة ثم مكة أين حج، ثم رجع عن طريق السويس إلى الاسكندرية، ومنها استقل باخرة لتوصله إلى تونس، ومن تونس ذهب إلى مدينة الجزائر مارا بعنابة، ومن الجزائر رجع إلى متليلي.<sup>(4)</sup>

(1) -Henry Deverier : Op.cit, p136.

(2) - الهاوسا أو الهوسا (Haoussa) أقدم سكان غرب إفريقيا. ويبلغ تعدادهم حوالي 23 مليون نسمة. ويشكلون تجمعا ثقافيا وسياسيا مهما في شمالي نيجيريا وجنوبي النيجر. وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين شاركت هذه الولايات المستقلة في تجارة الذهب والفضة على نطاق واسع. وفي أوائل القرن التاسع عشر، قام متمردو الهوسا والفولاني المسلمون بغزو العديد من الولايات، وأنشأوا إمبراطورية الهوسا. بعد ذلك استعمر الإنجليز نيجيريا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن معظم المناطق الخاضعة لإمبراطورية الهوسا ظلت مستقلة. ثم نالت نيجيريا استقلالها عام 1960م، ومنذ ذلك الوقت وقبائل الهوسا تلعب دورا رئيسيا في السياسة النيجيرية. أنظر: الموسوعة العربية العالمية: 22 جزءا، دار الفكر، دمشق 2010، ج10، ص480./حسين محمد نصار وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت 2010، ج7، ص3486.

(3) - فزان: هي المنطقة الجنوبية الغربية من ليبيا. معظمها أراض صحراوية لكن تكثر بها الجبال الصخرية، المرتفعات والأهوار الجافة والوديان في الشمال. كما تكثر بها الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى التي تعتمد عليها بعض القرى في مصادر المياه، إلا أن المصدر الرئيسي للمياه بفزان هو المياه الجوفية. ويذكر الحشائشي أن حدودها تمتد من حدود سرت من الجهة الشرقية إلى القاطرون من أعمال مرزق من الجهة الغربية المائلة للجنوب يسيرا. أنظر: محمد بن عثمان الحشائشي: المصدر السابق، ص74.

(4) -Eugène Daumas: Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (royaume de Haoussa), Imprimerie et Librairie centrales de Napoleon Chaix et C<sup>ie</sup>, Paris 1848, pp xii- xiii.

ومن هنا جاءت لدوماس فكرة تأليف كتابه: "الصحراء الكبرى، أو مسار القافلة الصحراوية إلى بلاد العبيد السود (مملكة الهاوسا)؛" حيث اعتمد فيه بشكل شبه كلي على روايات ومغامرات هذا التاجر الشعاني، وجعل انطلاق هذه القافلة من متليلي نحو بلاد الهاوسا.

لقد أدى تغلغل الاستعمار الفرنسي نحو الجنوب إلى انهيار التجارة عبر الصحراء بعد احتلاله منافذ الصحراء الشمالية مثل بسكرة ورقلة والأغواط، وقد نجم عن ذلك انهيار تجارة القوافل والتي استبدلت بالدكاكين والمخازن المتمركزة في شمال الصحراء.<sup>(1)</sup>

وحتى بعد وصول القوات الاستعمارية إلى متليلي فقد بقيت الحركة التجارية نشيطة ولكن بوتيرة أقل، ويعبر عن هذا الوضع التاجر صوليه الذي دخل متليلي سنة 1874 بقوله: "إنّ الزائر لمتليلي والناظر لمساكنها البسيطة بلا حوانيت يعتقد أنّها مدينة ميتة اقتصاديا، لكنه مخطئ كليا، ذلك أنه يمر بمتليلي حركة تجارية معتبرة من قورارة وتيديكلت نحو ميزاب."<sup>(2)</sup> وبعد عودته من عين صالح سنة 1874 قام صوليه بدراسة تجارة العبور لمتليلي، وأشار إلى أنّ من بين أهم منتجات قورارة وتيديكلت<sup>(3)</sup> المجلوبة إلى متليلي هي الشب والملح الصخري.<sup>(4)</sup> وقد استخدم شعابنة متليلي الملح الصخري المجلوب من تافالالت في صناعة البارود.<sup>(5)</sup>

إنّ امتهان الشعابنة لرعي المواشي والإبل قد ساهم في اقتصاد متليلي، خاصة الصوف الذي يباع في أسواق توات وميزاب بأسعار باهضة، كما أنّ الكثير من قطعان الأغنام والماعز يبيعه الشعابنة في أسواق توات وقورارة.<sup>(6)</sup>

---

(1) - جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994، ص 150.

(2) -Paul Solleillet: Op.cit, p 131.

(3) - تيديكلت: تقع منطقة تيديكلت في أقصى الجنوب الجزائري، بين خطي عرض 26-30 درجة شمالا وخطي طول 1 غربا و6 شرقا، يجدها من الشمال هضبة تادمايت، ومن الجنوب منطقة الهقار ومن الشرق إغركان ومن الناحية الغربية منطقة توات و صحراء تانزروفت، تحتوي المنطقة على سبعة تجمعات كبيرة تزيد عن خمسة وأربعين قصرا، ومن أكبر حواضرها مدينة عين صالح. أنظر: ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 453.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t3, p 270.

(5) -Ibid, t3, p436 .

(6) -Paul Solleillet: Op.cit, p 131.

لقد كانت التجارة أمراً حيويًا لدى شعابنة متليلي، حتى أنّ التاجر صولييه أشار إلى أنّ رضى الشعابنة عن قيادهم يكون بقدر حركية تجارتهم؛ بقوله أنّ "سلطة قايد متليلي سليمان بن مسعود على مواطنيه الشعابنة كانت مرتبطة بما يمكن أن يوفره لهم من السلام والتجارة ومنحهم سبل العيش".<sup>(1)</sup>

لذلك فقد أعطت سلطات الاحتلال لقايد متليلي بعض الصلاحيات على التجارة العابرة من الجنوب نحو الشمال؛ نستشف ذلك من مراسلة الشيخ بن الحاج موسى من فقارة الزوى المؤرخة بيوم 14 مارس 1874 إلى غرفة التجارة بالجزائر: "لقد قال لنا بنو ميزاب أننا ملزمون بدفع الضرائب إلى قايد متليلي إذا أردنا أن ننقل بضاعتنا لمبادلتها في الأغواط".<sup>(2)</sup>

ولما حاول بعض التجار من شعابنة المنيعه خرق هذا النظام بالانتقال إلى أسواق ميزاب مباشرة لمبادلة بضائعهم، دون أخذ ترخيص من قايد متليلي، تلقوا احتجاجا من قايد متليلي سليمان بن مسعود الذي شاور في شأن تصرفهم السلطات العسكرية بالأغواط عبر المراسلة المؤرخة في 19 شعبان 1294هـ الموافق لـ 28 أوت 1877م.<sup>(3)</sup>

ولم يقتصر النشاط التجاري لشعابنة متليلي على الصحراء؛ بل كانوا في كثير من الأحيان يختلفون إلى أسواق الشمال، وقد أصبحوا في بعض الأحيان؛ حسب الوثائق الفرنسية، يتحكمون بكل المنافذ المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى الجزائر انطلاقا من الموانئ والمدن الكبرى أين يشترون البضاعة.<sup>(4)</sup>

ومع نهاية القرن التاسع عشر أحكمت فرنسا سيطرتها على أغلب مناطق الصحراء الصحراء، وأقامت العديد من المراكز التجارية لاستقطاب السلع والمنتجات المختلفة التي كانت

---

(1) -Paul Solleillet: Avenir de la France en Afrique, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1876, p72.

(2) -Paul Solleillet: Op.cit, p 90.

(3) -Sliman Ben Messaoud: Dépêche Télégraphique, Metlili : 28/08/1877, A. O.

(4) -Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p74.

تزخر بها الصحراء، إلا أنّ نشاط القوافل التجارية لم يتوقف تماماً، بل ظلت هناك بعض الحركة المحتشمة للتجارة بين الشمال والجنوب وباقي المناطق الصحراوية.<sup>(1)</sup>

وقد عملت السلطات الاستعمارية على مراقبة الحركة التجارية والتضييق على القوافل التجارية بإخضاعها لنظام ضريبي محكم، يسيطر على منافذ وطرق تلك القوافل، إضافةً إلى زيادة التوغل نحو الجنوب في أعماق الصحراء الجزائرية.

ويأتي في هذا الإطار مرسوم 5 سبتمبر 1907 الذي أنشأ في المناطق الجنوبية للجزائر خطاً حدودياً يتكون من نقاط ثابتة: توقرت، الحجيرة، ورقلة، متليلي، والأبيض سيدي الشيخ... هذا الخط يفصل أراضي الإعفاء الجمركي المشروط عن المناطق الخاضعة عادة. كما أنّ المرسوم يشترط أيضاً، تحت هذا خط، وجود دائرة نصف قطرها مماثل لتلك الحدود في الشرق وفي الغرب، حيث تمارس الجمارك عملها مدعومةً بالسلطات العسكرية، وتحت هذه الدائرة أيضاً توجد منطقة مراقبة خارجية بمثابة قاعدة حماية ضد عمليات التهريب.<sup>(2)</sup>

إنّ تطبيق مرسوم 5 سبتمبر 1907 أدى إلى تنصيب مكاتب جمركية جديدة في كل من ورقلة (مغلق مؤقتاً)، متليلي (موجود في غارداية مؤقتاً)، وفي مشرية. هذه المكاتب إضافةً إلى الموجودة سابقاً، مفتوحة لتصدير البضائع التي يتم شحنها من الموانئ الجزائرية، واستيراد المنتجات الطبيعية أو المصنعة في الجنوب الصحراوي، وفي المغرب وتونس وأيضاً لاستيراد البضائع الخاضعة للرسوم الجمركية أو الرسوم الخاصة بمستعمرات ما وراء البحار، التي سلكت الطريق الجنوبي قبل دخولها الأراضي الخاضعة.<sup>(3)</sup>

وهكذا فقد عملت السلطات الاستعمارية على التحكم في الأسواق ومناطق التبادل التجاري بتوسيع دوائر المراقبة العسكرية وتنصيب هذه المكاتب الجمركية، وهذا ما أدى إلى انهيار تجارة القوافل. وقد نتج عن هذا الانهيار أوضاعاً سيئة في المناطق الصحراوية.

---

(1) -Donald C. Holsinger: Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century, In, ROMM, N°30, 1980, p 68.

(2) -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie Deuxième Partie, p574.

(3) -Ibidem.

وتبقى الإشارة إلى أنّ شعابنة متليلي امتهنوا أيضا بعض الحرف اليدوية كالحداثة والمصنوعات النسيجية؛ وقد ذكر تريملي أنه وجد، سنة 1854، عددا من الصناع في قصر متليلي يمتنون صناعة السكاكين وآلات الحرب وكذلك الخوذات الخاصة بحوافر الخيل.<sup>(1)</sup>

وكانت المرأة الشعابنية تساهم في النشاط الاقتصادي للمنطقة؛ فبالإضافة إلى طهي الطعام ورعاية الأولاد، كانت تساعد الرجل في أعمال السقي والزراعة في البساتين، وكانت أناملها تصنع المنسوجات الفاخرة؛ مثل البرانس والعبايات، وسرح الخيل والمهاري وأغطية الخيام، إضافة إلى الزاربي، هذه الزرابي التي كان لها طابع خاص يعرف بالزربية "الشعابنية"؛ ذلك أن الرموز والأشكال التي تُنسج في هذه الزرابي كانت مستوحاة من المنطقة؛ خاصة من رموز الأعراس والفرق المشكلة لشعابنة متليلي، والتي كانوا يضعونها ويؤشرون بها على إبلهم لتفريقها عن إبل القبائل الأخرى.<sup>(2)</sup>

كما كانت المرأة الشعابنية تصنع من جريد وسعف النخيل بعض الأواني المنزلية كالقفاف والأطباق... وغير ذلك.<sup>(3)</sup>

**وخلاصة القول فإنّ منطقة متليلي الشعابنية تقع في ولاية غرداية شمال صحراء الجزائر، وتمتد على مساحة تبلغ حوالي 300 كلم طولا و200 كلم عرضا.**

يسكن هذه المنطقة أهم فرع من فروع الشعابنة وهم شعابنة برزقة المعروفون بشعابنة متليلي، الذين امتازوا بخلق الشجاعة والكرم والدفاع عن حريتهم واستقلالهم.

وقد كانت تجمعهم بالمجموعات السكانية المجاورة لهم كأولاد سيدي الشيخ بني ميزاب والتوارق أواصر القرابة والولاء والمصالح المشتركة.

---

(1) - C. Trumelet: Op.cit., p 369.

(2) - عن العلاقة بين الرموز والأشكال المنسوجة في زربية الشعابنة والرموز الموسومة على أفخاذ الجمال لدى شعابنة متليلي، أنظر:

مختار شنيعة: زربية الشعابنة بين وسم الحمل وجز الصوف، دار الصبحي للطباعة والنشر، متليلي 2016، ج1، ص ص 61-92.

(3) - C. Trumelet: Op.cit., p 370.

وقد امتهن شعانة متليلي الرعي؛ حيث امتدت مناطق رعيهم حتى أبعد من حدود المنطقة، كما اشتغلوا بسقي بعض البساتين في الواحات المنتشرة بالمنطقة، وبزراعة بعض المحاصيل الموسمية عند فيضان الأودية.

ورغم الطابع البدوي والرعوي لشعانة متليلي إلا أنهم امتهنوا التجارة وأبدعوا في تسيير القوافل التجارية التي كانوا تجوب مناطق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر.

# الفصل الثاني

مساهمة منطقة متليلي الشعانبة في مقاومة الشريف  
محمد بن عبد الله واحتلال متليلي (1851-1862)

- المبحث الأول: توغل الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري ومساهمة  
شعانبة متليلي في المقاومات الشعبية قبل سنة 1851.

- المبحث الثاني: مساهمة شعانبة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد  
الله.

- المبحث الثالث: احتلال مدينة متليلي الشعانبة.

## الفصل الثاني:

### مساهمة منطقة متليلي الشعانية في مقاومة الشريف بن عبد الله واحتلال متليلي (1851-1862)

إن كان دخول القوات الفرنسية إلى مدينة الجزائر في صائفة سنة 1830 يعتبر نهاية حقبة مهمة من تاريخ الجزائر، كانت الجزائر في أغلب مراحلها تنعم بالأمن والاستقرار والتطور الحضاري والرخاء الاقتصادي، بل اكتسبت في بعض الأحيان هبة دولية ذائعة الصيت، فإنه في المقابل يعتبر بداية مرحلة من الفوضى وعدم الاستقرار عانت فيه الجزائر كل مظاهر الظلم والقهر والتخلف الحضاري والتدهور الاقتصادي؛ والذي طال ليله على الجزائر لمدة قرن واثنين وثلاثين سنة.

ولم تكن الخطابات المعسولة للقادة العسكريين، والمسؤولين السياسيين الفرنسيين ليخفي حبثها على الجزائريين المعروفين؛ طلية حقب تاريخيهم الطويل، بكرهم للدخيل الأجنبي، وبمقاومتهم له.

لذلك، فما إن حلت القوات الفرنسية في أي منطقة مناطق القطر الجزائري إلا واصطدمت بمقاومة عنيفة وشجاعة من أهاليها، وما إن تمكنت من إخماد ثورة هنا إلا واندلعت ثورة هناك... وهذا ما كان سببا في تأخر وصول القوات الفرنسية إلى مناطق الجنوب الجزائري.

سنتحدث في هذا الفصل عن مساهمة شعانية متليلي في مقاومة التوسع الاستعماري في الجنوب؛ خاصة مع الشريف محمد بن عبد الله، هذه المساهمة التي أدت في الأخير إلى احتلال عاصمة الشعانية؛ متليلي.

## المبحث الأول:

توغل الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري ومساهمة شعانبة متليلي في  
المقاومات الشعبية قبل سنة 1851.

### أولاً: اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية

لقد كان اهتمام الفرنسيين بالصحراء سابقاً لاكتشاف البترول والغاز فيها خلال القرن العشرين، فقد رأى الفرنسيون في الصحراء عمقاً استراتيجياً وطريقاً للوصول إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك بهدف نشر المسيحية من جهة، والسيطرة على الطرق التجارية ونهب خيرات إفريقيا من جهة أخرى؛ لذا كان من الضروري غزو الصحراء لربط المستعمرات الفرنسية بالوطن الأم؛ فرنسا، عن طريق الجزائر، كما أنّ احتلال الصحراء كان يعتبر ضماناً لاستقرار الاحتلال في المناطق الشمالية؛ ذلك أنّ الصحراء أضحت قبلة وملاذاً للمقاومين والثائرين الجزائريين يحتمون بها لالتقاط أنفاسهم، ولإعادة تنظيم مقاومتهم من جديد.

وقد تمثل هذا الاهتمام بإرسال البعثات الاستكشافية قبل الغزو العسكري، وإطلاق عدة مشاريع اقتصادية لتسريع هذا الغزو أو تثبيته؛ مثل مشاريع خطوط السكك الحديدية، ومشروع البحر الداخلي.

### 1- البعثات الاستكشافية والغزو الاستعماري

رغم انشغال القوات الاستعمارية بإخماد المقاومات في الشمال، إلا أنّ الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري كان مبكراً، وسبق القضاء على مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي بعدة سنوات؛ وذلك من خلال إرسال المستكشفين والمخبرين العسكريين لدراسة تضاريس ومناخ المناطق الجنوبية، والتعرف على سكانها وعاداتهم وتقاليدهم.

وكان هؤلاء ملزمين بتقديم تقارير مفصلة للقيادة العسكرية عن كل شاردة أو واردة رأوها أو عايشوها خلال أيام رحلتهم؛ منهم: كايي (Caillé)، والدكتور الألماني هاينريش

بارث(Hienrich Barth)<sup>(1)</sup>، وكولومب(Colomb) ودوفرييه، وكذلك ميرشير (Mircher)، وبولينياك(Polignac)، وفاتون(Vatonne)، والطبيب هوفمان(Heffman)، واسماعيل بوضرية، وغيرهم.<sup>(2)</sup>

وقد تم طبع العديد من تلك التقارير والدراسات، منها: كتاب الصحراء الجزائرية لدوماس الذي نشر سنة 1845، وكذلك رحلة دوفرييه سنة 1860، رحلة الطبيب بارث سنة 1863 ... وغيرها.

كما أنّ الغزو العسكري لم يكن سهلاً؛ فقد كانت الصحراء ملجأً للمقاومين والثوار مثل: بومزراق وسي موسى بوحمار الذرقاوي، وغيرهم من المقاومين الذين لقوا التأكيد والنصر من سكان الجنوب الجزائري. إضافة إلى مقامة أولاد سيدي الشيخ؛ والتي أخرجت البعثات العلمية والاستكشافية عشر سنوات،<sup>(3)</sup> وكذلك مقاومة الشيخ بوعمامة.

## 2- مشروع سكك الحديد الصحراوية

لتسهيل تنقل قواتهم الغازية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية، ولخدمة التجارة، وفتح الأبواب نحو أسواق إفريقيا، فقد اهتم الفرنسيون بموضوع المواصلات في الصحراء.

دشن الفرنسيون مشاريع النقل الصحراوي منذ سنة 1853، باقتراح كاباني(Cabanis) مشروع خط حديدي يمتد من الجزائر نحو ورقلة مروراً ببوسعادة، ومن ورقلة يتفرع إلى فرعين واحد إلى تونس والآخر إلى طرابلس والثالث إلى عين صالح والحقار.<sup>(4)</sup> وقام دوفرييه

---

<sup>(1)</sup> - هاينريش بارث (Hienrich Barth)(1821-1865) : رحلة وطبيب ألماني، رافق ريتشاردسون بتشجيع من الحكومة الانجليزية ، فعادر الرجلان طرابلس في مارس 1850، وبعد مرورهما على التاسيلي والآسجر وصلا إلى بحيرة تشاد أين افترقا بعد خلاف بينهما، فتوغل بارث نحو كانو إلى أن وصل إلى تمبكتو، في سبتمبر 1853. وبعد مكوثه ستة أشهر في تمبكتو قرر العودة. انظر:

Philippe Decraene et François Zuccarelli : Grands sahariens, p 267.

<sup>(2)</sup> - يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه/في/ مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص ص 67-68.

<sup>(3)</sup> -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie, p110.

<sup>(4)</sup> - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 78.

وبروسلان(Bruslin) وماج(Maj) بدراسة خاصة لخدمة مشاريع الاتصالات بين الجزائر والسنغال بواسطة القطارات الحديدية... وغيرها من المشاريع.<sup>(1)</sup>

لكن تم التحلي عن اغلب هذه المشاريع بسبب التكاليف الباهضة، ووعورة التضاريس الصحراوية، وتطور علم الطيران والحربين العالميتين.

### 3- مشروع البحر الداخلي الصحراوي

عندما نجح فرديناند دو ليسبس (Ferdinand de Lesseps)<sup>(2)</sup> في حفر قناة السويس بدأ الفرنسيون يفكرّون في إحداث بحر داخلي في الجزائر؛ وذلك ليسهل مشاريع التوسع ويذلل سبل الاستعمار، يمتد مشروع هذا البحر الداخلي بين خليج قابس شرقا، وجبال أولاد نايل وبلاد الشبكة غربا، وجبال الأوراس والنمامشة وتبسة شمالا، وجبال الهقار جنوبا.<sup>(3)</sup>

لقد تحمس ضابط الاركان العامة فرانسوا رودير(François Roder) لهذا المشروع، واتصل بعدد من المغامرين وعلى رأسهم دو ليسبس، واعتمد البرلمان الفرنسي عام 1874 مبلغاً ماليا لدراسة هذا المشروع. وكان تأييد الأمير عبد القادر للمشروع حافزا لدولسبيس لمحاولة اقتناع جول فيري رئيس الوزراء الفرنسي سنة 1883 لكنه لم يفلح.<sup>(4)</sup>

---

<sup>(1)</sup> - ابراهيم مياسي: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، Imprimerie ANEP، Rouiba(Algérie) 1996، ص95.

<sup>(2)</sup> - فرديناند دو ليسبس (1805-1894): سياسي ودبلوماسي فرنسي، بدأ حياته العملية عضوا في الجهاز الدبلوماسي الفرنسي، لكن عمله التاريخي الفذ هو شقه لقناة السويس، الذي أتمه عام 1869، كما أنه بدأ في محاولة شق قناة بنما، لكنه لم يتمكن من اكمال مشوعه. أنظر:

عبد الوهاب الكيلاني وآخرون: موسوعة السياسة، 7 أجزاء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ج1، ص747.

<sup>(3)</sup> - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 78.

<sup>(4)</sup> - يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي/في/ الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع25، ماي- جوان 1975، ص 108.

ودفن هذا المشروع حتى عامي 1952-1953 حين تشكلت جمعية الابحاث التقنية لدراسة البحر الداخلي، ووضعت مشروعها على مكتب ديغول عام 1958. لكن انشغال السلطات الاستعمارية بأمر الثورة جعلها تصرف نظرها عن المشروع.<sup>(1)</sup>

ثانيا: أسباب ودوافع مقاومة شعابنة متليلي للاستعمار الفرنسي:

إنّ المتتبع لتاريخ جهاد شعابنة متليلي ضد الاستعمار الفرنسي سيجد جملةً من العوامل والدوافع جعلتهم يقاومون الاستعمار الفرنسي بكل بسالة، وينضمون لأي ثورة أو مقاومة قريبة من مناطق نفوذهم. أهمها: الطبيعة الاستقلالية للشعابنة، وانتشار الطرق الصوفية.

### 1- الطبيعة الاستقلالية للشعابنة:

كما رأينا في الفصل الأول، فإنّ موقع ظهور قبيل الشعابنة وتطوره؛ وهو شمال الصحراء قد أعطاهم نوعاً من الاستقلالية التي توارثوها وحافظوا عليها عدة قرون. كما أنّ الطبيعة الصحراوية قد أثّرت في مزاجهم وأخلاقهم؛ فطبعتهم بخلق الكرم والنجاد الغريب والمستجير، وخلق الشجاعة والدفاع عن العرض والأرض، وقد أشار باساجي (Passager) إلى أنّ: "الشعابي يتحمس للقيام بأعمال البطولة والشجاعة المتعلقة بالسلاح."<sup>(2)</sup> بينما وصفهم رينييه (Régnier) بقوله: "...إنهم لا يجذون القيام بأي عمل كان فيما مضى من اختصاص العبيد. إنهم شعب الأسياد والمحاربين، لا يقدرّون سوى أن يقودوا أو يحاربوا."<sup>(3)</sup>

أما عن النزعة الاستقلالية، فإنّ دوماس يصف الشعابنة بأنهم: "يجبون الغناء والموسيقى والنساء والبارود، وقبل كل شيء، الاستقلال."<sup>(4)</sup> ويقول الشعابي الذي التقاه دوماس في باريس سنة 1851م: "نحن لا ندفع ضرائب لأحد ولا يتحكم فينا أي سلطان أو حاكم..."<sup>(5)</sup>

(1) - يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه، ص 86.

(2) -P. Passager: Metlili des Chaamba, p 527.

(3) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, p168.

(4) -Eugène Daumas: Le Sahara Algérien, p314.

(5) -Eugène Daumas: Mœurs et coutumes de l'Algérie, p123.

كما وصفهم دي لامارتينيير بأنهم يتطلعون دائما للاستقلال حينما حاول تفسير فتور علاقتهم مع أولاد سيدي الشيخ الشراقة وتوثُّقها مع الشيخ بوعمامة أواخر القرن التاسع عشر؛ حين قال: " ... والسبب هو أن الشعابنة - المتطلعين دائما للاستقلال والثورة- أصبحوا لا ينظرون بعين الرضى إلى خضوع أولاد سيدي الشيخ لفرنسا..."

ولذلك فإنَّ حكامَ الجزائر العثمانيين لم يتمكنوا من اخضاع الشعابنة، وهذا ما مكَّنهم من السيطرة على شمال الصحراء بشكل كبير قبل وصول القوات الفرنسية، وقد كان شعابنةً متليلي يُصنَّفون ضمن القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك خلال العهد العثماني؛ وهي قبائلٌ لا تعترف بسلطة الأتراك عليها ولا تؤدي الضرائب لخزينة القصبية، وذلك نظرا لُبُعد مناطقها عن مناطق نفوذ حكام الجزائر العثمانيين، ولا حتى مناطق القبائل المتحالفة معهم.

ورغم ذلك فقد حاولت الحكومة المركزية أن تُحدِّد من استقلال هذه القبائل، وترغمها على مهادنة السلطة الحاكمة باتباع عدة طرق؛ منها: تنصيبُ الحاميات وإقرارُ عشائر المخزن في الأماكن القريبة من مناطق تواجدها، وكذلك التحكمُ في الأسواق الموسمية والأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطن هذه القبائل المستقلة.<sup>(1)</sup>

وفي هذا الإطار، فقد نجحت سلطاتُ البايلك في اقناع بعض القبائل الصحراوية المجاورة للشعابنة مثل سعيد عتبة، بالانخراط في القبائل المخزنية.<sup>(2)</sup> كما قامت بمراقبة الأسواق والطرق التجارية التي كان يستخدمها الشعابنة على تخوم الأطلس الصحراوي وفي الهضاب العليا لجلب الحبوب وزيت الزيتون، وهذا ما أجبرَ هؤلاء على مهادنة سلطات البايلك، بل وحتى الاشتراك الطوعي في بعض الحملات والحروب التي خاضتها؛ خاصة ضد العدو الأجنبي.

ولما ارادت سلطات الاحتلال الفرنسي الحدَّ من استقلالهم بالسيطرة على المدن والواحات، وعرقلة الحركة التجارية التي كانت تمثل العمودَ الفقريَّ لعيشهم واقتصادهم كما رأينا من قبل؛ قاوم شعابنةً متليلي هذا النظام الجديد بكل قوة، وانضموا أفراداً وجماعاتٍ لكل المقاومين والثوار الذين ظهروا في شمال الصحراء خلال القرن التاسع عشر.

(1) - ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص110.

(2) - ناصر الدين سعيدوني: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، في الأصالة، ع 41، جانفي 1977م، ص80.

وهكذا فإنّ الشعانبة سعوا بكل الطرق والوسائل، ومهما كلفهم من تضحيات في سبيل الحفاظ على حريتهم واستقلالهم، وعدم خضوعهم وتبعيتهم لأي نظام يسيطر عليهم أو يُنقص من تفوقهم الرعوي والعسكري؛ لأنّ هذا التفوق هو الذي يتوافق مع عاداتهم ومزاجهم<sup>(1)</sup>.

كما لا يمكن إهمال دافع مهمّ ومكمل لهذا العامل؛ وهو تمسك الشعانبة بدينهم وعقيدتهم في مواجهة المستعمر المسيحي، وهذا الدافع كانت تتحكم فيه وتحفزه الطرُق الصوفية التي سنفصل في الحديث عنها في العنصر الموالي.

## 2- الطرق الصوفية في المنطقة ودورها في مقاومة التوسع الاستعماري

### أ- أهم الطرق الصوفية المنتشرة بالصحراء الجزائرية:

تعددت التعريفات والمفاهيم في تحديد لفظ التصوف، ولعلّ أهمّها ذلك الذي تناوله ابن خلدون؛ إذ قال عن التصوف أنه العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها مما يقبل عليه العامة من لذة ومال وجاه، والانفراد على الخلق والعبادة في خلوة، وكان ذلك معروفاً في الصحابة والسلف حسب رأيه، ولما اقبل الناس على الترف في الدنيا اختص الذين تمسكوا بالعبادة باسم الصوفية<sup>(2)</sup>.

وقد ابتلي الصوفية في أول أمرهم بالفقهاء؛ الذين جمّدوا على ظواهر الأحكام المتعلقة بالجوارح، فكان هؤلاء ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ويرمونهم بالكفر، وكانت الدولة والسلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين إليهم، فاضطر الصوفية إلى إخفاء أمرهم، ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم، وعدم قبول أحدٍ معهم إلا بشروط واختبارٍ طويل، ثم إنهم جعلوا للشيخ سلطةً خاصةً على مريديه، حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل؛ لأنّ الشيخ يعرف أمراضه الروحية وعلاجها، فإذا أبيض له مناقشته ومطالبته بالدليل تتعسر معالجته أو تتعذر، فلا بد من التسليم له في كل شيء من غير منازعة، وقالوا: إنّ الوصول إلى العرفان المطلق لا يكون إلا بهذا. ثم أحدثوا إظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها

(1) -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie Deuxième Partie l'oeuvre accomplie 1903-1923, Imprimerie Algérienne, Alger 1929, p69.

(2) - ابن خلدون: المقدمة، ص281.

لأجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم، وأحوالهم ومشاهدتهم؛ لأنّ التذكّر من أسباب القدوة والتأسي، والتأسي هو طريق التربية القويم عندهم وعند غيرهم.<sup>(1)</sup>

وقد جعل هؤلاء الشيوخ لمريديهم طرقاً للترهد والتبتل ودعواتٍ وأذكاراتٍ معينة، فأضحى لكل شيخ طريقته الخاصة وتوزّع المريدون بين طريقة هذا الشيخ وذاك، وبذلك ظهرت الطرق الصوفية.<sup>(2)</sup>

ورغم ما تدعوا إليه هذه الطرق من الزهد في الدنيا والانقطاع عن الناس، إلا أنه كان لها دورٌ مهمٌ في الحركات الجهادية التي عرفها العالم الاسلامي؛ خاصة في افريقيا والجزائر أين كان أغلب قادة المقاومة وحركات التحرر هم زعماء هذه الطرق. ومن الطرق التي عرفت انتشاراً في الصحراء الجزائرية نجد: القادرية، السنوسية، والشيخية.

## 1- القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى العالم الاسلامي عبد القادر الجيلاني<sup>(3)</sup>، وقد ظهرت في القرن الثاني عشر بين عامي 1079 - 1166م. انتشرت القادرية في العراق ومصر وتركيا واليمن والصومال الهند والمغرب وغرب السودان وبعض بلدان أفريقيا.

(1) - صلاح مؤيد العقبى: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت 2002، ص ص 28-33.

(2) - لقد عرفت بعض الطرق الصوفية في عهدها الأخيرة بعض المزالق و"الشطحات"فانتشرت فيها البدع والشعوذة والخرافات، ونحن هنا لسنا بصدد التأصيل الشرعي لأوراد الطرق الصوفية ولا لطقوسها، فهذا ليس موضوعنا ولا تخصصنا، وإنما لتسليط الضوء عن جانب مهم لا يمكن لخصوم تلك الطرق انكاره؛ وهو دورها الريادي في الجهاد وفي مقارعة الاستعمار.

(3) - عبد القادر الجيلاني: (471 - 561 هـ / 1078 - 1166 م) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة 488هـ/ 1095م فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528هـ / 1133 وتوفي بها. له كتب، منها " الغنية لطالب طريق الحق " و " الفتح الرباني " و " فتوح الغيب ". أنظر:

خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص47.

وتعتبر القادرية من أوائل الطرق الصوفية التي ظهرت. وقد تفرعت أغلب الطرق الصوفية عنها، إلا أنّ هناك من الطرق الصوفية من تدّعي انفصالها عن القادرية؛ منها الرفاعية التي يدّعي أتباعها بأنّ عبد القادر الجيلاني قد تتلمذ على يد أبي العباس الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية.<sup>(1)</sup> وإن كان بعض الطرق الصوفية لها مواقفٌ سلبيةٌ تجاه أعداء الاسلام والمحتلين الأجانب، بداعي التزامها بنهج الزهد في الدنيا والانقطاع عنها وعن أحداثها، فإنّ الطريقة القادرية تعتبر في مقدمة الطرق الصوفية الجهادية؛ التي تدعوا أتباعها إلى عدم الركون إلى الانعزال والانقطاع عن الدنيا، بل إلى التضحية في سبيل الله من خلال الجهاد ضد أعداء الاسلام خاصة في حالة العدوان على بلاد المسلمين.

ولذلك نجد أنّ الكثير من المجاهدين وأبطال الاسلام قد انتسبوا إلى هذه الطريقة منهم؛ مهدي السودان الذي قام بالثورة ضد الانجليز؛ خلال القرن العشرين،<sup>(2)</sup> كما أنّ الأمير عبد القادر الجزائري قد قاوم الاحتلال الفرنسي كشيخٍ للطريقة القادرية. وقد ادعى لويس رين بأنّ الشيخ السنوسي قد تبع الطريقة القادرية في مرحلة من مراحل حياته، كما فعل بعده الشيخ بوعمامة.<sup>(3)</sup>

ويذكر أبو القاسم سعد الله أنّ أول من أسس فرعا للقادرية بالجزائر هو الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي سنة 1200هـ / 1785م،<sup>(4)</sup> لكنّ الطريقة القادرية كانت معروفةً في الجزائر منذ عهد أبي مدين الغوث دفين تلمسان والمتوفى سنة 594هـ / 1119م، وهو الذي تتلمذ على يد المؤسس عبد القادر الجيلاني، كما كان لقدم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى واستقراره في الجزائر؛ حيث أسس زاوية منعه بالأوراس، دوراً في انتشار الطريقة بالجزائر منذ وقت مبكر.<sup>(5)</sup>

(1) - إحسان إلهي ظهير الباكستاني: دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص 276.

(2) - عبد الرحمان تشايحي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ص 62.

(3) - Louis Rinn: Marabouts et Khouans, p201.

(4) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 48 .

(5) - صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 145-146.

أما لويس رين فيشير إلى حجم انتشار القادرية في الجزائر بوجود 29 زاوية و 289 مقدم و 14574 مريد، وذلك حسب الاحصاء الرسمي لسنة 1882.<sup>(1)</sup> وقد أسس محمد الطيب بن ابراهيم فرع الزاوية القادرية في الرويسات بورقلة، وكان له أتباعٌ ومريدون في الأغواط وغارداية ومتليلي.<sup>(2)</sup>

## 2- السنوسية:

تنسب الطريقة السنوسية إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي؛ الذي ولد في قرية من قرى مستغانم عام 1791م، وبعد دراسته في تلمسان وفاس؛ أين تلقى مبادئ التصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي، ذهب الى مكة عام 1830، وأسس الطريقة السنوسية، وبنى زاوية في جبل أبي قبيس، ثم رحل إلى برقة سنة 1839 وأقام في الجبل الأخضر فبنى الزاوية البيضاء.<sup>(3)</sup>

وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته، فارتابت الحكومة العثمانية في أمره، فانتقل إلى واحة جغبوب<sup>(4)</sup> قرب بنغازي عام 1855، وتوفي هناك عام 1859.<sup>(5)</sup> وانتشرت الطريقة السنوسية في ليبيا ووسط افريقيا في عهد محمد المهدي<sup>(6)</sup> الذي تولى مكان والده.

(1) -Louis Rinn: Op.cit, p200.

(2) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص 48.

(3) - عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص 60.

(4) - الجغبوب: واحة ليبية تقع على الحدود المصرية الليبية، حيث تتمركز غرب واحة سيوة المصرية، وجنوب غرب مدينة السلوم المصرية بحوالي 213 كلم، وتبعد عن جنوب شرق مدينة طبرق الليبية بمسافة 300كم، ويذكر الحشائشي أنها كانت واحة عامرة بالعلم والعلماء والعباد والزهاد، وأن بها خزانة كتب تضم أكثر من ثمانية آلاف مجلد في مختلف العلوم، ولما احتلت القوات الايطالية الواحة سنة 1926 عبثت بمحتويات المكتبة. أنظر:

محمد بن عثمان الحشائشي: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، ص 151.

(5) - صالح بوسليم وميلود ميسوم: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى دراسة تاريخية، في الواحات، جامعة غارداية، ع 15، نوفمبر 2011، ص 18.

(6) - المهدي السنوسي (1844 - 1902 م): محمد بن محمد بن علي السنوسي المهدي زعيم السنوسية الثاني. خلف أباه بعد موته، واشتهر بالصلاح، وقويت الطريقة في أيامه حتى انتشرت زواياها من المغرب الاقصى إلى الهند، ومن وادي إلى الآستانة، وأكثرها في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا. وكان في كل زاوية خليفة يدير شؤونها ويعلم أولاد الناس ويقتنى المشية ويشغل بالزراعة، يساعده المريدون، وينفق على الزاوية، وما يفيض منه يرسله إلى الشيخ السنوسي، فأصبح صاحب الترجمة

والطريقة السنوسية تدعو الى الاسلام بالعودة إلى الاصول مع تطبيق القواعد الدينية دون مسامحة، وكانت تحارب الغزاة الأوربيين؛ ولاسيما الفرنسيين منهم الذين استولوا على الجزائر. وكانت تعد نفسها ممثلة الاسلام الحقيقي، كما قاومت الحملات التبشيرية في الصحراء وفي السودان.<sup>(1)</sup>

أما في الجزائر فكان يشرف على زاويتها أحمد الشارف بن تكوك رئيس قبيلة المجاهر في مستغانم، وقد توارث أبناؤه مشيخة الطريقة.<sup>(2)</sup> كما أنّ الاحصاء الرسمي قد أشار لانتشار السنوسية في الجزائر سنة 1882، إلى وجود 481 مريدا و 30 مقدا إلا أنه لا يعطينا عددَ الزوايا بحيث يشير إلى وجود زاوية واحدة في مستغانم برئاسة الشيخ بن تكوك، ويعلق لويس رين على هذا الاحصاء بقوله: "أن هذا التعداد الرسمي لا يمثل الأعداد الحقيقية للزوايا والمريدين، وأما هو مقتصر على أتباع زاوية مستغانم... لكنّ الأكيد أنّ هناك تعداداً أكبرَ منتشرٌ بسرية في قرى ومدائر شمال الجزائر وجنوبها."<sup>(3)</sup>

أما عن أعمالها الجهادية؛ قد ذكر بعض الكتاب الفرنسيين أنّ أتباع السنوسية كانوا مستعدين لتنفيذ الاغتيالات والقيام بالثورات، ثم عدّوا ما واجهه الفرنسيون من أتباع السنوسية منذ 1852، تاريخ الهجوم على الأغواط من قبل الشريف محمد بن عبد الله صديق السنوسي، وكذلك مبعوثي السنوسي سنوات 1879، 1880، 1881، ووجود شخصيات منها في ثورات أولاد سيدي الشيخ، واغتيال بعثة فلاترز (Flatters)<sup>(4)</sup> سنة 1881... إلخ. هذا بالنسبة للجزائر،

---

أشبهه بملك يجي إليه الخراج. وخشي السلطان عبد الحميد العثماني عاقبة أمره، فشرع الشيخ بذلك فرحل سنة 1894 إلى واحة الكفرة وانتقل منها إلى وادي فتوفى فيها. وهو والد السيد محمد إدريس السنوسي ملك ليبيا الاخير. أنظر:  
الزركلي: الأعلام، ج7، ص76. مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج18، ص83. محمد بن عثمان الحشائشي: المصدر السابق، ص ص 148-150. وانظر أيضا:

Louis Rinn: Op.cit, pp481-489.

(1) - عبد الرحمان تشايحي: المرجع السابق، ص 61.

(2) - صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 204.

(3) - Louis Rinn: Op.cit, pp 514-515.

(4) - فلاترز (Flatters Paul) (1881-1832) : عقيد في الجيش الفرنسي، قاد بعثة لاكتشاف ورسم طريق السكة الحديدية العابر للصحراء (Transsaharien)، تم اغتياله مع أغلب أفراد بعثته سنة 1881 من طرف التوارق، وقد اتهم الأدلاء الشعابنة بالتواطؤ مع المهاجمين. انظر:

أما بالنسبة لدور السنوسية في تونس والسينغال وغيرها فهناك قائمة أيضا من الثورات والاعتقالات.<sup>(1)</sup>

وحسب وثائق الأرشيف الفرنسي التي اطلعت عليها، فقد كانت السنوسية تشكل خطرا كبيرا على التواجد الفرنسي في الجزائر، وكان لها دور هام في تعثر التوسع الفرنسي في الصحراء؛<sup>(2)</sup> خاصة في توات وتيديكلت، حين تزعم المقاومة في تيديكلت قايد عين صالح المهدي باجودة<sup>(3)</sup> والذي كان مقوما إلى الطريقة السنوسية.

أما الطريقة الشيخية فسأتي على تعريفها في الفصل الثالث عندما نتكلم عن دور المنطقة في ثورة أولاد سيدي الشيخ.

### ب- انتشار الطرق الصوفية في متليلي:

كان الاعتقاد بالأولياء شائعا في منطقة متليلي الشعابنة، خلال الفترة موضوع الدرس، وكان الناس ينتسبون إلى طرق دينية عديدة، وبالرغم من تواضع المستوى الثقافي لشعابنة متليلي إلا أن الطرق الصوفية كانت متجددة، ويظهر ذلك جليا من خلال الكم الهائل من المزارات والقباب والأضرحة المنتشرة في كل بقاع المنطقة تقريبا؛ والذي لازال أغلبها موجودا حتى اليوم.

وقد ذكر رونييه أنه يوجد في متليلي عدد من الأتباع لسيدي عبد القادر الجيلاني، وآخرين لسلي مولاي الطيب، وقسم آخر لسيدي موسى التابع للطريقة الذرقاوية.<sup>(4)</sup>

ويشير كوناي إلى أن شعابنة متليلي يتبعون روحيا لأولاد سيدي الشيخ ولقادرية الرويسات ولبعض الطرق الأقل أهمية. ويضيف: "إن الاعتقاد بالأولياء كبير جدا ويتمظهر من خلال بناء

---

Philippe Decraene et François Zuccarelli : Grands Sahariens, p 266.

(1) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص262 .

(2) -Jule Combon: Confidentiel, à Mr le Ministre de l'Agriculture Ministre de l'Agriculture, N20, Alger 30/11/1896, ANOM F80 1695, f23.

(3) - هو الحاج المهدي بن الحاج عبد القادر بن محمد بن سيدي الحاج بن باحمو بن أعمار، رئيس قبيلة باجودة ومقدم الطريقة السنوسية، ولد حوالي سنة 1854، اشتهر بحركته الإصلاحية والسياسية التقى بمؤسس الطريقة السنوسية بالمدينة المنورة وكلفه ببناء زاوية سنوسية في عين صالح. أنظر: ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص505.

(4) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, p165.

العديد من المقامات المكعبية والمخروطية بعضها به قبابٌ وتسمى قبةً. كما أنّ تجليل سيدي عبد القادر الجيلاني عامٌّ عند كل الناس.<sup>(1)</sup>

ويذكر الطبيب إيمي أنّ هناك طريقتان صوفيتان تغلبان على متليلي، وهما الشيخية التابعة لأولاد سيدي الشيخ؛ والتي يشكل البدو الرحل أهمّ مرديها، أما الطريقة القادرية فيسيطر عليها المرابطون، ويتبعها أغلب السكان المقيمين.<sup>(2)</sup>

ويشير باساجيه إلى أنه يوجد أكثر من ثلاثين قبةً أولياء في متليلي من أشهرها: مولاي سليمان، سيدي الحاج بوحفص، سيدي الشيخ، سيدي الحاج موسى، مولاي عبد القادر الجيلاني... وغيرها.<sup>(3)</sup>

وذكر أبو القاسم سعد الله أنه كانت توجد في ناحية متليلي أماكنٌ محترمةٌ بل مقدسةٌ للشيخ وآثارهم المتمثلة في القباب والمساجد والمزارات، من ذلك مقام الشيخ السايس بن بوبكر، وضريح مولاي سليمان بن مولاي محمد، زعيم أشرف متليلي، كما توجد جبانة خاصة بالشرفة، وكانت محلّ أدعية وزيارات سنوية، وزاوية الحاج موسى بن أحمد، وهم يعتقدون أنه من نسل العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم. وتقام له حفلة سنوية في ساحة الزاوية، وقبة الحاج بوحفص بن سيدي الشيخ، ويعتبر من حُماة متليلي، حسب رأيه، وله أوقافٌ، وتذبّخ عنده الذبائح، وهناك ثلاث قباب للشيخ عبد القادر الجيلاني كان بعضها لأتباع الشيخ بوعمامة، وكذلك مقام الشيخ ابن الدين؛ حيث الذبائح والزيارات والأدعية، وكان للزواج مقامهم أيضا، وهو مقام الفلاح بن بركة الذي أصله من السودان.<sup>(4)</sup>

ويذكر كلايكنيشت (Kleinknecht) في تقريره بأنّ مجتمع برزقة منقسم بين الزاويتين الكبيرتين؛ الشيخية والقادرية، مع غلبة تمجيد أولاد سيدي الشيخ بشكل واضح، ورغم ذلك، فإنّ الزاوية القادرية لها نفوذ كبير في متليلي، وسي عبد القادر الجيلاني مبحّل بصفة خاصة، وكان هناك

(1) -A. Cauneille : les chaanba leur Nomadisme, p209.

(2) -Dr Emé.: Monographie de Metlili, p40.

(3) -P. Passager: Op.cit, p 535.

(4) -أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص ص 283-284.

"مقدّمان" يمثّلان هذه الطريقة الدينيّة في أراضي برزقة، وقد بنيت في متليلي ثلاثُ قباب لسيدي عبد القادر الجيلاني.<sup>(1)</sup>

كما أنّ الاحصاء الرسمي الذي أحصلته الادارة الاستعمارية يوم 25 ديسمبر 1882، يشير إلى أنّ الطريقتين القادرية والشيخية لم تكونا الوحيدتين اللتين استقطبتا المريدين من شعابة متليلي، بل كانت معهما الطريقة الدرقاوية والطريقة الطيبية، ويشير إلى أنّ مجموع المريدين في متليلي كان 1110 إخوانيا من أصل حوالي أربعة آلاف شعابيا بما فيهم النساء والأطفال، أي أكثر من ربع سكان المنطقة وهي نسبة كبيرة إذا علمنا أنّ تعداد المريدين كان خاصا بالرجال فقط، وأنّ عدد النساء والأطفال كان يفوق عدد الرجال بكثير.<sup>(2)</sup>

كما أنّ تبجيل الأولياء يمتدّ عند شعابة برزقة لأولياء محليين، تنتشر قبائهم في أرضهم؛ وأكثرهم قداسةً عندهم أولاد عمر بن موسى؛ وهما ضريحان كبيران بقبتين لكل واحد منهما، موجودان على بعد 20 كم جنوب متليلي، على واد بلعباس، وتُنظّم عدّة مرّات في السنة زيارات إليهما، وأولاد عمر بن موسى هم أجداد أولاد سيدي الزعيم من المرابطين، وتقام مناسبات "معروف" كبيرة في هذه الأماكن، في ماي، وجوان، وأكتوبر.

كما أنّ هناك قباباً أخرى منتشرة في متليلي؛ نذكر منها:

- سي محمد بشريرات: قبة واحدة؛ وهو ينتمي لأولاد عمر بن موسى.
- سي علي: قبة واحدة.
- سي لخضر: قبة واحدة.
- سي ثامر بن تلال: قبة واحدة؛ وهو جدّ الشعابة.
- سي مولاي سليمان: قبة واحدة؛ جد الشرفة.
- سي مولاي الطيّب: قبة واحدة.
- سي الحاج موسى: قبة واحدة؛ جد بني مرزوق.

(1) -Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59, f 30.

(2) -Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, 26/12/1882, ANOM GGA 50 II/261, f115.

- سي موسى بن أحمد: قبة واحدة؛ وهو حفيد سي الحاج موسى جد بني مرزوق.
- سي محمد زيغم: قبة واحدة؛ وهو ابن محمد بشريرات من أولاد عمر بن موسى.
- سي الحاج الطاهر: قبة واحدة؛ وهو ابن محمد زيغم.
- سي الحاج محمد: قبة واحدة؛ وهو أخ سي الحاج الطاهر.
- سي عمّار: قبة واحدة؛ وهو أيضا أخ سي الحاج الطاهر.
- سي قدور: قبة واحدة.
- وسي فلاح بن بركة: قبة واحدة؛ وهو وليّ الوصفان، أي الزنوج.<sup>(1)</sup>

إنّ اهتمام شعانبة متليلي ببناء مثل هذه القباب وصيانتها، لم يكن لغرض التبرّك، أو "التعبد"<sup>(2)</sup> فقط، وإنما كان لغرض آخر؛ وهو التذكّر لأخذ العبرة، ولتظل سير هؤلاء وبطولاتهم محفوظةً في الذاكرة الشعبية جيلا بعد جيل، ولذلك كانوا في كثير من الأحيان يضعون علامات أو يقومون ببناء مقامات وقباباً في الأماكن التي يكون قد نزل فيها المجاهدون والصلحاء. وذلك ليتذكروهم بها. وسنعرض نماذج لذلك في الفصول اللاحقة.

ونختتم هذا العنصر بهذا الجدول وهذا الرسم البياني اللذان يوضحان بالأرقام وبالنسب مدى انتشار الطرق الصوفية في مجتمع متليلي الشعانبة.

---

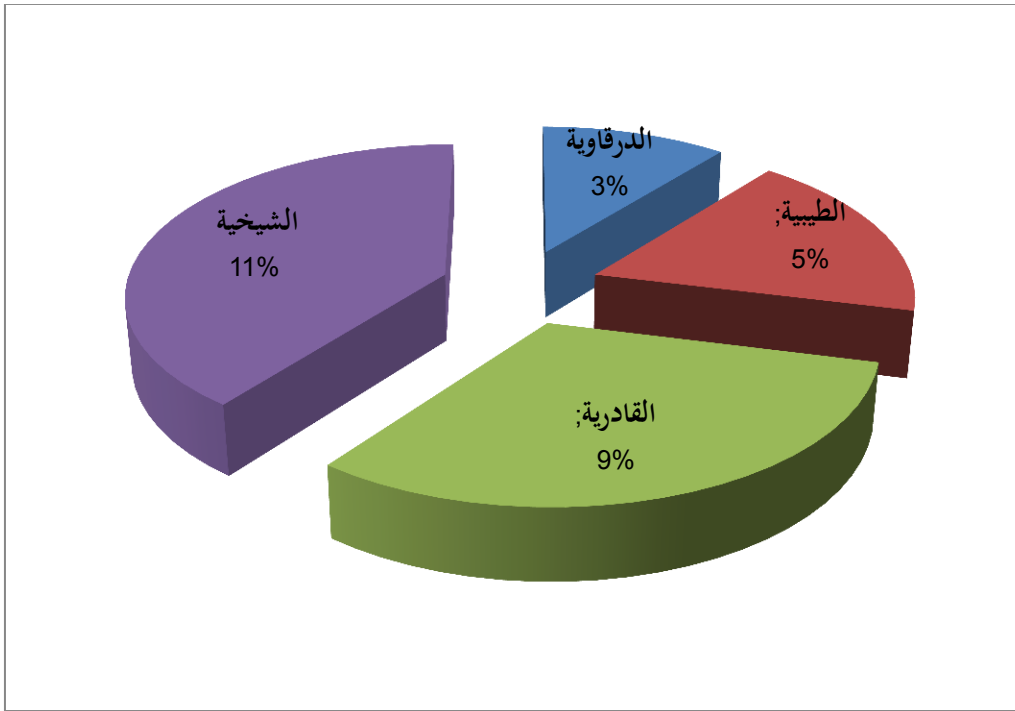
(1) -Charles Kleinknecht: Op.cit, f 32.

(2) - المقصود بالتعبد هنا هو تلك الأوراد وخلق القرآن والذكر التي تقام في مناسبات معينة عندها.

جدول يوضح مدى انتشار الطرق الصوفية في متليبي الشعانبة سنة 1882<sup>(1)</sup>

عدد السكان	الشيخية	القادرية	الطيبية	الدرقاوية	مجموع المريدين	
1498	120	90	60	40	310	أولاد علوش
1391	200	180	90	50	520	أولاد عبد القادر
1035	120	80	50	30	280	عرش القصر
3924	440	350	200	120	1110	مجموع السكان
	11%	9%	5%	3%	28%	نسبة المريدين من مجموع السكان

رسم بياني يوضح نسب تواجد الطرق الصوفية في متليبي الشعانبة  
بالنسبة لعدد السكان سنة 1882<sup>(2)</sup>



(1) - هذه الجدول من عمل الطالب الباحث معتمدا على الاحصاء الرسمي ليوم 25 ديسمبر 1882. أنظر:

Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, 26/12/1882, ANOM GGA 50 II/261, f115.

(2) - هذه الرسم البياني من عمل الطالب الباحث.

لكن ماهي أسباب انتشار الطرق الصوفية في متليلي؟ وما عوامل تنفُّذها في مجتمع

برزقة؟

لقد اختلفت الآراء بشأن تفسير انتشار مظاهر الطريقة في متليلي، واعتناق شعابة متليلي لأغلب الطرق الصوفية الجهادية الموجودة آنذاك، حتى أنّ كوناى كان يرى بأنّ متليلي هي مهدّ الشعابة وعاصمتهم الروحية، إذ تعتبر ملتقى للطريقتين الشيخية وقادرية الرويسات وبهذا فهي، حسب رأيه، تعتبر مدينةً مقدسةً لمالكية الصحراء.<sup>(1)</sup>

لقد فسر رونييه هذه الظاهرة بسبب شيوع الفتنور الديني؛ أي عدم الالتزام، عند الشباب الشعابة الرحل كما عند المقيمين، ولما يتقدم بهم السنُّ يعكفون على التدين، وعلى الالتزام بالطرق الصوفية المتبعة، وذلك تكفيراً لأخطاء الشباب، حسب رأيه.<sup>(2)</sup>

وان كان تفسيرُ رونييه ينطبق على بعض الحالات؛ إلا أنّ الالتزام بشعائر الطرق الصوفية لم يكن لدى كبار السن فحسب، بل حتى لدى الشباب؛ لأنّ تقديس الأولياء كان شائعاً بين كل شرائح المجتمع.

بينما فسّر آخرون خضوع شعابة متليلي للطرق الصوفية؛ الشيخية على وجه الخصوص بسبب ظهور شخصية سيدي الحاج بحوص ابن سيدي الشيخ في متليلي، ومكوته بينهم فترةً من الزمن كانت كافية ليتأثر شعابة متليلي بأخلاقه وكراماته، إضافةً إلى قوة شخصيته، وذلك من خلال تدخّله في إصلاح الخلافات التي كانت فيما بينهم، أو بينهم وبين القبائل الأخرى.<sup>(3)</sup>

ولا يكاد يختلف اثنان في الاعتراف بصلاح هذه الشخصية الفذة، وبالأثر الكبير الذي خلّفته في نفوس الشعابة الذين توارثوا احترامه وتبجيله جيلاً بعد جيل. لكن إذا سلمنا بأنّ هذا كان هو السبب في احتضان شعابة متليلي للطريقة الشيخية، فإنه لن يكون كذلك بالنسبة لبقية الطرق الأخرى ذائعة الصيت في متليلي.

(1) -A. Cauneille: les chaamba leur Nomadisme, p22.

(2) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, p166.

(3) -A. Coÿne: Une Ghazzia dans le Grand Sahara, p 6./ D'Armagnac: le Mzab et les pays Chaamba, p125.

وحسب ما يتبين لنا، فإنّ هناك عاملان رئيسيين قد ساهما بشكل كبير في انتشار الطرق الصوفية لدى شعابنة متليلي، وهما: الحياة الثقافية في متليلي، وموقع متليلي في الخارطة الطرقية.

### 1- الحياة الثقافية والعلمية في متليلي:

إنّ المراكز الثقافية والعلمية لدى شعابنة متليلي، خلال الفترة موضوع الدرس، كانت مقتصرةً على حاضرة قصر متليلي. وكان المسجد العتيق المؤسسة الثقافية والعلمية الوحيدة في البلدة، وكان يضمّ مدرسة قرآنية بها أقسامٌ يُدرّس فيها القرآن الكريم والتفسير والحديث النبوي والمتون الفقهية، وحتى بعض الأوراد والمتون الطرقية. وكان يتولى التدريس في المسجد العتيق معلمون ومشايخٌ تخرجوا أصلاً من مدارس هذه الطرق، كما كان اشعاعه الفكري مقتصرًا، تقريبًا، على الشعابنة المقيمين في القصر أو في الواحة. أما الشعابنة الرحل؛ وهم الأغلبية، فكانوا يؤجّرون معلمًا يرافقهم في رحلاتهم ويعلم أبناءهم القرآن الكريم وهم في مضارب حلّهم وترحالهم.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الاحتكاك الثقافيّ كان مقتصرًا على المناطق الجنوبية؛ أين كان الشعابنةُ يذهبون بتجارّتهم إلى مناطق ورقلة، عين صالح، توات وقورارة، ومن هذه الأخيرة على وجه الخصوص كانوا يستقدمون المشايخ ومعلمي القرآن إلى متليلي، أو يرسلون أبناءهم إلى زواياها التعليمية. ومنطقة توات كانت معروفةً بتجدرّ الطرق الصوفية بها؛ خاصة السنوسية، القادرية، والشيخية.<sup>(1)</sup>

ولم تظهر الأفكار الإصلاحية التي تواجه مظاهر الطرقية في البلدة إلا بعد سنة 1940، لما أصبح الشعابنةُ يرسلون أبناءهم إلى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خارج البلدة، أو حتى إلى جامع الزيتونة بتونس.<sup>(2)</sup>

إنّ هذا المستوى الثقافيّ المتواضع لدى شعابنة متليلي؛ خاصة البدو منهم، مع حبّهم لمظاهر التدبّين، جعلهم يعتبرون أيّ انسان يظهر بمظهر الصلاح والتقوى مبعلاً ومقدساً عندهم، وكانوا

(1) - محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص 178.

(2) - Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, f 21.

يطلقون عليه ألقاباً تدل على رفعة المكانة العلمية والدينية؛ مثل: "الطالب"، "المرابو"، "سيدي"... وغيرها. وهذا ما ساهم في نفوذ الأفكار الطرقية والصوفية بسهولة في مجتمع متليلي.

إنّ هذا الاحترام و"التسليم" الذي يقابل به شعابنة متليلي من يتقمصون ثوب الصلاح أو التصوف، لا يعني بتاتا السذاجة أو التبعية العمياء. فرغم تواضع المستوى الثقافي لديهم، إلا أنّ شعابنة متليلي كانوا، مع صفاء السريرة ولين الجانب تجاه هؤلاء "القديسين"، يتمتعون بذكاء وفطنة تجعلهم يميزون، إلى حد كبير، بين الانسان الصالح الورع الذي ينشد التقوى والاصلاح، وبين المراوغ الذي يهدف إلى خدمة مصالحه على حساب مصالحهم ومبادئهم. ولذلك، فإنّ تاريخ علاقة الشعابنة بأمثال هؤلاء يحفظ لنا مواقفهم المشرفة والتي لم تجعلهم، مع الاحترام والتبجيل لهؤلاء، يفرطون في أهمّ مبدأ يحافظون عليه ويكافحون لأجله، وهو الاستقلال.

ولهذا، لم نجد من الطرق الصوفية التي كانت معروفة بمهادنتها وولائها للمستعمر الفرنسي أيّ وجود لها في منطقة متليلي خلال الفترة موضوع الدرس. كما كانوا يختلفون مع "قديسيهم" في بعض الأحيان إذا ارتابوا في مواقفهم تجاه المستعمر الفرنسي؛ مثل ما فعلوا مع زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة لما خرجوا عن طوعهم، في ثمانينات القرن التاسع عشر، بسبب مهادنة هؤلاء للمستعمر الفرنسي، وولّوا وجوههم شطر بوعمامة، كما سنرى ذلك في الفصل الخامس.

إضافة إلى هذا وذاك، فقد تفتنوا بسهولة إلى "خُبث" الآباء البيض؛ الذين استقبلوهم في بادئ الأمر على أساس أنهم رجال صالحون، لكنهم لما اكتشفوا أمرهم، عملوا بشكل أو بآخر على التخلص منهم، وهو ما سنفصل فيه في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

وبما أنّ أغلب المقاومات الثورات الشعبية التي جرت وقائعها في شمال الصحراء قد تزعمها أشخاص تقمصوا ثوب التدين أو الشرف مثل الشريف بوشوشة، والشريف بن عبد الله وغيرهم، فقد وجد هؤلاء الزعماء في متليلي أرضاً خصبة لبث دعواتهم إلى الجهاد ومقاومة الدخيل الأجنبي، ذلك أنّ شعابنة متليلي يؤمنون بالصالحين والمرابطين، ويتبعونهم في دعواتهم، ويأتمرون بأمرهم مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

## 2- موقع متليلي في الخارطة الطُّرقية في الصحراء:

كانت متليلي تتوسط مركزين رئيسيين للتصوف في الصحراء هما الرويسات والابيض سيدي الشيخ؛ أما المركز الأول فهو يقع شرق المدينة وبه مقرُّ الزاوية القادرية بالجنوب، وهو يقع ضمن مضارب شعانة ورقلة إخوان شعانة برزقة وشركاءهم في الكثير من المجالات منها؛ الدفاع المشترك ضد الخطر الأجنبي، التجارة، وحتى الرعي؛ إذ يذكر كوناى أنّ شعانة متليلي كانوا يصلون بقطعانهم حتى منطقة ورقلة؛<sup>(1)</sup> التي هي مضارب رعي شعانة بوروبة. إضافة إلى هذا وذاك فإن ورقلة تعتبر ممرا رئيسيا لشعانة متليلي في طريقهم إلى الحج.

إنّ كل تلك العوامل ساهمت في احتكاك شعانة متليلي بالطريقة القادرية، وأدّت في الأخير إلى تموقع الطريقة في مواطن شعانة برزقة وفي قلوبهم.

أما المركز الثاني فهو الأبيض سيدي الشيخ، المقرُّ الرئيس للطريقة الشيخية في الجزائر، وعاصمة أولاد سيدي الشيخ، الذين انقعدت بينهم وبين شعانة متليلي علاقة روحية متينة منذ عهد سيدي الحاج بوحفص، وهذا ماسهل تنقّد أولاد سيدي الشيخ في مجتمع برزقة، وأصبح الإخلاص للزاوية الشيخية مظهرًا من مظاهر الولاء لسيدي الحاج بوحفص ولأولاده. كما أنّ حاجة الشعانة إلى التوجّه إلى منطقة البيض، لاستغلال مناطق الرعي المفضلة لديهم ذات المناخ المعتدل والأرض المعشوشبة؛ خاصة في حوضي وادي محيقن ووادي زرقون، قد عزز عندهم تمجيد أولاد سيدي الشيخ، وتموقع الطريقة الشيخية.

وهكذا نرى بأنّ الموقع الجيواستراتيجي للمنطقة، والوضع السوسيوثقافي لشعانة برزقة قد ساهما بشكل كبير في انتشار الطريقتين العتيدتين في متليلي.

(1) -A. Cauneille: Op.cit, p94.

بقي في الأخير أن نشير إلى أن تنفيذ الطريقة الدرقاوية<sup>(1)</sup> بين شعابنة برزقة كان بسبب دخول الثائر سي موسى بوحمار الدرقاوي المدني<sup>(2)</sup> إلى متليلي سنة 1848 ومكوثة في متليلي حوالي سنتين، وهو ما سنتحدث عنه في العنصر اللاحق من هذا المبحث.

أما الطيبة<sup>(3)</sup> التي ولت ظهرها لمقاومة الاستعمار، أواخر القرن التاسع عشر، وساعد زعيمها شريف وزان<sup>(4)</sup> على تنفيذ الفرنسيين في قورارة، فلم نعر لحد الآن على وثائق أو مصادر تتحدث عن ظروف دخولها إلى متليلي أو عن عوامل انتشارها بين شعابنة برزقة.

بينما كان للسوسية أتباع ومريدون في المنطقة؛ خاصة إبان مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، إلا أنه تم القضاء على تواجدها بعد دخول الخليفة سي حمزة بوبكر إلى متليلي وهزيمة الشريف محمد بن عبد الله سنة 1854.

### ثالثاً: مساهمة شعابنة متليلي في مقاومة الاستعمار الفرنسي قبل سنة 1851

إن طبيعة الشعابنة الاستقلالية وكرههم للدخيل الأجنبي قد جعلتهم يسارعون إلى مقاومة التوسع الاستعماري الفرنسي قبل وصوله إلى مناطقهم. ويمكننا أن نذكر هنا مقاومة الأمير عبد القادر، ومقاومة سي بوحمار الدرقاوي.

(1) - أصل الدرقاوية هو الشاذلية، وقد ظهرت في المغرب الأقصى، وهي تنسب إلى محمد العربي الدرقاوي المتوفى سنة 1823، ولها ثمانية فروع، أصبح فرع منها بالتدرج تحت سلطة الشيخ الهبري في بني سنان. وهي موجودة في الغالب في إقليم وهران، ثم انتشرت بعد ذلك بالتدرج، ولها عشر زوايا، و 134 طالباً، وتسعة شيوخ، و 72 مقداً، و 8232 إخوانياً. أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص ص 113-114.

(2) - لذلك وجدناها في الوثائق الأرشيفية الخاصة بالإحصاء مكتوبة باسم المدينة مع توضيح بخط رقيق بأنها درقاوية سيدي موسى.

(3) - الطريقة الطيبية: تنسب إلى مولاي الطيب 1089هـ/1679م، زويتها الرئيسية كانت في المغرب الأقصى، وشيخها واحد وهو المعروف بشريف وزان، وكان لها في الجزائر 301 مقداً، و 20 زاوية، و 15744 من الإخوان، وهي منتشرة في كل أنحاء الجزائر، سيما الجهات الغربية، ويزور رئيسها الجزائر ليتفقد زواياها باتفاق مع السلطات الفرنسية مقابل خدمات يؤديها لها. أنظر:

C Allan: Le Cherif d'Ouazzane, In La Vigie Algérienne, Alger 30/11/1892.

(4) - للاطلاع على تفاصيل أكثر حول مهمة شريف وزان في قورارة سنة 1892. أنظر:

C Allan : Le Cherif d'Ouazzane, In La Vigie Algérienne, Alger 30/11/1892.

## 1- مقاومة الأمير عبد القادر:

إنّ الرواية الشعبية المحفوظة تتحدث عن مشاركة الشعانبة أفراداً وجماعاتٍ في مقاومة الأمير عبد القادر، خاصةً أنّ الأمير عبد القادر هو قادريُّ الطريقة؛ ذلك أنّ هذه الطريقة لها انتشار واسعٌ في منطقة متليلي، ولها مريدون كثيرون، كما مر بنا.

وقد بذلنا جهدنا في البحث عن الوثائق التي تعضد هذه الرواية الشعبية، لكننا لم نعثر على ذلك سوى ما أشار إليه دوماس من أنّ كلّ قبائل الصحراء تقريباً كانت تعترف بسلطة الأمير عبد القادر إلا أنه لم يستطع استمالة صفٍّ من الشعانبة، وأثناء حصاره لعين ماضي<sup>(1)</sup>، سنة 1838، هاجم مضارب الشعانبة وأخذ منهم 2500 من الإبل لغرض اخضاعهم، أو على الأقل لفرض عليهم شبه تبعية، فالتقى أعيان الشعانبة مع الأمير، وقدموا له فروض الطاعة والولاء، فأرجع إليهم إبلهم. وبمجرد استلامهم الإبل وذهابهم لم يرههم بعد ذلك.<sup>(2)</sup>

ومهما تكن صحة هذه الرواية التي استفرد بها دوماس، إلا أنّ هذا لا ينفي مشاركة أفرادٍ من القبيلة وجهادهم مع الأمير عبد القادر خلال مراحل مقاومته المختلفة، وربما قد يكون غرض الأمير من فعله هو السعي إلى إحكام سيطرته على كل المناطق والجماعات المستقلة، مستغلاً الهدنة التي بينه وبين الفرنسيين.

والظاهر أنّ الشعانبة لم يكونوا في صفوف أعدائه، لأنّ المحافظة على الاستقلال لا تعني بالضرورة العداوة، ولم يذكر دوماس في روايته أنّ الشعانبة اصدموا مع الأمير أو حاولوا انجاد التجاني الذي كان يحاصره جيش الأمير آنذاك، وإنما قد أوردتها في سياق حديثه عن الطبيعة الاستقلالية للشعانبة، وعن عدم رغبتهم في انضواء تحت أي سلطان.

## 2- مقاومة سي موسى بوحمار الدرقاوي:

احتفى بمنطقة متليلي الشعانبة الثائر المدعو سي موسى بوحمار الدقاوي الذي كان يقود مقاومة أولاد نايل وبني الأغواط جنوب المدية. وهو من مواليد مصر، وقد تجول في سورية

(1) - عين ماضي: تبعد عن الأغواط ب48 كلم غرباً، كانت تابعة للبلدية الأهلية للأغواط، بما قصر وواحة، كان عدد سكانها 810 نسمة (احصاء 1896)، وهي مقر الطريقة التيجانية وعاصمتها الروحية. أنظر:

Adolphe Joanne: Géographié de l'Algérie, Librairie Hachette et C<sup>ie</sup>, Paris 1899, p54.

(2) - Eugène Daumas: Le Sahara Algérien, p314.

واسطانبول، ثم وصل ليبيا، ودخل الطريقة الشاذلية على يد مقدمها محمد بن حمزة سنة 1829، واتجه إلى المغرب وأخذ هناك الطريقة الدرقاوية.<sup>(1)</sup> وبعد الاحتلال بقليل دخل الجزائر واتصل بالحاج سيدي السعدي وعيسى البركاني في متيجة ونسقوا معا حركة الجهاد، ابتداء من سنة 1833، إن لم يكن قبل ذلك، وزار الحاج موسى الشيخ العربي بن عطية في الونشريس محاولا إقناعه بتأييد الجهاد ودعوة الإخوان إليه، فلم يفلح، فحارب الفرنسيين مع الأمير، كما تحارب معه على الفوز بالمدينة، ولما هزمه الأمير ظل الحاج موسى تائها على وجهه فنزل في أولاد نايل بجبل مساعد، وحارب بهم الفرنسيين، ثم دخل الأغواط ونظم نواة لطريقته الدرقاوية وعين خليفته له أحدهما محمد بلحاج، على الجنوب، وقويدر بن محمد، على الشمال.<sup>(2)</sup>

وحين حاصرته القوات الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف في مسعد<sup>(3)</sup> في فيفري 1847 وكادت أن تقبض عليه، فرّ أولاً إلى بلاد القبائل عند أولاد يحيى، ومنها إلى متليلي في مطلع سنة 1848؛<sup>(4)</sup> أين استقبله أهلها بحفاوة وبقي هناك إلى أن عاد إلى الاغواط في ربيع سنة 1849 مع بعض من مريديه من أبناء الشعابنة فعمل على إعادة تنظيم المقاومة فيها.<sup>(5)</sup> لكنّ الشيخ بوزيان<sup>(6)</sup> قائد ثورة الزعاطشة استقدمه إليه واستشهد هناك في واحة الزعاطشة أواخر سنة 1849، مع ثلة من شعابنة متليلي المرافقين له.<sup>(7)</sup>

(1) -E. Mangin: Notes sur l'histoire de Laghouat, p97.

(2) -أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص 115.

(3) - مسعد: بلدية تابعة لولاية الجلفة، تقع على الطريق بين بوسعادة والجلفة، على بعد 13 كلم من البرج، و88 من الجلفة، واحة وحقول خضر وفواكه، ومصنوعات نسيجية تقليدية . أنظر:

Anonyme: Dictionnaire des communes de l'Algérie, Pierre Fontana Imprimeur-Éditeur, Alger 1903, p 117.

(4) -Louis Rinn: Op.cit, p241.

(5) -E. Mangin: Notes sur l'histoire de Laghouat, pp 98-99.

(6) - الشيخ بوزيان: هو زعيم ثورة الزعاطشة اسمه أحمد بوزيان بن إسماعيل ولد سنة 1799 ينحدر من أسرة معروفة في بسكرة من عرش الذواودة، درس في زاوية بمدينة الجزائر وبعد سقوطها سنة 1830 عاد إلى الزيبان، التقى بالأمير عبد القادر وشارك معه في عدة معارك إلى أن عينه شيخا على الزاب الشرقي، استشهد في واحة الزعاطشة ببسكرة سنة 1849. أنظر: شهرزاد شليبي: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009، ص43.

(7) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 138.

## المبحث الثاني:

### مساهمة شعابة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

#### أولاً: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

الشريف محمد بن عبد الله هو أحد أبطال المقاومة الشعبية، وحسب الوثائق الفرنسية فإنه من أولاد سيدي أحمد بن يوسف من قبائل الغاسول<sup>(1)</sup>، واسمه ابراهيم بن أبي فارس، أو ابراهيم بن عبد الله، ثم أخذ اسم الجهاد لطرد الكفار وهو محمد بن عبد الله.<sup>(2)</sup> وتذهب بعض الروايات إلى أنه من عائلة أولاد سيدي الشيخ استقر في عام 1840 بتلمسان مع أسرته واشتغل بتعليم الأطفال القرآن الكريم داخل زاوية سيدي يعقوب التابعة لأولاد سيدي الشيخ.<sup>(3)</sup>

ظهر على مسرح الأحداث منذ أن كان مع آغا الغاسول التابع للأمير عبد القادر، إلا أنه كان يطمح لمنصب الخليفة، فقام محمد بن عبد الله بالاتصال بالملك الفرنسي لويس فيليب (Louis Philippe) عارضا عليه أن يكون مع الفرنسيين وخصما للأمير.<sup>(4)</sup> وكان له ما أراد إذ عُين خليفة على تلمسان بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين في شهر فيفري سنة 1842.<sup>(5)</sup> لكن سرعان ما ارتابوا في ولائه، فغادر تلمسان مضطرا إلى أرض الحرمين لأداء فريضة الحج، سنة 1845، وهناك التقى بمؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي،<sup>(6)</sup> وفي طريق رجوعه إلى الجزائر عرّج على طرابلس أين استقبله حاكمها أحمد عزت باشا والدفتردار أمين أفندي خوجة<sup>(7)</sup> واللذين حرصاه على الثورة، كما تقول الرواية الفرنسية.<sup>(8)</sup>

(1) - الغاسول: قبائل وقصر تابع لولاية البيض، تبعد 43 كلم جنوب مقر ولاية البيض. أنظر:

Anonyme: Op.cit, p 84.

(2) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 107.

(3) -E. Mangin: Op.cit, p 278.

(4) - النسخة المخطوطة لهذه الرسالة نشرها اسكير غابريال في المجلة الافريقية. أنظر:

G. Esqueur: Un Rival d'Abd el Kadeur/In/ R.A., V68, 1927, p 432.

(5) - C. Trumelet: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885, p 47.

(6) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 4 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج 1، ص 356.

(7) - هو ابن حمدان بن عثمان خوجة.

(8) - شارل فيرو: الحوليات الليبية، تر: محمد عبد القادر الوائي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1994، ص 469.

وقد دخل الجزائر عبر المسالك الصحراوية حوالي سنة 1850 واتخذ اسما جديدا وهو الشريف محمد بن عبد الله، وصادف دخوله وفاة سلطان ورقلة الحاج أحمد بن باية تاركا الحكم لابنته لالة الزهرة التي تنازلت له عن لقب سلطان ورقلة.<sup>(1)</sup>

وبعد استقراره في ورقلة بدأ يعد العدة لمقاومة الاستعمار الفرنسي، كان ذلك في شهر نوفمبر سنة 1851.<sup>(2)</sup> كما انضم إليه شعابنة متليلي وبعثوا إليه جواد "القادة"<sup>(3)</sup> كعلامة على الولاء التام له.<sup>(4)</sup>

وبعد ورقلة فكّر في الاستيلاء على تقرت التي تخضع لسلطنة عائلة ابن جلاب فاتجه إليها وخاض معركة مع سلطانها سليمان بن جلاب، وحقق نصرا حاسما عليه بفضل أتباعه من الأرباع والشعابنة، وبعض المخادمة.<sup>(5)</sup>

غادر بعدها تقرت واتجه إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار. وللقضاء على حركته قام الجنرال راندون (Randon) بتجنيد ثلاثة فرق كبيرة لمحاربتة، فاشتبكت معه في معركة عين الرق حيث قتل فيها من الفرنسيين حوالي 200 رجل، فاستقبل في الأغواط بعد أن فشل في دخولها من قبل. وقد أظهر بطولة فائقة في الدفاع عن مدينة الأغواط وقصورها خاصة بعد انضمام ابن ناصر بن شهرة، إلى أن سقطت يوم 4 ديسمبر 1852. وبعد أن خرج منها بصعوبة حاول إعادة تنظيم صفوفه إلا أنّ تسارع الأحداث اضطرّه إلى الرجوع إلى ورقلة لحماية نفوذه فيها.

وقد اشتبك مع قوات سي حمزة حليف فرنسا في شهر ديسمبر 1853، إلا أنه تلقى هزيمة قاسية اضطرته إلى التراجع نحو تقرت، وبعد وصول قوات فرنسية كبيرة إلى ورقلة اضطر إلى

---

<sup>(1)</sup> - إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص108.

<sup>(2)</sup> -E. Mangin: Op.cit, p 276.

<sup>(3)</sup> - جواد القادة أو القود: هي عادة منتشرة بين القبائل الصحراوية، وتتمثل في إهداء حصان حرب مزين ومسرح بجميع عدته إلى أي زعيم ترى فيه الأهلية لقيادتها. ومعناه أنها تخضع له من خلال تقرّسه فوق هذا الجواد. أنظر: إبراهيم بن صالح أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بحاز وسليمان بومعقل، العالمية ، غرداية 2013، ص 168.

<sup>(4)</sup> - C. Trumelet: Op.cit, p 42.

<sup>(5)</sup> - Ibid, p 65.

الانتقال إلى تونس في مطلع سنة 1854؛ أين احتفى بقبائل خمير التونسية.<sup>(1)</sup> ثم عاد مرة أخرى إلى ورقلة في شهر سبتمبر 1854، وأخذ ينتقل بين المناطق الصحراوية ويتردد على تونس، إلى أن أُلقي عليه القبض بمساعدة الباشا آغا سي بوبكر ولد حمزة في أكتوبر 1861،<sup>(2)</sup> حيث اقتيد إلى سجن قارة الحاج، ثم وهران فجزيرة كورسيكا، قبل أن يرجعه الفرنسيون إلى سجن عنابة شبة ميت سنة 1863.<sup>(3)</sup>

ثانيا: مساهمة شعابنة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

بعد استعراضنا لمقاومته بشكل مختصر سنتبع علاقة الشعابنة بالشريف محمد بن عبد الله ودورهم في مقاومته؛ ويمكننا تقسيم هذا الدور إلى مرحلتين:

### 1- مرحلة المشاركة القوية والفعالة:

إنّ هذه المرحلة؛ التي تبدأ منذ أيامه الأولى حين رجوعه إلى الجزائر ودخوله ورقلة سنة 1851<sup>(4)</sup> وتنتهي بدخول سي حمزة بن بوبكر لمتليلي في نوفمبر 1853، قد عرفت مشاركة قوية وفعالة في مقاومة الشريف بن عبد الله، بل كان الشعابنة في أغلب فترات هذه المرحلة يشكلون أهم وأقوى فصيل في جيشه.

وليس خافيا أنّ الشعابنة كانوا يمثلون إحدى أهم وأقوى المكونات القبليّة لورقلة، منذ القرن السابع عشر، فلا غرو أن يستعين بهم سلطان ورقلة الجديد لأجل بسط سلطته على المنطقة، والانطلاق في انتفاضته لتحرير بقية المدن الجزائرية من الاستعمار الفرنسي.

وإذا كانت بعض المصادر تتحدث عن دخول الشريف بن عبد الله متخفياً مع زوجته إلى ورقلة سنة 1851 قاصداً منزل عبد الله بن خالد المخادمي، وبقائه هناك حتى إكمال اتصالاته؛

---

(1) - فاطمة بن سليمان: الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881، منشورات Edisciences، تونس، 2009، ص315.

(2) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص362.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885، p407.

(4) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص357.

منها اتصاله بالمرابطة لالة الزهرة التي طلبت من قبائل ورقلة مبايعته سلطانياً على ورقلة؛<sup>(1)</sup> إلا أنّ التقارير الفرنسية تتحدث عن أنّ محمد بن عبد الله قد أعلن الجهاد ضد المستعمر الفرنسي في شهر جوان 1851 بين خيام الشعانية، ولقّب نفسه، أو لقبه الشعانية بالشريف.<sup>(2)</sup>

### لكن أين تم ذلك؟ هل في ورقلة؟

إنّ تلك التقارير لا تشير إلى مكان تواجد تلك الخيام التي كانت منطلقاً لمقاومة الشريف محمد بن عبد الله. لكنها تذكر أنّ الشريف انتقل من طرابلس إلى غدامس، ومنها دخل إلى الجزائر في طريقه نحو ورقلة، ومكث في منطقة سوف إلى غاية فيفري 1851؛ حسب ترميلي، يدرس الوضع ويُعدّ الخطط لبدأ ثورته.<sup>(3)</sup> لكنه لم ينجح في اقناع السوافة كما يقول فيرو بالانضمام إليه لمهاجمة توقرت.<sup>(4)</sup> كما أنّها تشير أيضاً إلى أنّ شعانية ورقلة كانوا في طليعة قبائل ورقلة الذين استجابوا وبايعوا الشريف بن عبد الله بعد إعلانه الجهاد.<sup>(5)</sup>

يبدو أنّ هؤلاء الشعانية الذين شهدوا انطلاقة مقاومة بن عبد الله كانوا إما في المناطق القريبة من ورقلة، أو من الشعانية البدو المنتشرين في المناطق الممتدة بين سوف وورقلة.

بعد اعلانه الثورة تلقى الشريف بن عبد الله مبايعة معظم قبائل ورقلة من الشعانية، المخادمة، بني ثور، وسعيد عتبة. وقام هؤلاء بأول عمل عسكري يوم 21 أوت 1851 على الساعة الرابعة مساءً تمثل في مهاجمة حلفاء فرنسا من قبائل أولاد مولى المخيمين في ستيل في واد إتل.<sup>(6)</sup>

(1) - C. Trumelet: Op.cit, p 65.

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 395.

(3) - C. Trumelet: Op.cit, p 54.

(4) -C. Féraud: Les Ben-Djellab Sultans de Tougourt /In/ R.A., V25, 1881, p 126.

(5) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 395.

(6) - Ibid, p 395.

وبعد هذه المعركة أعلن شعاعبة متليلي دعمهم الكامل له.<sup>(1)</sup> وذلك من خلال إرسالهم لجواد "القادة" وكذلك لانخراطهم بأعداد كبيرة في صفوفه، فقد كان الشعاعبة يمثلون أهم قبيل في جيشه، كما كانت فرقة المهاري تمثل أكبر فرقة في فرسانه.

وبعد تضخم جيشه بشعاعبة متليلي قرر الشريف بن عبد الله دخول تڤرت.<sup>(2)</sup> وتحدثنا التقارير الفرنسية عن تقدم سلطان ورقلة نحو تماسين وتڤرت في الأيام الأولى لشهر أكتوبر 1851 بقوة ضمت المئات من الفرسان وحوالي 900 من المشاة كلهم تقريبا من الشعاعبة والمخادمة.<sup>(3)</sup> وبعد دخوله تماسين من غير قتال يوم 2 أكتوبر 1851، وبرنوسه الأخضر، تعرض الشريف بن عبد الله يوم 5 أكتوبر 1851 لهجوم غادر من طرف الشيخ بن جلاب كاد على إثره أن يقتل لولا الدفاع المستميت لفرسانه الشعاعبة والذين افتدوا جسده بحوالي 50 شهيدا، وأخرجوه من هذا الكمين بعد تعرضه لجروح بليغة.<sup>(4)</sup> وهذا ما يدل على أن الفرسان الشعاعبة كانوا من أقرب المقاتلين إليه وربما يكون قد اتخذ منهم حرسا خاصا.

وتشير عدة وثائق إلى التواجد القوي للشعاعبة في جيش بن عبد الله؛ منها تلك الرسالة التي بعثها إلى سي الشريف بن لحرش قائد أولاد نايل يوم 10 نوفمبر 1851 راجيا استماتته إلى صفه بقوله: "نعلمكم أنّ جماعة سيدي محمد بن عبد الله قد قدمت ومعها الشعاعبة والمخادمة عارضين عليكم التحالف ضد العدو الفرنسي."<sup>(5)</sup>

وبعد توسع نفوذه في ورقلة ووادي ريغ قرر التوجّه نحو الأغواط؛ فخرج في الأيام الأولى لديسمبر 1851 من ورقلة مرفوقا بقوة كبيرة من سعيد عتبة وشعاعبة بوروبة وشعاعبة المواضي الذين التحقوا به قاصداً خليفة الأغواط بن سالم التومي. وفي طريقه أغار على مضارب قبيلة أولاد سعيد بن سالم من أولاد نايل في واد لحرمر، وانضم إليه بن ناصر بن شهرة مع فرقة من الأرباع في

---

(1) - C. Trumelet: Op.cit, p 65.

(2) -E. Mangin: Op.cit, p 276.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 396 / C. Féraud: Op.cit, p 126.

(4) -E. Mangin: Op.cit, p 276.

(5) -Ibid, p 277.

بريان.<sup>(1)</sup> وبهذا يكون فرع الشعانية في المنيعَة قد التحق هو الآخر بنظرائه من فرعي متليلي وورقلة في مشاركتهم في مقاومة الشريف بن عبد الله.

ومن بريان راسل سلطان ورقلة المدنّ الميزابية عارضاً عليهم الانضمام إليه، إلا أنّهم هددوه بحربٍ عنيفةٍ إن فكّر في اقتحام قصورهم، عندئذ أدرك الشريف أنّ ساعة الدخول إلى الأغواط لم تكن بعد فقرر أن يخيم جنوب قصر متليلي.<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ اختيار سلطان ورقلة لمتليلي كقاعدة للتخيم وإدارة العمليات تدل على اطمئنانه وثقته في الشعانية، ذلك أنّ شعانية متليلي قد ناصرته منذ شهر أوت 1851، كما مر بنا، إضافةً إلى استقرار المنطقة وتمنّعها عن النفوذ الفرنسي.

إنّ بناء الشعانية لمقام تذكاري في المكان الذي خيم فيه ابن عبد الله جنوب مدينتهم، بعد تراجعه إلى ورقلة،<sup>(3)</sup> يعبر على مقدار ولائهم وتبجيلهم وطاعتهم للمرابطين وأولياء الله الصالحين الذين يرفعون لواء الجهاد ضد الكفار؛ فقد اعتبر الشعانية مرور هذا الشريف بمدينتهم وتخييمه بواجبها دليلاً على البركة التي حلّت عليهم، وقد يكون بناؤهم لهذا المزار يهدف إلى تذكيرهم وتذكير أبنائهم وأحفادهم بمآثر الصالحين، وبطولات المجاهدين والمقاومين، ولتظلّ جذوة الثورة والجهاد متقدةً في نفوسهم جيلاً بعد جيل، وهو ما أشرنا إليه في المبحث الأول من هذا الفصل، حين تكلمنا عن الغرض الرئيسي الذي دفع الشعانية إلى بناء تلك المقامات والقباب.

والغريب أنّ قادة الحملة الفرنسية الأولى التي وصلت مدينة متليلي في جانفي 1854، قد اشتاطوا غضباً حين وقفوا أمام هذا المقام، وأمروا بهدمه على الفور بعد أن فهموا ما يرمز إليه.<sup>(4)</sup>

(1) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 397.

(2) - C. Trumelet: Op.cit, p 67.

(3) - Julia A. Clancy-Smith: Rebel and Saint, University of California, 2002, p 186.

(4) - يقول تريملّي Trumlet أنّ الشعانية بنوا هذا المزار في شهر سبتمبر 1853؛ أي قبل وصل الحملة بجوالي 4 أشهر.

أنظر: C. Trumelet: Op.cit, p 376. وانظر الملحق رقم 8

لقد استخدم الشريف بن عبد الله مخيمه في متليلي ليتحرك منه نحو كل الاتجاهات؛ فبعد أيامٍ من مكوثه في المخيم رجع إلى ورقلة لتعيين الشيخ الطيب بن باية خليفةً له على نقوسة مكان أخيه بوحفص الذي لم يطمئنً لولائه.<sup>(1)</sup>

وبعد رجوعه إلى مخيمه في متليلي، راسله بوجرة وبوزيان بعد أن وعدوه بانضمام الارباع؛ فخرج من متليلي بـ 500 فارس، وتوجه نحو الأغواط فالتقى بسي الشريف في العقرب يوم 17 جانفي 1852؛ أين وقعت معركةً كبيرةً بين محمد بن عبد الله ومن معه من الشعانبة، وبوزيان وبوجرة ومن معهما من الارباع، وجزءٍ من أولاد يعقوب من جهة، وسي الشريف بن لخرش ومن معه من أولاد نايل من جهة أخرى. وقد اضطر سي الشريف إلى الانسحاب والتخيم في وادي جدي جنوب جبل بوكحيل.<sup>(2)</sup>

وقد أعاد الكثرة الشريف محمد بن عبد الله في شهر فيفري 1852؛ حين اتجه نحو الأغواط لكنه اصدم بقوم سي الشريف بن الأحرش المدعوم من قوات النقيب بين (Pein) القائد الأعلى لبوسعادة، وهذا ما أرغمه على التراجع جنوبا. وفي طريق رجوعه إلى مخيمه بمتليلي أغار على بني ميزاب محاولاً السيطرة عليهم، لكنه فقد خليفته في هذه العملية بعد إصابته برصاصة قاتلة.<sup>(3)</sup>

كما تحرك في مارس 1852 نحو وادي زرقون لمعاينة أولاد يعقوب؛ ونصب خيامه بالقرب من أولاد سيدي الشيخ منتظراً التحاق سي حمزة، غير أنّ هذا الأخير لم يحاول الذهاب إليه واكتفى بإعلامه بخضوعه إليه.<sup>(4)</sup>

ولمحاورة تحركات الشريف بن عبد الله في المنطقة؛ فقد عمدت سلطات الاحتلال إلى انشاء برج البيض العسكري، وجعله كمركز متقدم في الجنوب الوهراني، وذلك لمراقبة تحركات القبائل الصحراوية المنضوية تحت لواء محمد بن عبد الله؛ كقبائل الشعانبة، من جهة، ولحماية القبائل التي أعلنت ولاءها للفرنسيين من جهة أخرى.<sup>(5)</sup> كما عمدت إلى تكثيف الضغوط على زعيم أولاد

(1) - C. Trumelet: Op.cit, p 68.

(2) -E. Mangin: Op.cit, p 278.

(3) - C. Trumelet: Op.cit, p 68.

(4) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 110.

(5) - C. Trumelet: Op.cit, p 71.

سيدي الشيخ؛ سي حمزة؛ هذه الضغوط التي توجت باستسلامه للعريف ديليني (Dèligny) يوم 5 أفريل 1852، وانفصاله التام عن الشريف بن عبد الله.<sup>(1)</sup>

وقد ركزت سلطات الاحتلال اهتمامها حول الأغواط، فكان من الشريف محمد بن عبد الله إلا أن دعم صمود المدينة التي تعرضت لحصار خانق بمجموعة من شعابنة متليلي، وهو ما أكده تقرير حاكم غارداية شارل كلايكنيشت (Charles Kleinknecht) حين ذكر بأن: "شعابنة متليلي كانوا حاضرين في حصار الأغواط، في ديسمبر 1852، ولم يكونوا إلى جانبنا؛ وقد قاموا بالهجوم على أولاد سعد بن سالم قريبا من الاغواط."<sup>(2)</sup>

وبعد اقتحام القوات الفرنسية للأغواط يوم 4 ديسمبر 1852 في هجوم عنيف ومميت نجى منه محمد بن عبد الله بأعجوبة، لجأ إلى الشعابنة المخيمين بجاسي عين الناقة قرب ورقلة، لمداواة جراحه ولالتقاط أنفاسه. وما إن ظهر بن عبد الله من جديد حتى تداعى له كل المجموعات المنتشرة في الصحراء يحضونه على مواصلة المقاومة، كما تذكر التقارير الفرنسية.<sup>(3)</sup>

وحسب ما ذكرته جريدة المبشر، فإن أنصار الشريف محمد بن عبد الله واصلوا عملياتهم حتى بعد احتلال الأغواط؛ منها تلك العملية التي نفذها يوم 16 أكتوبر 1853 فرقة من أنصار بن عبد الله متكونة من خمسين خيالا وأربعين مهريا؛ حين هجموا على مجموعة من الارباع في أويته على حافة وادي مسعد، وغنموا خمسة عشر شاة من أهل أويته وعين ماضي، وأثناء انسحابهم نحو مخيمهم في متليلي أرسل أولاد يعقوب في أثرهم وأدركوهم في شبكة بريان، وقتلوا منهم وغنموا السلاح والخيول والابل.<sup>(4)</sup>

(1) -E. Mangin: Op.cit, p 282.

(2) -Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résident de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59, f 32.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 399.

(4) - المبشر، ع149، 15 أكتوبر 1853، ص4.

## 2- مرحلة التراجع والتردد:

كما أشرنا سابقاً فإن سي حمزة بن بوبكر زعيم فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة انقلب على الشريف بن عبد الله وآثر الدخول في حلف مع فرنسا، وذلك في إطار التنافس الذي كان بين فرعي أولاد سيدي الشيخ الشرقي والغربي، وقد وعدته فرنسا بأن تنصّب خليفته على الصحراء شريطة أن يقوم بالقضاء على سلطان ورقلة.<sup>(1)</sup>

وبالفعل فقد جهز حملةً ضخمةً قوامها ألف مقاتلٍ تقريباً وانطلق بها من بريزينة يوم 9 نوفمبر 1853 قاصداً ورقلة. وبعد اجتيازه لوادي زرقون وحطّه الرحال بأم الدلي راسل شعانية متليلي ليُعلمهم بموقفه الجديد وبقراره الدخول تحت النفوذ الفرنسي. فخرج له أعيان متليلي والتقوا معه في قوفاة<sup>(2)</sup> وأهدوه جواد "القادة" كدلالة على تأييدهم له ودخولهم في طاعته.<sup>(3)</sup>

إنّ الارتباط الروحي والديني الذي كان بين الشعانية وأولاد سيدي الشيخ هو الذي حتم على شعانية متليلي أخذ هذا الموقف؛<sup>(4)</sup> والذي يعود إلى عهد الوالي الصالح سيدي الحاج بحوص الذي عاش في متليلي وبين الشعانية ردحا من الزمن خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، ومنذ ذلك الحين أصبح الشعانية يحترمون ويجلون أولاده وأحفاده من أولاد سيدي الشيخ ويقدمون لهم الزيارات والهدايا وغير ذلك.<sup>(5)</sup> ويبدو أنّ الارتباط الروحي قد أثر على المواقف السياسية؛ أي على موقف الشعانية من فرنسا.

ورغم دخول سي حمزة متليلي من دون طلبة رصاص، إلا أنّ هذا الدخول السهل لحليف فرنسا لم يكن محل اطمئنان للقادة العسكريين الفرنسيين؛ الذين كانوا يرون بأنّ إخضاع هذه البلدة

---

(1) - إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 216.

(2) - وادي زرقون، أم الدلي، وقوفاة مناطق موجودة في صحراء متليلي غرباً بينها وبين بريزينة، وهي تتبع حالياً بلدية متليلي الشعانية.

(3) -C. Trumelet: Op.cit, p107.

(4) -Charles Amat: Le M'zab et les M'zabites, p37.

(5) -A. Coÿne: Op.cit, p 6.

مع شعابنة برزقة المحيطين بما لا يعدو أن يكونَ سريعَ الزوال، لأنَّ هؤلاء الخاضعين الجدد معروفون بتطلعهم الدائم للاستقلال ولا يقبلون بالخضوع السهل لأيّ كان، كما يقول فيرو.<sup>(1)</sup>

ولعل أهم ما يلفت الانتباه أنه رغم دخول سي حمزة إلى متليلي واستقراره الآمن فيها لمدة عشرين يوماً، إلا أنَّ الحاكم العام للجزائر الماريشال راندون أمر الرائد دوباريل (De Barail) والرائد نيكو (Niqueux) بالسير بطابوريهما إلى متليلي في حملة ضخمة ترأسها العقيد دوريو (Durrieu) وذلك لدعم سي حمزة.<sup>(2)</sup>

وقد وصلت هذه الحملة إلى متليلي يوم 20 جانفي 1854،<sup>(3)</sup> فدخل العقيد دوريو المدينة مرفوقاً بقائدي الطابورين وبعض الحرس وطلب من الأعيان مقابلة الناس فلما تجمع أهالي البلدة خطب فيهم قائلاً: "لقد أمرنا الحاكم العام وامبراطور فرنسا بحرق نخيلكم وتهدم قصركم، وذلك بسبب مساندتكم لشريف ورقلة"، فرد عليه الناس "نعم لقد ساندناه من قبل، ولكننا اليوم لم نعد كذلك، وسوف لن نسمح له بأن يقترب منا، وما نحن إلا تابعون لفرنسا"؛ كما قال تريملي.<sup>(4)</sup>

فلماذا جهّز الحاكم العام للجزائر هذه الحملة الضخمة لدخول متليلي رغم أنّ الشعابنة قبلوا بالنفوذ الفرنسي الذي جاء به سي حمزة بن بوبكر قبل حوالي شهرين؟

قد يكون الجواب عن هذا السؤال بأنَّ غرض هذه الحملة ليس احتلال متليلي، وإنما التوجه نحو ورقلة للقضاء على الشريف بن عبد الله؛ وهو ما أشارت إليه جريدة المبعثر الحكومية حين أكدت بأنَّ الوالي العام قد أمر قادة الحملة بالتوجه إلى متليلي لإنجاد سي حمزة إذا احتاج إليهم.<sup>(5)</sup> لكن إذا علمنا أنّ طابورَ الرائد دوباريل كان في القرارة؛ وهي الأقربُ إلى ورقلة، حين استلم أوامر

(1) -C. Féraud: Op.cit, p 204.

(2) -A. Rastoul: Le Maréchal Randon (1795-1871) D'après Ses Mémoires et Des Documents Inédits, Librairie De Firmin-Didot Et C<sup>ie</sup>, Paris 1890, p 117.

ويذكر المزارى أن الحملة على متليلي كانت تتشكل من ثلاث محلات (طوابير)؛ محلة ديريو ومحلة نيكو ومحلة دوباريل. أنظر: بن عودة المزارى: طلوع سعد السعود، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1990، ج 2، ص 258.

(3) -C. Trumelet: Op.cit, p 359.

(4) -Ibid, p 379.

(5) - المبعثر، ع 153، 15 جانفي 1854، ص 1.

الحاكم العام بالتوجه نحو متليلي،<sup>(1)</sup> وهنا يمكن القول بأنّ تجمع تلك الحملة في متليلي ليس لدعم الجهد العسكري لسي حمزة المتوجه نحو ورقلة فقط، وإنما لها أغراض أخرى؛ ربما لعدم اطمئنان الفرنسيين تماما لهذا الخضوع السلمي للشعابنة، وربما أيضا توجّسهم من تردد سي حمزة في استكمال حملته؛ حيث مكث في متليلي فترةً أطول مما كان مخططا لها.<sup>(2)</sup>

كما أنّ تقرير كلايكنيشت يضيف سببا آخر؛ حين يؤكد أنّ الحاكم العام قد أمر دوباريل ونيكو بالسير بطابوريهما نحو متليلي لتأديب شعابنة برزقة انتقاماً لما قاموا به أثناء حصار الأغواط في ديسمبر 1852.<sup>(3)</sup> وفي هذا دلالة على مشاركة شعابنة متليلي مع الشريف بن عبد الله في الدفاع عن الأغواط أثناء الحملة العسكرية الفرنسية والتي توجت باحتلالها.

كما أنّ الظرف الذي كان يحيط بسي حمزة في متليلي جدّ معقد وصعب، نفهم هذا من مكوثه عشرين يوماً في متليلي يفكر ملياً في احتمالات نجاح حملته التي سينتقل بها إلى ورقلة للقضاء على الشريف بن عبد الله.<sup>(4)</sup> ورغم التبعية الروحية التي كان يتمتع بها لدى شعابنة متليلي إلا أنهم لم يكونوا كلهم مقتنعين بوجهة نظر سي حمزة حين أخبرهم بانضمامه إلى فرنسا ضد الشريف بن عبد الله. إلا أنهم في الأخير قبلوه على مضض، كما يقول فيرو.<sup>(5)</sup>

وقد ذكر بليدي رواية أخرى، ومفادها أنّ الشعابنة كانوا ثائرين، في سنة 1854، وأنهم رفضوا دفع الضرائب لثلاث سنوات الماضية؛ والتي طالبتهم سلطات الاحتلال بدفعها بسبب إيوائهم للشريف بن عبد الله، وأنّ أعداداً منهم قد خرجوا من متليلي، ولجؤوا إلى الصحراء؛ غرب متليلي، وابتعدوا عنها، وأنّ تلك السلطات قد طلبت من أولاد عنان حكام بني يزقن، بالتوسط لدى الشعابنة لإرجاعهم إلى متليلي. ويضيف بليدي أنّ أولاد عنان استجابوا لهذا الطلب ومكثوا

(1) - يذكر دوباريل أنه تلقى أوامر راندون بالعودة إلى الأغواط ثم التوجه نحو متليلي. أنظر:

François-Charles Du Barail: Mes souvenirs, 2 Tomes, E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeurs-Éditeurs, Paris, 1898, T2, p 117.

(2) -C. Féraud: Op.cit, p 203.

(3) -Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59, f 32.

(4) -C. Trumelet: Op.cit, p 108.

(5) -C. Féraud: Op.cit, p 203.

مع الشعابنة شهرا في الصحراء، واستطاعوا في الأخير إقناعهم بالعودة إلى متليلي، بعد أن تكفل أولاد عنان بدفع مبالغ الضرائب إلى الحكومة.<sup>(1)</sup>

وينبغي الإشارة هنا، إلى أنّ هذه الرواية قد استفرد بها بليدي؛ بحيث لم نجد إشارة لها في بقية المصادر التي اعتمدنا عليها؛ مثل تريملي، فيرو، وغيرهما. كما أنّ بليدي لم يوضح لنا إن كانت هذه الحادثة وقعت قبل قدوم الحملة الفرنسية على متليلي أم بعدها. وإذا سلّمنا بصحة رواية بليدي، فنحن نُرجّح وقوعها في نهاية سنة 1853 أو في مطلع سنة 1854، وهو ما أشار إليه باقتضاب تقرير كلايكنيشت؛ حين ذكر بأنّ شعابنة متليلي قد تصدّوا ببسالة إلى طابوري نيكو ودوباريل في نوفمبر سنة 1853.<sup>(2)</sup> وهذا ما كان يعزز حالة الخوف والارتباك التي كانت تنتاب الخليفة سي حمزة أثناء وجوده في متليلي، والتي أشار إليها فيرو.

ولهذا، فقد يكون غرض تلك الحملة على متليلي هو تهديد الشعابنة ومنعهم من أي تفكير في التراجع عن نهج حليفهم سي حمزة، وهذا ما صرح به دوباريل في مذكراته حين ذكر بأنّ غرض حاكم الجزائر من تعيين دوريو كقائد عام للحملة على متليلي كان بغرض الانتقام من شعابنة متليلي الذين ساندوا مقاومة الشريف بن عبد الله بقوله: " أنّ دوريو استغل اجتماع الطوابير العسكرية أمام مدينة متليلي ليصقّي الحساب مع الشعابنة".<sup>(3)</sup>

ويبدو أنّ أخبار تجهيز تلك الحملة، قد جعلت الخليفة سي حمزة أكثر اطمئنان. كما كان لتلك الاتصالات السرية التي أجراها في متليلي، عن طريق أخيه سي الزير، مع بعض الشخصيات النافذة في قبائل شعابنة بوروبة، والمخادمة وسعيد عتبة، وكذلك مع الشيخ الطيب بن بايبة شيخ نقوسة دور في تشجيعه إلى الاندفاع نحو نقوسة يوم 5 ديسمبر 1853 في طريقه إلى ورقلة.<sup>(4)</sup>

ورغم موقف شعابنة متليلي الجديد تجاه محمد بن عبد الله، إلا أنّ ذلك لم ينسحب على اخوانهم من فرع ورقلة؛ فبعد قدوم سي حمزة إلى نقوسة تداعى أنصار الشريف من شعابنة بوروبة

---

(1) -Brahim ben Youb: Histoire du M'zab (Beni-Isguen), Imprimerie Schwab-Welling, Constantine 1890, p 5.

(2) -Charles Kleinknecht: Op.cit, f 32.

(3) -François-Charles Du Barail: op.cit, T2, p 120.

(4) -C. Féraud: Op.cit, p 205.

والمخادمة وتجمّع في ورقلة حوالي 4000 مقاتل وتحركوا نحو نقوسة.<sup>(1)</sup> وبعد المواجهة مع قوات سي حمزة أمام أسوار نقوسة تفرق أغلب أنصار محمد بن عبد الله عنه، وتراجعوا نحو قصورهم ودورهم لحمايتها، ولم يبق معه سوى الثائر بن شهرة مع مجموعة من أولاد نايل.

وبوصول العقيد دوريو بالقوات الضخمة التي كانت متجمعة في متليلي، ودخوله رفقة سي حمزة قصبة سلطان ورقلة في الرويسات، ورفع العلم الفرنسيّ عليها في 30 جانفي 1854،<sup>(2)</sup> تكون مقاومة الشريف بن عبد الله قد شارفت على الانتهاء.

وقد بقي الشريف بن عبد الله يقوم ببعض النشاط على الحدود بين تونس والجزائر إلا أنّ ذلك لم يؤثّر على التواجد الاستعماري في المنطقة؛ خاصة بعد تعهد أعيان الشعابنة والمخادمة وبني ثور لسي علي آغا نقوسة في أكتوبر 1857 بالبقاء على الحياد في مناوشاته مع الشريف بن عبد الله.<sup>(3)</sup>

ورغم هاذ الحياد، إلا أنّ شعابنة ورقلة ناصرُوا الشريف بن عبد الله لما ظهر آخر مرة سنة 1861 في الحاضير قرب رويسات مع مجموعة من التوارق، لكنه لما حاول الفرار تأكدوا من عدم جديته فانقلبوا ضده،<sup>(4)</sup> وربما قد يكون هذا هو سبب سقوطه في يد الفرنسيين.

إنّ تمكّن الفرنسيين من هزيمة الشريف بن عبد الله وانسحابه إلى تونس، ودخولهم إلى عاصمة "سلطنته" ورقلة، جعلت كثيراً من الفرنسيين وحتى غير الفرنسيين يعتبرون هذا نصراً ليس على الشريف بن عبد الله فقط وإنما على الشعابنة؛ فهذا الطبيب الألماني بارث (Barth) الذي كان حينئذ في رحلة استكشافية في مدينة تومبكتو يقول: "ما زاد في سوء وضعي في هذه المدينة (تومبكتو) وزاد من تخوفي من عدم اكتمال الرحلة، هو ما بلغني اليوم من أنّ الفرنسيين تمكنوا من دحر الشعابنة في جنوب الجزائر، وتقدموا حتى متليلي وورقلة"<sup>(5)</sup>

(1) -Ibid, p 206.

(2) -Ibid, p 211.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p 406.

(4) -Yves Régnier: Op.cit, p133.

(5) - Heinrich Barth: Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855, Trad: Paul Ithier, 4 Tomes, Firmin Didot Frères Fils et C<sup>ie</sup>, Paris, 1863, t4, p 118.

وفي هذا دلالة واضحة على الدور المحوري والرئيسي الذي كان يقوم به الشعانبة في ثورة الشريف محمد بن عبد الله. وحسب ما بيّنه مسار الأحداث؛ فإنّ انسحاب شعانبة متليلي من صفوف محمد بن عبد الله بسبب ولائهم لأولاد سيدي الشيخ وزعيمهم سي حمزة حليف الفرنسيين، قد أثار على ثورة شريف ورقلة، التي تراجع زعمها، ودخلت مرحلة التراجع والانكسار.

## المبحث الثالث:

### احتلال مدينة متليلي الشعانية.

يعرّف السياسيون الاحتلال بأنه السيطرة على أرض الغير بواسطة القوة العسكرية، بشرط أن تتعارض هذه السيطرة مع رغبة غالبية سكان الأرض الأصليين.<sup>(1)</sup> لكن متى تتحقق هذه السيطرة؟ هل بالاستقرار العسكري للقوات الغازية، وترجمة هذا الاستقرار بالتنظيم الإداري، وتنصيب حاكم أجنبي؟ أم بتنصيب قيادة محلية موالية تخدم مصالح الدولة المحتلة؟ أم بالاكْتفاء بالنفوذ الرمزي من خلال دفع السكان لضريبة الولاء؟

لا ريب أنّ المفهوم الأول هو المعبر عن السيطرة الكاملة للمحتل على الأرض المحتلة، وهذا ما لم يكن واقعا في مدينة متليلي إلا مع بداية خمسينات القرن العشرين، وإذا استأنسنا بالمفهومين التاليين يمكننا أن نقول أنّ المدينة قد عرفت هذا الشكل أو ذاك من أشكال السيطرة الفرنسية، خلال فترات متقطعة طيلة حوالي قرنٍ من الزمن؛ منذ مطلع سنة 1854 حتى سنة 1953.

### أولاً: أسباب الاحتلال

إنّ احتلال مدينة متليلي يدخل ضمن إطار سياسة فرنسا التي انتهجتها منذ اصدار مرسوم 22 جويلية 1834، والذي اعتبر الجزائر أرضاً فرنسية وبالتالي يجب مدُّ النفوذ العسكري والإداري في كل ربوعها.<sup>(2)</sup> وقد كان لوصول القوات الفرنسية لمتليلي الشعانية بغرض إخضاعها عدّة أسبابٍ منها:

- سياسة حكومة الامبراطورية الفرنسية الثانية؛ والتي تقضي بأنّ احتلال الجزائر لا يُستكمل إلا باكتساح جبال القبائل والصحراء.

(1) - عبد الوهاب الكيلاني وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص82.

(2) - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص8.

- كان لقدم الوالي العام للجزائر، الجنرال راندون، دورٌ في توجيه نظر قوات الاحتلال نحو المناطق الجنوبية؛ حيث جعل من أولوياته القضاء على مقاومة جرجرة والصحراء.<sup>(1)</sup>
- كانت متليلي في تلك الفترة تمثل بؤرةً ثائرةً ضد فرنسا، وذلك حين تحولت إلى قبلة للمقاومين والثائرين؛ فقد احتسى بها الثائر سي موسى بوحمار الذرقاوي في مطلع سنة 1848.<sup>(2)</sup> كما أنّ سلطان ورقلة الشريف محمد بن عبد الله عسكر فيها في ديسمبر سنة 1851، واتخذها قاعدةً لإمداد المقاومة في الأغواط في المرة الأولى، ولتنظيم حملات لاسترجاعها بعد سقوطها في ديسمبر 1852 في المرة الثانية.<sup>(3)</sup>
- كانت متليلي تمثل عاصمةً الشعابنة؛ تلك القبيلة القوية التي كان نفوذها العسكري والتجاري يمتد على كامل الصحراء الشمالية من غدامس وغات شرقاً إلى الساورة وتوات غرباً.<sup>(4)</sup> لذلك فإنّ احتلال متليلي سيمكن السلطات الاستعمارية؛ حسب ظنّها، من ترويض الشعابنة والاستفادة من خبرتهم في الصحراء.

## ثانياً: وقائع الاحتلال

### 1- الحملة الفرنسية الأولى:

لكل تلك الأسباب رأى الوالي العام راندون بضرورة الإسراع بتوجيه حملة عسكرية لتأديب سكان متليلي الشعابنة المساندين للثوار؛ فأمر بتجهيز طابورين عسكريين؛ الأول هو طابور معسكر (تيارت سابقاً) المتكون أساساً من الليف الأجنبي، وقناصة إفريقيا تحت قيادة الرائد نيكو (Niqueux)، وقد انطلق من سعيدة، والثاني هو الطابور المشكّل من الزوافا والصبايحية والقومية تحت قيادة الرائد دوباريل (De Barail) وقد انطلق من الأغواط.<sup>(5)</sup> كما أصدر أوامره

---

(1) - استمر راندون في منصبه حاكماً عسكرياً عاماً للجزائر من 1851 إلى 1858. أنظر:

أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص23.

(2) -Louis Rinn: Marabouts et Khouans, p241.

(3) -E. Mangin: Op.cit, p 278.

(4) -A. Coÿne : Une Ghazzia dans le Grand Sahara, p 10.

(5) -François-Charles Du Barail: Op.cit, T2, p 118.

بأن تكون القيادة العامة لهذين الطابورين للنقيب دوريو (Durrieu) القائد العسكري لدائرة معسكر الذي خرج هو الآخر بطابوره.<sup>(1)</sup>

وقد وصلت هذه الحملة إلى متليلي يوم 20 جانفي 1854،<sup>(2)</sup> فدخل العقيد دوريو إلى المدينة مرفوقا بقائدي الطابورين وبعض الحرس وطلب من الأعيان مقابلة الناس فلما تجمع الناس خطب فيهم محذرا ومنذرا من إعادة التواصل مع الشريف محمد بن عبدالله أو غيره من المقاومين والثوار؛ كما قال تريملي.<sup>(3)</sup>

والجدير بالذكر أن وصول هذه الحملة، ودخولها إلى متليلي كان بسبب سي حمزة بن بوبكر؛ الذي أضحى حليفا للفرنسيين، وطلب من الشعانبة أن يتبعوه، وأدى إلى دخول متليلي تحت النفوذ الفرنسي لأول مرة. وبذلك انسحبت الحملة من متليلي بدون قتال يوم 22 جانفي 1854،<sup>(4)</sup> في حين صالح دوريو أهلها على دفع لزمة رمزية كما عبر عنها تريملي.<sup>(5)</sup>

وقد أشرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل إلى تلك الروايات التي تحدثت عن مقاومة شعانبة متليلي للحملة الفرنسية، إلا أننا رجحنا الروايات الأخرى التي تحدثت عن عدم حدوث مقاومة بسبب ولاء شعانبة متليلي لسي حمزة بن بوبكر، وذلك لعدة اعتبارات منها: أن تقرير كلايكنيشت الذي يعتبر وثيقة أرشيفية رسمية غير منشورة، والذي يتحدث عن مقاومة شعانبة متليلي لقوات دوباريل ونيكو في شهر نوفمبر 1853، فقد جاء مقتضبا وهو يتناول عموميات عن تاريخ متليلي ولم يفصل في عرضه للأحداث السابقة، إلا أنه اهتم بتفاصيل الأحداث المعاصرة لهذا التقرير الذي كتب سنة 1956، وبما أنه يتتعد عن الأحداث بأكثر من قرن من الزمان، فقد آثرنا الاعتماد على الروايات التي جاءت في المصادر القريبة والمعاصرة لاحتلال متليلي، خاصة

---

(1) - يبدو أن تعيين دوريو كان بغرض الانتقام من شعانبة متليلي الذين ساندوا مقاومة الأغواط؛ يقول دوباريل Du Barail: " أن دوريو استغل اجتماع الطابورين العسكريين أمام مدينة متليلي ليصفي الحساب مع الشعانبة ". أنظر: François-Charles Du Barail: Op.cit, p 120.

(2) -C. Trumelet: Op.cit, p 359.

(3) -Ibid, p 374.

(4) - المبشر، ع155، 15 فيفري 1854، ص1.

(5) -C. Trumelet: Op.cit, p 375.

تربلي الذي كان ضابطا في الحملة التي دخلت متليلي سنة 1854، وكان قد أورد الكثير من الأحداث بشيء من التفاصيل.

ورغم دخول الحملة الفرنسية الأولى إلى متليلي سنة 1854، إلا أنّ المدينة انتفضت ضد المستعمر الفرنسي في كل الثورات والانتفاضات التي شهدتها المناطق الجنوبية، مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864، بوشوشة 1870 والشيخ بوعمامة سنة 1881، وكانت في كل مرة عرضة لحملة عسكرية تأديبية لمعاينة أهالي متليلي على دعمهم ومشاركتهم في تلك الثورات. إلا أن ذلك لم يثن شعابة متليلي عن تأييد زعماء الثورات في كل مرة، لذلك فقد أوصى القادة العسكريون بضرورة بناء برج عسكري في متليلي لمراقبة المدينة ومنع دخول الثوار إليها، إلا أنّ المشروع لم يتابع كما يقول باساجي Passager.<sup>(1)</sup>

## 2- وضع المدينة بعد ضم ميزاب:

بعد ضم ميزاب سنة 1882، ومع تشكيل الفرق العسكرية بكل من غارداية وورقلة، فقد أُلحقت متليلي بالقيادة العسكرية العامة لغارداية؛ والتي تم انشاؤها بالقرار المؤرخ في 1 نوفمبر 1882.<sup>(2)</sup> إضافة إلى تراجع حدة ثورة بوعمامة بعد سنة 1883، وبذلك عاد الهدوء النسبي إلى المنطقة. ورغم ذلك فإنّ شعابة متليلي؛ كما يقول شاتالييه Chatalier، واصلوا الثورة خارج المدينة؛ وذلك من خلال القيام بأعمال هجومية على القوافل والأهداف الفرنسية لصالح رؤسائهم السابقين سي الدين وابن أخيه سي حمزة.<sup>(3)</sup>

## 3- الوجود العسكري والاداري الفرنسي بالمدينة:

رغم كل ما شهدته المدينة من مقاومات وثورات مسلحة إلا أنّ السلطات الفرنسية لم تؤسس أو تبقّ فيها فرقا عسكرية، اللهم إلا فرق المخازنية التي كانت تابعة للقياد، والتي كانت

(1) -P. Passager: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale, p512.

(2) -M. Hugobt: Les conditions générales de la vie au Mzab/In/B.M.S.A.P, V° Série, t 4, 1903, p 219.

(3) -M. Chatalier: Question Saharienne, Mission dans le sud Algérien, Juin- Aout 1890, Alger, p63.

تتشكل من العناصر المحلية. وكانت أول ثكنة للدرك قد بنيت في المدينة في أوت سنة 1957، بعد أن تم تأسيس مركز للشعبة الإدارية الخاصة SAS منذ جوان 1957 يشرف عليها ضابط.<sup>(1)</sup>

من جهة التنظيم الإداري فقد أخرجت متليلي من آغوية ورقلة ووضعت تحت الإشراف المباشر للخليفة سي حمزة، سنة 1854.<sup>(2)</sup> وبعد سنة 1866 أسندت إدارة المدينة لقائد القياد والذي كانت تعيينه سلطات الاحتلال من بين أحد القياد الثلاثة لمتليلي،<sup>(3)</sup> وارتبطت متليلي ببلدية غارداية في الفترة من 1884 - 1897،<sup>(4)</sup> لترتبط ببلدية المنيعه بتاريخ 28 سبتمبر 1897، بعد تأسيس المركز العسكري بالمنيعه منذ سنة 1891، لتشكل مع فدرالية ميزاب البلدية الأهلية لغارداية من 1905-1953، لترتقي بعد ذلك إلى مركز إداري متميز منذ 20 ماي 1953، يرأسه ضابط متخصص في الشؤون الصحراوية، ليتحول هذا المركز إلى بلدية من بلديات عمالة الواحات بالقرار المؤرخ في 20 مارس 1958.<sup>(5)</sup>

**وخلاصة القول** فإن شعابنة متليلي قد قاوموا المستعمر الفرنسي حتى قبل ان تصل قواته إلى منطقتهم، وذلك من خلال المشاركة في مقاومة الأمير عبد القادر ونصرة سي موسى بوحمار والانخراط بقوة في جيش الشريف محمد بن عبد الله.

كما أنّ منطقة متليلي قد دخلت تحت النفوذ الظاهري للفرنسيين لأول مرة سنة 1854، بسبب ولاء أهلها لأولاد سيدي الشيخ وزعيمهم سي حمزة. ولم يستقر فيها الاحتلال إلا في سنة 1953 بتشكيل البلدية الأهلية لمتليلي.

---

(1) -P. Passager: Op.cit, p 528.

(2) -C. Trumelet: Les français dans le désert, p 497.

(3) - Paul Solleillet: Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, p 45.

(4) -P. Passager: Op.cit, p 512.

(5) -Ibidem.

# الفصل الثالث

دور منطقة متليلي الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ  
(1864-1880)

– المبحث الأول: متليلي منطلق لثورة أولاد سيدي الشيخ.

– المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة شعانية متليلي  
في الثورة.

– المبحث الثالث: مصير ثورة أولاد سيدي الشيخ بعد حملة دوسونيس.

## الفصل الثالث:

### دور منطقة متليلي الشعانبة في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1880)

بعد الوفاة الغامضة لخليفة الصحراء سي حمزة بن بوبكر عينت السلطة الاستعمارية ابنه الأكبر بوبكر ولكن برتبة باشاغا وليس خليفة، وتفانى هو الآخر في خدمة السلطة الاستعمارية؛ فكان من أهم إنجازاته هو القبض على الشريف بن عبد الله، وبعد وفاته استلم أخوه سي سليمان بن حمزة منصب الباشاغا.

لكن هذا الأخير لم يكن مخلصا كسلفه للفرنسيين، خاصة أنه كان تحت تأثير عمه سي لعلا؛ الذي لم يعد يثق في الفرنسيين بعد توجّسه من وفاة أخيه سي حمزة وابنه سي بوبكر، واللذين كانت تشير أصابع الاتهام إلى ضلوع السلطة الاستعمارية في أسباب وفاتهما. ويبدو أنّ كليهما كانا ينتظران الفرصة المناسبة لإعلان تمردهما عن السلطة الاستعمارية.

فكيف اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ؟ وما علاقة شعانبة متليلي بها؟

## المبحث الأول:

### متليلي منطلق لثورة أولاد سيدي الشيخ.

#### أولاً: الطريقة الشيخية بمتليلي

قبل الحديث عن ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وموقف شعابنة متليلي منها، ينبغي التطرق إلى الطريقة الشيخية، وتوضيح مدى انتشارها في منطقة متليلي الشعابنة. وذلك لفهم سبب اختيار أولاد سيدي الشيخ لمنطقة متليلي كنقطة اندلاع لثورتهم التي استمرت حوالي ستة عشر سنة، والتي لقيت من شعابنة متليلي السند والدعم طيلة مراحل عمرها.

#### 1- الطريقة الشيخية:

تُنسب الطريقة الشيخية إلى سيدي الشيخ؛ وهو عبدالقادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، دفينُ البيض، وكانت وفاته سنة 1615م. وترجع أصولها الصوفية إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية، وكان مؤسسها قادري الطريقة إلا أنه أصبح مقدماً للشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمن السهيلي<sup>(1)</sup>.

ويظهر أنّ عائلة سيدي الشيخ كانت وارثة لمجد ديني ومجد نَسبي، وقد جلب إليها ذلك مكانة مرموقة بين الناس، وزادها وضعها الجغرافي المفتوح على الطرق الصحراوية جنوبا والتلية شمالا أهمية خاصة، فاستغنت بالدين والتصوف، وتحكمت بالسياسة والجاه، ولذلك اختلط أمرها على كثير من الدارسين؛ فمنهم من يدرس الشيخية على أنها طريقة دينية فإذا به يكتشف أنها إقطاعية اقتصادية سياسية، واتحادية كبرى من الأعراش والقبائل والنفوذ السياسي؛ خاصة لويس رين الذي يدّعي بأنّ الطريقة الشيخية ليست جماعة دينية، ولا طريقة صوفية، ولا جمعية خيرية بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنّما هي خليط من تأثيرات مرابطية في أيدي أناس كثيرا ما يكونون منقسمين،

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص103.

لكن لهم أصل واحد، ويضعون سلطتهم الدينية في شكل مزدوج، ولا شك أنّ ذلك كان عندما سلك الفرنسيون معهم سياسة "فرق تسد".<sup>(1)</sup>

ومنهم من يدرسها على أنها إمارة وسلطة حاكمة، فإذا به يجد نفسه أمام قوة روحية وشخصياتٍ من طراز المرابطين الأولين، ولذلك اختلط تاريخ أولاد سيدي الشيخ الديني بالسياسي، سيما وأنهم من أوائل الطرق الصوفية التي تولت السلطة للفرنسيين، لأنّ الطرق الأخرى لم تقبل بالوظائف الإدارية إلا بعد تدجينها بالانقسام، أو بالتزويج بالفرنسيات، أو بالتجنس عليها ونحو ذلك. وفي هذا النطاق نجد أنّ أولاد سيدي الشيخ قد لعبوا أدواراً مزدوجة أيضاً، تارة يكونون في مقدمة الثائرين ضد الاحتلال والنظام الفرنسي، وتارة يكونون خدماً له وولاءه يطبقون الأوامر الإدارية والتعليمات على أفضل ما يكون.<sup>(2)</sup>

إنّ انقسام أولاد سيدي الشيخ إلى فرعين شرقي وغربي، كما أشارنا إلى ذلك في الفصل الأول، قد انعكس على الطريقة الشيخية؛ التي أضحت هي الأخرى مقسمةً، ويذكر لويس رين أنه كان لأولاد سيدي الشيخ ثلاثُ زوايا رئيسية، اثنتان في الناحية الشرقية؛ تابعتان لأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وتسمى الأولى الزاوية الأم أو زاوية سيدي الشيخ بالبيض، والثانية زاوية الحاج بوحفص. وواحدة غربية؛ يشرف عليها أولاد سيدي الشيخ الغرابية، وتسمى زاوية الحاج عبد الحاكم، وكان لكل زاوية مديرون أو مسيرون، وهم الذين يجمعون حقوقَ الزيارات.<sup>(3)</sup>

أما عدد الأتباع فهو كثير مقارنة بالطرق الأخرى التي كانت منتشرةً بالجزائر خلال الفترة موضوعِ الدرس؛ لأنّ أتباع الشيخية ليسوا دينيين فحسب، ولكن رعايا سياسيين أيضاً، وقد كانت سلطة أولاد سيدي الشيخ في أربعينات وخمسينات القرن التاسع عشر تمتد من حدود المغرب إلى المنيعه وورقلة. وحسب الإحصاء الرسمي لسنة 1882 فقد بلغ عدد المريدين 2819 اخوانياً، و39 مقداً و خمسة زوايا.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Louis Rinn: Marabouts et Khouans, p368.

(2) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص105.

(3) -Louis Rinn: Op.cit, p357.

(4) -Ibid, p368.

## 2- نفوذ الطريقة الشيخية بمتليلي الشعابنة:

وتذكر التقارير الفرنسية أنّ الزاوية الشيخية للأبيض سيدي الشيخ هي التي تمتلك النفوذ الأكبر في متليلي، وأنّ سيدي الشيخ وعائلته مبحّلون بطريقة جدّ خاصّة من شعابنة برزقة، وأنّ الزاوية تمتلك نخيلا وأوقافا كثيرةً في واحة متليلي.<sup>(1)</sup>

ويثبت الاحصاء الرسمي لسنة 1882 أنّ أعداد المريدين للطريقة الشيخية قد بلغ في دائرة غارداية وحدها 1171 من أصل 2780 هو تعداد المريدين في كافة أنحاء الجزائر، وأنّ أغلب مريدي الدائرة هم شعابنة، كما أنّ عددَ مقامي الزاوية في الدائرة هم ثلاثة؛ اثنين منهم في متليلي.<sup>(2)</sup> أما عدد المريدين في منطقة متليلي الشعابنة فقد بلغ نسبة 11% من مجموع عدد السكان أي بحوالي 440 مريداً، دائماً حسب الاحصاء الرسمي لسنة 1882.<sup>(3)</sup>

لقد تمظهر حضور الطريقة الشيخية في متليلي من خلال الأعداد الكبيرة من القباب والأضرحة التي بناها الشعابنة لشيخ زاوية أولاد سيدي الشيخ؛ منهم:

- سيدي الشيخ: قبة واحدة، وقد بُنيت إبان ثورة بوعمامة.
- سيدي الحاج بوحفص: أربع قباب، ثلاثة في مدينة متليلي، الأولى بنيت في شعبة سيدي الشيخ، ثم الأخرى في مدخل المدينة في طريق الغابة، والثالثة في الجهة الغربية " حي دحاحو حالياً" ... أما الرابعة فهي موجودة في صحراء متليلي.
- سيدي بولنوار: ثلاث قباب؛ وهو مدفون بمتليلي تحت إحدى القباب الثلاثة المتجاورة.
- سي الحاج الدين: قبة واحدة، هو أحد أبناء سيدي الشيخ.
- سي سليمان بن بوسماحة: قبة واحدة، وهو جدّ سيدي الشيخ.
- سي بحوص بوغفالة: قبة واحدة، وهو من ذرية أولاد سيدي الشيخ.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Charles Kleinknecht: Op.cit, f 32.

(2) -Louis Rinn: Op.cit, p357.

(3) -Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, 26/12/1882, ANOM GGA 50 II/261, f115.

(4) -Charles Kleinknecht: Op.cit, f 32.

وتقام مناسبات سنوية حول أولياء أولاد سيدي الشيخ يدعى إليها عامة الناس تعرف محليا بـ "المعروف"، وقد ذكرنا أمثلةً على ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن علاقة شعانة متليلي بأولاد سيدي الشيخ. كما ذكرنا الصدقات والهبات التي كان شعانة برزقة يقدمونها لزواية أولاد سيدي الشيخ فأغنى ذلك عن الإعادة هنا.

وهكذا نرى بأنّ زواية أولاد سيدي الشيخ كان لها نفوذ واسع في متليلي، وهذا ما سهل انقياد شعانة متليلي لأولاد سيدي الشيخ في السلم وفي الحرب.

### ثانياً: أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ:

إذا تكلمنا عن أسباب انقلاب أولاد سيدي الشيخ الشراقة على السلطة الاستعمارية يمكن حصرها في عدة أسباب منها:

- هناك من يرجع سبب هذه الثورة إلى سياسة حكومة الجزائر وسياسة المكاتب العربية في المناطق الصحراوية.<sup>(1)</sup>

- أما التقارير العسكرية الفرنسية فقد أرجعت أسباب انتفاضة أولاد سيدي الشيخ إلى عدة عوامل؛ فبينما يشير راندون في تقريره حول هذه الثورة إلى أنّ التعصب الديني وسيطرة الطرق الصوفية قد ساهم في إذكاء عداة القبائل الجزائرية ضد الفرنسيين.<sup>(2)</sup> نجد أنّ مكماهون أضاف أسباباً أخرى منها؛ عدم كفاية أعداد المكاتب العربية، تخفيض أعداد الجنود الفرنسيين العاملين في الجزائر، إضافة إلى عدم خبرة الجنود الذين بقوا في الجزائر بسبب الاطمئنان إلى حالة الهدوء والأمن السائدة منذ القضاء على ثورة الشريف محمد بن عبد الله.<sup>(3)</sup>

- كما أنّ سياسة السلطات الاستعمارية تجاه العائلة قد ساهمت في تمرد سي سليمان؛ فرغم إظهار الخليفة سي حمزة الولاء لفرنسا ووضع نفوذه في خدمتها، إلا أنّها لم تطمئن إليه لما له من

(1) -Charles-André Julien: Histoire de l'Algérie Contemporaine, Casbah Editions, Alger, 2005, p 429.

(2) -Le Maréchal Randon: Rapport sur L'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80 1679. f5.

(3) -Le maréchal de Mac-Mahon: Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 20/02/1865,ANOM F80/1679, f3.

مكانة بين القبائل الصحراوية، فاستدعته إلى الجزائر العاصمة، للتحقيق معه متذرعة بشكاوى بعض سكان المنطقة، غير أنه لقي حتفه يوم 15 أوت 1861م. وادعى الفرنسيون أنّ زوجته دست له السمّ، وولت مكانه ابنه الأكبر بوبكر، برتبة "باش آغا" وهي أقل من رتبة خليفة، لكنه سرعان ما قُتل هو الآخر مسموماً من قبل أتباعه في 22 جويلية 1862م. بعد ذلك نصبت فرنسا سي سليمان بن حمزة مكان شقيقه سي بوبكر، وعزلت القائد سي الزبير من آغاوية ورقلة، بذريعة مرضه المزمن، وقامت بتعيين شقيقه سي لعلا بن بوبكر مكانه، وكان هذا الأخير متأكداً من أن وفاة سي حمزة وابنه بوبكر إنما هو عمل دبرته السلطات الفرنسية فأخذ يمرض ابن أخيه سي سليمان.<sup>(1)</sup>

- أحداثٌ واحة القرارة وتبعاتها على المنطقة، خاصة بعد مطالبة سلطات الاحتلال من سي سليمان بالقبض على أحمد بن أحمد الشلطي من شعانبة متليلي، لتنفيذ أمر حاكم الجزائر بمعاقبته بالسجن لمدة سنة بسبب تورطه في هذه الأحداث، وهذا ما أكده كوناى بقوله: أنّ سي سليمان بدأ يحضر للثورة بعد حادثة القرارة سنة 1863.<sup>(2)</sup>

### لكن ما هو السبب المباشر الذي أشعل فتيل هذه الثورة؟

إنّ بعضَ الذين كتبوا عن هذه الثورة يرجعون سببها المباشر إلى تلك الإهانة التي تعرض لها الخوجة سي الفضيل والمقرّب من سي سليمان يوم 29 جانفي 1864م على يد ضباط المكتب العربي بالبيض، وأنّ سي سليمان قد ذهب بنفسه إلى المكتب العربي ليطلق سراح سي الفضيل.<sup>(3)</sup> وبعد البحث عن هذه الحادثة تبين لنا، من خلال ما توفر لدينا من الوثائق، أنّ حادثة ضرب سي الفضيل من قبل الضباط الفرنسيين قد حدثت في ورقلة بأمر من القائد الأعلى للبيض النقيب بيران (Burin) الذي كان في زيارة لها آنذاك.<sup>(4)</sup>

(1) -Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 3.

(2) -A. Cauneille: les chaanba leur Nomadisme, p27.

(3) -ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 221.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, t2, p826 .

ومما يُرجح صحة هذه الرواية هو أنّ النقيب بيران الذي رجع إلى البيض يوم 29 جانفي 1864 من جولاته التفقدية لآغوية ورقلة،<sup>(1)</sup> كان قد ترك خَلْفَه سي سليمان في متليلي ليقوم بالقبض على أحمد بن أحمد قايدِ أولاد علوش لتنفيذ قرار الحاكم العام للجزائر بسجنه في البيض بسبب تورطه في أحداث القرارة.<sup>(2)</sup> لكن ما هي هذه الأحداث، وما علاقة شعانة متليلي بها؟

### – أحداث القرارة سنة 1863:

القرارة هي إحدى القرى الميزابية، أسست سنة 1631م من طرف أولاد باحة،<sup>(3)</sup> تقع شمال شرق مدينة متليلي الشعانة وتبعد عنها بحوالي 150 كلم. أغلب سكانها من بني ميزاب؛ الذين يقتسمون الواحة مع مجموعات سكانية أخرى؛ مثل أولاد نايل، العطاطشة، السوايح، الحرازية وغيرهم. دخلت القرارة تحت الاحتلال الفرنسي منذ حملة الرائد دوباريل سنة 1853؛ الذي عين لأدارتها يحي بن كرواية قايداً للصف الشرقي<sup>(4)</sup> وبوبكر بن قاسي قايداً للصف الغربي، ورغم ذلك فقد احتدم الصراع بين الصفيين، وأدى في الأخير إلى تغلب الصف الشرقي وتحالفه مع الفرنسيين. فقام أصحاب الصف الشرقي، في ليلة 9 و10 سبتمبر 1861، بطرد ابراهيم بن بوهون قايد الصف الغربي وجماعته من القرارة بعد قتل خمسة منهم.<sup>(5)</sup>

وفي ليلة 21 و22 أبريل 1863 قام ابراهيم بن بوهون، مستعينا بأحمد بن أحمد الشلقي مع شعانة متليلي، باقتحام القرارة والسيطرة على نصف المدينة، وحصار النصف الآخر، وقطع الماء عنها، مما اضطر الكثير من المحاصرين إلى الهروب نحو بريان. وقد لحق بهم أنصار بن بوهون وقتلوا

(1) -Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 1.

(2) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p842 .

(3) – بكير بن سعيد أعوش: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص 69.

(4) – يذكر الحاج سعيد أن القصور الميزابية كانت تشهد بعض الفتن الداخلية بسبب ازدواجية الصف لدى العشائر الميزابية؛ فكان الصف الغربي يضم أولاد عمي عيسى والعفافة والمذايح من سكان غرداية، وأولاد موسى وأولاد يدر من بني يزقن، وأولاد عبد الله من العطف وبونورة، وكافة سكان مليكة بما فيهم الشعانة الذين أصلهم من متليلي، وأولاد علاهم وآل بالة والعطاطشة من القرارة. بينما يشمل الصف الشرقي أولاد باسليمان والنشاشبة وأولاد يونس من غرداية، وأولاد علان من بني يزقن، وأولاد جلمام من العطف، وأولاد نوح وأولاد اسماعيل من بونورة، وكافة سكان بريان، وأولاد الزيت من القرارة. أنظر:

يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص 71.

(5) -Charles Amat: Le M'zab et les M'zabites, pp 21-23.

منهم ثلاثة وسبعين شخصا، كان من بينهم يحيى بن كرواية زعيم الصف الشرقي؛ الذي كان حاكما للقرارة منذ 1861. وهذا ما أدى إلى غضب السلطات الاستعمارية، وقيامها بالانتصار للصف الشرقي، وملاحقة إبراهيم بن بوهون وحليفه أحمد بن أحمد.<sup>(1)</sup>

ولأجل ضبط الأمور في القرارة، فقد قامت سلطات الاحتلال بتعيين بوبكر بن قاسي قائدا على القرارة، واعتقلت إبراهيم بن بوهون الذي نفته إلى جزيرة كورسيكا؛ حيث ظل معتقلاً لمدة سنتين بعد ذلك أخلي سبيله. إلا أنها لم تتمكن من القبض على قائد أولاد علوش؛ بسبب قيام شعانة متليلي بالالتفاف حول زعيمهم ومنع أي أحد يريد أن يقترب منه كما نشرت جريدة المبشر.<sup>(2)</sup>

وفي نهاية سنة 1863، أصدر الحاكم العام للجزائر أوامره لمعالجة المشاكل التي أحدثتها الشعانة في القرارة؛ منها إلقاء القبض على قائد أولاد علوش أحمد بن أحمد، وحبسه في البيض لمدة سنة كاملة.<sup>(3)</sup> وتذكر التقارير العسكرية الفرنسية أنّ آغا ورقلة سي لعلا لم ينفذ هذا الأمر سواء لعدم قدرته، أو بسبب خوفه من تعقيد الوضع، أو لتعاطفه مع قائد أولاد علوش.<sup>(4)</sup>

كما استدعي الباشاغا سي سليمان إلى مقر قيادة عمالة وهران لمساءته عن أحداث متليلي، فتذرع بأنه لا يمكنه التدخل في شؤون الأهالي الخاضعين مباشرة إلى عمه سي لعلا آغا

---

(1) -Calassanti-Motyliniski: Guerara depuis sa fondation, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur Alger 1885, p 63.

(2) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p839 .

(3) - أورد بليدي مراسلة من ضابط المكتب العربي بالأغواط النقيب ديران Durand إلى عدون بن باسعيد مؤرخة ب25 جوان 1865، يعلمه فيها بأن أهالي القرارة المتضررين من الأحداث قد قدموا شكوى ضد شعانة متليلي لتعويضهم عن الاضرار التي ألحقوها بهم واسترجاع ما نهبوه منهم، وأنه قد طلب منه التوسط لدى شعانة متليلي. أنظر:

Blidi Brahim Ben Youb: De l'Indigénat son application aux Mozabites, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Philippeville 1903, p 16.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p838 .

ورقلة، إلا برفقة القائد العام لدائرة البيض.<sup>(1)</sup> فأصدرت القيادة العسكرية أمراً للنقيب بيران بمرافقة سي سليمان إلى متليلي.<sup>(2)</sup>

وفي يوم 25 ديسمبر 1863 دخل القائد الأعلى للبيض بيران محاطاً بمفرزة من 25 صبايخا إضافة إلى 120 من الفرسان القوم<sup>(3)</sup>، إلى متليلي مرفوقاً بالباشاغا سي سليمان بن حمزة والآغا سي لعلا، وذلك بغرض تنفيذ أمر السلطات بالقبض على أحمد بن أحمد.<sup>(4)</sup>

مكث القائد الأعلى للبيض في متليلي أيام 26، 27، و28 من شهر ديسمبر يجمع الضرائب ويتحدث مع الأعيان والوجهاء في متليلي لحل قضية أحمد بن أحمد؛ الذي لم يسلم نفسه رغم أنه كان في الواحة.<sup>(5)</sup>

وفي يوم 29 ديسمبر أمر النقيب بيران سي سليمان وسي لعلا بتحمل مسؤوليتها بالقبض على أحمد بن أحمد، وبعد ساعات من هذه الأوامر المشددة قَدِمَ سي سليمان أمام النقيب بيران ومعه أحمد بن أحمد.<sup>(6)</sup> وبعد مساءة أحمد بن أحمد عن رفضه القدوم إلى البيض لتنفيذ قرار الحاكم العام للجزائر بحبسه هناك، أكَّدَ للنقيب بيران أنه كان متخوفاً من السلطات الفرنسية، وأنه الآن على استعداد لمرافقته إلى البيض.<sup>(7)</sup>

---

(1) -Ibid, t2, p839 .

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, p408.

(3) - القومية أو القوم: فرقة عسكرية في الجيش الفرنسي. يراد بها في العامية الجزائرية من يحملون السلاح ويكبون الخيل. أنظر: عبد المالك مرتاض: المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 91-92.

(4) -Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 1.

(5) - Le maréchal Rondon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 18/03/1864, ANOM F80/1695, f 6.

(6) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p840 .

(7) -Ibid, t2, p841 .

ويذكر النقيب بيران في تقريره أنّ: "الباشاغا سي سليمان كان هو المتسبب في خضوع أحمد بن أحمد، وقد طلب مني أن أتركه حرا ريثما أعود من ورقلة، وأن تكون مدّة سجنه في البيض ستة أشهر فقط". وبعد هذا الاتفاق غادر النقيب بيران متليلي يوم 2 جانفي 1864 نحو ورقلة.<sup>(1)</sup>

بعد عودته إلى متليلي يوم 8 جانفي 1864 سأل النقيب بيران سي سليمان عن أحمد بن أحمد ليرافقه معه في طريق عودته إلى البيض تنفيذا لأمر الحاكم العام للجزائر. وبعد يومين من التردد في البحث عنه، غاب سي سليمان أربعاً وعشرين ساعة ثم عاد بحيمته وادعى أنه قد هرب.<sup>(2)</sup>

ويذكر القائد الأعلى للبيض أنه لم يشك لحظة في أن أحمد بن أحمد سيعود لحيمته، لأنه ترك نساءه وأبناءه؛ لذلك، فقبل عودته للبيض أوصى الباشاغا سي سليمان بالقبض عليه عندما يعود.<sup>(3)</sup>

لكن سي سليمان لم يقبض عليه، لأنه كان يحضر للثورة بالتنسيق مع شعانة متليلي، وهذا ما صرح به النقيب بيران بقوله: "بعد تمرد سي سليمان أدركت أنني كنت عرضة لمخادعة من قبله في متليلي، لأنه أثناء غيابه أربعاً وعشرين ساعة كان يتفق مع شعانة برزقة وأعيانهم لطمأنتي مؤقتا بغرض تنفيذ مخططاتهم التي كانوا يضمرونها."<sup>(4)</sup>

**وانطلاقا مما سبق نخلص إلى القول بأنّ قضية اعتقال أحمد بن أحمد الشعاني كانت السبب المباشر الذي جعل سي سليمان يبادر إلى إعلان الثورة، من جهة بسبب الأوامر المذلة التي كان يتلقاها من قبل مختلف رتب القيادات؛ من الحاكم العام إلى قائد عمالة وهران إلى قائد دائرة البيض؛ والتي كان يرى فيها استفزازا وانقاصا من مكانته. إضافة إلى أنّ الشجاعة التي تحلى بها شعانة متليلي في الدفاع عن قايد أولاد علوش، وتحديدهم للسلطات الاستعمارية قد شجعت على**

---

(1) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p408.

(2) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p842 .

(3) -Ibid, t2, p842 .

(4) -Ibidem.

الانقلاب ضد هذه السلطات؛ التي كان يضر لها كرها ولا يثق فيها، لأنه كان يتوقع نفس المصير الذي آل إليه، من قبل، أبوه سي حمزة وأخوه بوبكر واللذين خدما فرنسا بكل تفانٍ.

### ثالثاً: اندلاع الثورة وعلاقتها بشعانة متليلي

تكلّمنا في الفصل الأول عن علاقة شعانة متليلي بأولاد سيدي الشيخ، وقلنا أنّهم كانوا يُجلّونهم ويُجلّونهم، نظراً لمكانة آبائهم سيدي الشيخ وسيدي الحاج بحوص، وكما رأينا سابقاً فإنّ السبب المباشر في اندلاع الثورة هو قضية أحمد بن أحمد قايد أولاد علوش؛ هذه القضية التي شجّعت سي سليمان على أن يقطع صلته بالمحتل الفرنسي، ويولي وجهه شطر الجهاد والمقاومة.

فبعد رجوع النقيب بيران إلى البيض كان ينتظر التحاق سي سليمان مرفوقاً بالمتهم أحمد بن أحمد لحبسه هناك، إلا أنّ انتظاره قد طال؛ ذلك أنّ سي سليمان قرر الثورة وبدأ بالاتصال سرياً بمختلف القبائل عن طريق الخوجة سي الفضيل، بعد أن زوّده برسالة أعلن فيها النفي العام والدعوة إلى الجهاد.<sup>(1)</sup>

وقبل أن يعلن الثورة، ذهب سي سليمان إلى مقر زاويته بسيدي الحاج الدين، أين أعطى أوامره إلى أفراد عائلته، وكلّ أولاد سيدي الشيخ بالتحرك بدايةً من يوم الثلاثاء 16 فيفري 1864 جنوباً نحو متليلي والمنيعة، ولتضليل الفرنسيين وإبعاد شكوكهم، فقد أوهمهم بأنّ هذه الحركة إنّما تدخل في إطار ما اعتاد عليه أولاد سيدي الشيخ من قبل، برعي قطعانهم في هذه المناطق. وفي فجر يوم الخميس 18 فيفري 1864 غادر سي سليمان زاويته بسيدي الحاج الدين، بعد أن أخذ معه أخاه سي محمد بن حمزة وعمّه سي الزبير، وبضعة مئات من خيام أولاد سيدي الشيخ ودخل متليلي.<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ اختيار أولاد سيدي الشيخ متليلي لتكون منطلقاً لثورتهم ضد الفرنسيين يرجع إلى الرباط الروحي الذي كان بينهم وبين الشعانة من جهة، وإلى أنّ النفوذ الفرنسي على متليلي لم يكن قويا بل كان رمزياً فقط من جهة أخرى؛ كما أنّ مجموع الشعانة لم يكونوا راضين بهذا

(1) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 222.

(2) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p826 .

النفوذ، وإنما كانوا يتطلعون إلى المقاومة لولا تبعية موقفهم لموقف أولاد سيدي الشيخ كما ذكرنا آنفا.

لقد سمع نداء سي سليمان للثورة العديداً من القبائل؛ فقد قدمت وحدات من الزوى ومن الأغواط الإكسل<sup>(1)</sup> من الحرار وتجمعوا تحت راية سي سليمان في الحسني<sup>(2)</sup> قرب متليلي؛ أين احتشد شعابنة برزقة وراسلوا آغا ورقلة ليقدّم إليهم.<sup>(3)</sup>

أما سي لعلا فقد خيم يومي 17-18 فيفري 1864 بواد النومرات، شمال متليلي، وشرع في جمع المقاتلين والمجاهدين من القبائل والأعراش المتحالفة مع أولاد سيدي الشيخ، فاجتمع في هذا المركز أزيد من ألف فارس حتى نهاية فيفري 1864.<sup>(4)</sup> وقد دخل سي سليمان بن حمزة متليلي يوم 23 فيفري، حيث اتخذها قاعدةً عمليات، والتحق به الثائر الناصر بن شهرة<sup>(5)</sup> كما التحق به أيضا من أبناء عمومته زعيم الصف الغربي الشيخ بن الطيب.<sup>(6)</sup>

وبعد أن تجمعت هذه القوات الضخمة، أعلن سي سليمان استقالته من منصبه وإعلانه الثورة، وذلك في رسالته إلى حاكم البيض وإلى الوالي العام بالجزائر المؤرخة بتاريخ 16 مارس

---

(1) - الأغواط الإكسل: قبائل طردت من طرف بني هلال إلى ناحية البيض، هم أربعة عروش: أولاد عبد المومن، الزايقية، أولاد عمران، أولاد عيسى. أما إكسل فهو الجبل الذي انجذب إليه بني الأغواط. أنظر: ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 134 .

(2) - الحسني: منطقة تقع جنوب غرب مدينة متليلي الشعابنة على بعد حوالي 60 كلم، ضمن صحراء متليلي. والحسي جمع حاسي أي البئر، وقد سميت بهذا الاسم لأن بها مجموعة من الآبار المتجاورة، تعتبر منطقة الحسي ممرًا ضروريًا لكل القوافل والرعاة الذين يجوبون صحراء متليلي، فيقفون عند آبارها لإراحة رواحلهم ولتوريد قطعان مواشيتهم. أنظر الخريطة في الملحق رقم 8.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p409.

(4) -C. Trumelet: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879, p 5.

(5) - هو ابن ناصر بن شهرة بن فرحات ينتسب إلى قبيلة المعامرة من الأرباع. ولد عام 1804 بقرية المخرق جنوب الأغواط. كان بطلا شجاعا دام كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي حوالي ربع قرن من 1851-1875م اشترك في كل الثورات الشعبية التي اندلعت في هذه الحقبة، خرج إلى تونس سنة 1875، واستقر مع الأمير عبد القادر بالشام إلى أن توفي سنة 1883. أنظر: ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 136.

(6) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 224. وأنظر أيضا:

1864؛ حيث أوضح فيها أسباب استقالته من منصبه كبشآغا على الصحراء.<sup>(1)</sup> ومما جاء فيها: "لقد اجتمعت مع كلِّ سكان الجنوب: الخنافسة، المخادمة، المواضي، شعابنة ورقلة، وشعابنة برزقة وآخرين من الذين أعتمد عليهم... كلمتي الأخيرة إليكم، إذا أردتم الخير نحن جاهزون، وإذا أردتم السوء نحن أيضا جاهزون."<sup>(2)</sup>

كانت قوات الثوار موزعةً على قسمين: قسم في الحسبي جنوب متليلي، والقسم الآخر في وادي النومرات شمال متليلي تحت قيادة سي لعلا؛ الذي تمكن من جلب أغلب قبائل ورقلة، ماعدا أولاد اسماعيل، وهي فرقة من الشعابنة تقطن في نقوسة، إضافةً إلى سعيد عتبه الذين رفضوا الانضمام.<sup>(3)</sup>

وهذا ما أكدته البرقية المؤرخة بـ 24 مارس 1864، الواردة من محافظة الجزائر إلى الجنرال ديلينييه تعلمه بأن سي سليمان وسي لعلا وأنصارهما موجودون في متليلي، وأن بعض الفرق من الشعابنة متمركزون جنوب هذه المدينة.<sup>(4)</sup>

كما أنّ الروايات الشعبية المتواترة تؤيد ما ورد في الوثائق الأرشيفية بأن سي سليمان قد استعان بشعابنة متليلي حين أعلن الثورة ضدّ المحتل الفرنسي سنة 1864.<sup>(5)</sup>

واستعداداً للتحرك، أمر سي سليمان القوتين بالانضمام لبعضهما فالتقوا يوم 26 مارس 1864 في أم دمران على بعد حوالي ستين كيلومتر جنوب متليلي أين خيموا هناك.<sup>(6)</sup> وفي يوم 27 مارس التحق بمعسكر أم دمران سي جلول بن حمزة مرفوقاً بالطرافي ومجموعة صغيرة من التوارق.<sup>(7)</sup>

---

(1) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p829 .

(2) -Ibid, t2, p831 .

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p409.

(4) -Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 6. وانظر الملحق رقم 9.

(5) - الحاج بحوص ناصري: هجرة أولاد سيدي الشيخ، مخ، CCDS -Ghardaïa , 0 198 1000 00 , Cote: 0 198 1000 00 ، وق 6.

(6) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p409.

(7) - Ibidem. وانظر خريطة تحرك جيش الثوار في المنطقة ونحو مخيم بوبريتز في الملحق رقم 8.

وفي الأيام الأولى لشهر أبريل 1864، تحرك جيشُ سي سليمان المتجمّع في أم دمران نحو البيض مارا بوادي زرقون.<sup>(1)</sup> ويذكر النقيب بيران أنه عندما وصل مع قُوميته إلى مخيم العقيد بوبريتز (Beauprêtre)<sup>(2)</sup> يوم 8 أبريل 1864 على الساعة الرابعة والنصف صباحا، في عوينة بوبكر بالغازول، والتي تبعد بخمسين كيلومترا شرق البيض، تفاجأ بجيش سي سليمان يحاصر المخيم.<sup>(3)</sup> بينما ذكر ناصري أنّ النقيب بيران؛ الذي جاء يستطلع أحوال مخيم بوبريتز وجد المعركة محتدمة، وأنه تمكن من الهروب على فرسه، ورغم ملاحقه سي المعراج له حتى الثنية إلا أنه تمكن من الإفلات، بينما قام الثوار بالقضاء على جنود فرقته الاستطلاعية.<sup>(4)</sup>

اندلعت المعركة بين الثوار والقوات الفرنسية التي تكبدت خسائر فادحة؛ حيث عمل الثوار في جنود المخيم ذبحا بالسيوف والسكاكين، ولم ينبج منهم سوى ثلاثة جنود. ودخل سي سليمان خيمة بوبريتز فنطعنه بخنجر، لكنه لم يمت فأطلق على رأسه طلقة من مسدسه،<sup>(5)</sup> إلا أنّ أحد جنود بوبريتز قتل سي سليمان.

وتذكر بعض الوثائق أنّ سي سليمان لما دخل خيمة بوبريتز كان برفقته أحمد بن أحمد قايد أولاد علوش ومحمد بن محمد قايد أولاد عبد القادر من شعابنة متليلي،<sup>(6)</sup> بل إنّ بعضها تذكر أنّ سي لعلا قد صرح، لدى استقباله للأبوين شارموتان (P. Charmetant) وفالكون (Fr.

---

(1) - Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 7./H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p845 .

(2) - بوبريتز (Beauprêtre Alexandre): ولد في 20 فيفري 1819 في ماراست (Marast) في وسط فرنسا، التحق بفرقة الزوافا سنة 1839، ثم أصبح عريفا ثم ملازما فنيقيا سنة 1852، عمل كثيرا في منطقة القبائل وشارك من اخماد ثورة الشريف بومعزة، رُقي بعدها إلى عقيد، وقد قتل في مخيمه بعوينة بوبكر سنة 1864، أطلق اسمه على قرية "بوفيمة" بتيزي وزو سنة 1889. أنظر:

Narcisse Faucon: Le Livre d'Or de l'Algérie, pp 49-55

(3) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p845 .

(4) - الحاج بحوص ناصري: المصدر السابق، وق6.

(5) -Narcisse Faucon: Op.cit, p56.

(6) -P. Vellard: Le Sahara Histoire et Mission, f 58.

(Falcon S. J.) في المنبوعة شهر ديسمبر سنة 1872، بأنّ شعانبة متليلي هم من قتلوا بوبريتز وألصقوا التهمة بآبن آخيه سي سليمان.<sup>(1)</sup>

ومهما تكن صحة هذه الرواية، أو غرض سي لعلا من تصريجه للأبوين؛ اللذين طلب منها التوسط لدى الحاكم العام للجزائر لوقف تمرده وأخذ الأمان، إلا أنّها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنّ أعيان شعانبة متليلي كانوا برفقة سي سليمان وفي مقدمة مقريه، كيف لا وهم من حرصوه على الانقلاب على الفرنسيين واحتضنوا ثورته. وهذا ما جاء في بعض تقارير حاكم غارداية إلى الحاكم العام للجزائر؛ حيث اعترف بأنّ الهجوم على فرقة بوبريتز كان بمشاركة جدّ فعالة من شعانبة برزقة.<sup>(2)</sup>

وبعد استشهاد سي سليمان بن حمزة بويح أخوه سي محمد قائداً للثورة، ونظراً لصغر سنه فقد استعان بعميه سي الزبير وسي لعلا، اللذين التفّ حولهما شعانبة متليلي، وكذا بقية القبائل الأخرى المنضوية تحت لواء الثورة. وخاضوا معارك طاحنة ضد القوات الفرنسية خاصة معركة ابن خطاب يوم 26 أبريل 1864 ضد فيلق الجنرال مارتينو (Martineau) والتي تكبد فيها خسائر جسيمة. وهذا ما جعل الثورة تمتد شمالاً وجنوباً بانضمام العديد من القبائل.

ويذكر أمات أنّ مدينة غارداية قد تعرضت لهجمات خلال انتفاضة 1864؛ فخلال ليلتي 16 و 17 سبتمبر 1864 كانت بيوت المعارضين لثورة أولاد سيدي الشيخ عرضةً للنهب والسلب من طرف أشخاص من مليكة والعطف مساندين للشعانبة الثائرين.<sup>(3)</sup>

---

(1) -Ibid, f 73bis.

(2) -Charles Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59, f 32.

(3) -Charles Amat: Op.cit, p.23.

ويعلق مفدي زكريا على هذه الأحداث بأنها كانت عملية تطهير داخل بعض المدن الميزابية، حين قام رجال من العطف ومليكة وبونورة بالهجوم على جانب من غرداية قعد سكانه عن تلبية داعي الجهاد. أنظر:

مفدي زكرياء: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تح: إبراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر 2009، ص 148.

وفي يوم 4 فيفري 1865 جرت معركة قارة سيدي الشيخ ضد الجنرال ديليني (Deligny)، والتي جرح أثناءها سي محمد، وأخذ زمام القيادة بعده أخوه سي احمد؛ الذي واصل المقاومة وهاجم قوات العقيد مارجوريت (Marguerite).<sup>(1)</sup>

وحسب ما ورد في تقرير الحاكم للجزائر الجنرال مكماهون، فإن الثورة قد توسعت لتشمل المناطق الجنوبية للعمالات الثلاث على طول خط حوي 800 كلم من الشرق إلى الغرب وعمق من 270 حتى 360 كلم جنوبا.<sup>(2)</sup>

كما أنّ قوَمَ الحجيرة بقيادة العقيد سيروكا (Seroka) القائد العسكري لدائرة باتنة قد قاموا يوم 10 فيفري 1865 بمهاجمة سي لعلا وبن ناصر بن شهرة ومن معهما من الشعابنة والمخادمة عند حاسي بوروبة، جنوب ورقلة بحوي 50 كلم، وكبدوهم خسائر فادحة.<sup>(3)</sup>

وهذا ما أكدته مراسلة الحاكم العام للجزائر مكماهون (Mack-Mahon) إلى باريس؛ حيث أكد ورود تقرير من العقيد سيروكا يؤكد فيه تجهيز سي لعلا للتحرك من جديد بعد وفاة سي محمد، وقد ذكر في هذه المراسلة المؤرخة بيوم 18 مارس 1865، أنّ سي لعلا مرفوقاً بالناصر بن شهرة قد تحركا صوب متليلي لمنع الحرازية من الاستسلام، حسب المراسلة. وأنهما حينما خيما جنوب متليلي التحق بهما سي الزبير والثائر بوديسية الهارب من سجن الأغواط، قادمين من متليلي.<sup>(4)</sup>

كما أشار أمات إلى أنّ سي لعلا تمكن، سنة 1865، من التقدم بواسطة أعدادٍ من الشعابنة والتوارق حتى جبل عمور.<sup>(5)</sup>

---

(1) -C. Trumelet: Op.cit, p 332.

(2) - Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport au ministre de la Guerre sur l'insurrection de 1864, N 43, Alger, 20/02/1865, ANOM F80/1679, f 11.

(3) -C. Trumelet: Op.cit, p 199.

(4) - Le maréchal de Mac-Mahon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, Alger : 18/03/1864, ANOM F80/1695. وانظر الملحق رقم 11.

(5) -Charles Amat: Op.cit, p37.

وهكذا نرى أنّ منطقة متليلي الشعابنة قد شهدت انطلاق الثورة وأنّ شعابنة برزقة قد كانوا في خضمها طيلة سنتي 1864 و1865.<sup>(1)</sup>

وبسبب شح المعلومة في المصادر المحلية، فإننا لم نعثر على أرقامٍ توثّق حجم مشاركة شعابنة متليلي في هذه الثورة؛ من حيث أعداد الملتحقين والشهداء وحتى كمّ المساهمات العينية والمادية، لكنّ يبدو أنّها كانت بأعداد لا بأس بها، بسبب الولاء المطلق الذي كان يحضى به زعماء أولاد سيدي الشيخ حينئذٍ لدى شعابنة متليلي.

---

(1) - ينبغي هنا الإشارة إلى ما أورده يحي بوعزيز في مقال له حول هذه الثورة أن: "سي لعلا وأخوه سي الزبير قد قاما أواخر ديسمبر سنة 1865 بالإغارة على شعابنة متليلي والمخادمة وضواحي غارداية.. وانتشرت إشاعات بأنهما سيغزوان ورقلة...". وذكر أن مصدر هذه المعلومة هو ترملي، لكن لما عدنا إلى ترملي لم نجد أثرا لهذه المعلومة. أنظر: يحي بوعزيز: أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881، في الثقافة، تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر، ع51، ماي-جوان 1979، ص32.

## المبحث الثاني:

### رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة شعابنة متليلي في الثورة

بعد الأحداث العنيفة التي شهدتها الثورة، وبغرض الانتقام من القبائل التي ساندت الثوار، قامت السلطات الاستعمارية بإجراءات عقابية؛ منها شن الحملات العسكرية التأديبية ضدها، وتغريمها بالضرائب المحيظة.

وفي هذا السياق، فقد فرضت مع بداية سنة 1865، ضرائب حرب على القبائل الثائرة، أو تلك التي ساندت الثائرين، وذلك لتعويض خسائر سلطات الاحتلال في المعارك التي اشتبكت فيها مع المتمردين، وحسب الوثائق التي اطلعنا عليها فقد شمل الاجراء كل القبائل والجماعات التي ساعدت الثوار سواء في التل أو في الصحراء، ولم يُستثنَ من منه سوى قبيلتي الشعابنة والحرازية؛ واللتين ظلتا متمردتين ولم تتمكن القوات الفرنسية من إخضاعهما بعد<sup>(1)</sup>. لذلك فقد كان لا بد من استخدام القوة العسكرية لإخضاع منطقة متليلي الشعابنة، فكانت باكورة تلك الحملات العسكرية حملة العقيد دو سونيس (De Sonis).

#### أولاً: التعريف بالعقيد ديسونيس

هو من عائلة عسكرية، فقد كان أبوه ملازماً في فرقة المشاة الثالثة عشرة، ولد لويس قاستون دو سونيس (Louis-Gaston de Sonis) يوم 25 أوت 1825،<sup>(2)</sup> في لابوانت أبيتر ( La Point- à-Pitre)؛ كبرى مدن إقليم جوادلوب (Guadeloupe) الفرنسي في جزر الأنتيل بالمحيط الأطلسي.

---

(1) - Le maréchal de Mac-Mahon: Amendes et Indemnités Insurrection de 1864, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 16/02/1865, ANOM F80/1679. وانظر الملحق رقم 10.

(2) - Charles d'Hallencourt: La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis, C. Paillart Imprimeur-Editeur, Abbeville 1893, p10.

تنقل إلى فرنسا وتدرّج في المدارس العسكرية، إلى أن تخرّج برتبة ملازم في الفوج الخامس لفرقة الفرسان الخفيفية في كاسترس (Castres). وكان معروفاً بتدينه الشديد، وباحترامه لتعاليم الكنيسة.<sup>(1)</sup>

وبتشجيع من رفاقه انضم إلى الماسونية،<sup>(2)</sup> التي كان ينظر إليها ككنيسة مسيحية حرة، ولكن ليس أقلّ تديناً، ولا أقلّ إفادةً من الكنائس الأخرى. وكانت الكنيسة المسيحية تحارب الجمعيات السرية غير المعروفة لها في ذلك الوقت. ويذكر بونارد (Bunard) أنّ دو سونيس لم يضع قدمه في أي محفل ماسونيّ، إلا عندما طلب منه عقيدته، ذات يوم من سنة 1848، أن يحل محل أحد أفراد الفرقة، والذي كان مدعوا إلى عشاء ماسوني. فسأله دو سونيس:

"- لكن ، لماذا لم تتم دعوتي أنا أيضاً؟"

- هل ستكون ماسونياً؟

- نعم ، أيها العقيد ، ما الضرر الذي يلحقني بهذا؟

- اذهب وانظر! قال العقيد مندهشاً للغاية.

- حسناً ، سأذهب وأرى. "أجاب دو سونيس.<sup>(3)</sup>

ولما ذهب دو سونيس إلى ذلك العشاء اكتشف حقيقة هذه المنظمة؛ حين بدأ المجتمعون بمهاجمة الكاثوليكية وأسرارها وكهنيتها. وهو ما لم يتحمّله دو سونيس، فوقف فجأةً على الطاولة، وصرخ في المنضمين: "آه! توقفوا هنا أيها السادة، لقد ورطتموني، واكتشفت أنكم نصبتم لي

---

(1) وانظر صورته المزينة بالصليب المقدس في الملحق رقم 12 - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p26.

(2) - الماسونية (franc-maçonnerie): تطرح نفسها على أنها مؤسسة احسانية وجمعية فكرية تسعى إلى استقطاب ذوي النفوس الحرة والأخلاق الحسنة، وقد ساهمت الماسونية بشعاراتها الإنسانية الفضفاضة في إضعاف المشاعر الدينية والقومية والوطنية لدى شعوب العالم. ولم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذاً من الماسونية، فلها محافل في كل أنحاء العالم تقريباً، حيث تستقطب هذه المحافل الشخصيات المؤثرة في كل بلد لضمان سيطرتها عليه. وهي تسيطر على بعض الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب، وبعض وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم. ويبيدها الكثير من موارد الاقتصاد ووسائل الإنتاج في العالم. وقد عدّها البعض منظمة يهودية. أنظر: عبد الوهاب الكيلاني وآخرون: موسوعة السياسة، ج5، ص ص 657-661.

(3) - Mgr Bunard: Le général de Sonis d'après ses papiers et sa correspondance, Librairie Charles Poussielle, Paris 1891, p27.

فخاً... لقد قيل لي أنّ الدين سيحترم دائماً، وأنتم هنا تهينونه! أنتم لم تحافظوا على وعودكم، وأنا بريء منكم. لن تروني مرة أخرى: مساء الخير! " وخرج مدعوراً وغاضباً.<sup>(1)</sup>

ومنذ خروجه من هذا المحفل الماسوني غدى دوسونيس أكثر تعصباً للكاثوليكية، وحسب ما جاء في بعض المصادر، فإنه كان يحمل الصليب في كل معاركه.<sup>(2)</sup>

وبعد عشرين عاماً، أي في عام 1871، كان المحفل الماسوني لا يزال يتباهى بأنه تمكن من ضم دو سونيس إليه. وكان دو سونيس دائماً يحرر أبناءه من الاقتراب من هذه المنظمات السرية.<sup>(3)</sup>

تزوج سنة 1849، من الأنسة جيني أنطوانيت (Jenny Antoinette)، ذات السبعة عشر ربيعاً، والتي أنجبت له اثني عشر طفلاً.<sup>(4)</sup> وفي ماي 1854 تمت ترقيته إلى رتبة نقيب، وذهب إلى الجزائر وشارك في الحملات العسكرية على بلاد القبائل خلال سنة 1857. وبعد اخضاع هذه المنطقة باستسلام بني راتن في سوق الأربعاء، أجرى قُداساً من الشكر.<sup>(5)</sup> بعد ذلك تم تعيينه في الحملة الإيطالية سنة 1859.<sup>(6)</sup>

في عام 1860، تم تعيين دو سونيس قائداً أعلى لتنس، ثم الأغواط وأخيراً سعيدة؛ أين رُقّي إلى رتبة مقدم (Lieutenant-Colonel) في جوان 1856.<sup>(7)</sup> وفي مطلع عام 1866 حقق نصراً كبيراً في معركة متليلي، كما شارك سنة 1869 في معركة عين ماضي.<sup>(8)</sup>

ثم عاد إلى فرنسا أثناء الحرب البروسية، خلال سنتي 1870-1871، وبعد نهاية الحرب طلب اعفائه من مهامه العسكرية بداعي الإصابة التي تعرض لها في رحله أثناء الحرب، إلا أنّ

---

(1) -Albert Bessières: Sonis 1825-1887, Beauchesne Editeur, Paris 1946, p 35.

(2) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p26.

(3) - Mgr Baunard: Op.cit, p28.

(4) -Albert Bessières: Op.cit, p 35.

(5) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p48.

(6) -Albert Bessières: Op.cit, pp 56-78.

(7) -Ibid, pp 116-113.

(8) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p81.

استقالته رُفضت. وقد أمضى السنوات الأربعة الأخيرة من حياته في باريس في وسط ديني إلى أن توفي يوم 15 أوت 1887.<sup>(1)</sup>

### ثانيا: حملة ديسونيس على متليلي "معركة متليلي"

لقد كانت منطقة متليلي الشعابية تمثل بالنسبة للعسكريين الفرنسيين بؤرة التمرد وأيقونة ثورة أولاد سيدي الشيخ، لذلك فقد بدأوا يفكرون في ضرب قلب هذه الثورة، وفي معاقبة القبيلة التي احتضنت حركة سي سليمان، وحرضت بقية القبائل على الانضمام إليها.

ويذكر تقرير الحكومة العامة للجزائر أنّ العقيد أرنودو (Arnaudeau) القائد العسكري لدائرة باتنة عندما كان بالحجيرة يوم 31 نوفمبر 1865 بلغته أنباء تهجير شعابية متليلي والمذابيح للثورة من جديد؛ حيث قاموا بالاستيلاء على قافلتين تجاريتين واحدة لسعيد عتبة والأخرى لأولاد زيد من بسكرة.<sup>(2)</sup> فتجهز، مستعينا بقوم سعيد عتبة، للتوجه نحو متليلي يوم 4 جانفي 1866. وفي الطريق جاءته مراسلات من ميزاب تفيد بأنّ طاوور دو سونيس تحرك لنفس الوجهة مُنطلقاً من الأغواط، كما أنّ البريد الوارد من علي باي أخبره بأنّ سي لعلا يُعدّ العدة للهجوم على ورقلة. لذلك فقد قرر إرسال قوم سعيد عتبة لمعاقبة شعابية متليلي، وانسحب هو راجعا إلى ورقلة التي وصلها يوم 8 جانفي 1866.<sup>(3)</sup>

ومن نافلة القول أن نذكر هنا بأنّ دوسونيس كان ضمن حملة النجدة التي تحركت صوب مخيم بوبريتير بعد وقوع هجوم الثوار عليه صبيحة يوم 8 أفريل 1864، لكن دوسونيس لما التحق بالمخيم وجد كلّ شيء انتهى، والمهاجمين انسحبوا بعيدا... فلم يفكر في مطاردتهم، وإنما اشتغل مع جنوده بدفن القتلى. ويذكر المؤرخون أنه لما وقف على ما أبقته الذئاب من جثة بوبريتير ظهر عليه حزن عميق مرفوقا باحمرار في العينين يدل على حنق وغضب شديدين، وتمتم بكلمات ويواري بنفسه جثة بوبريتير: "ليرعى الرب روحك يا صديقي... سوف لن ننساك"<sup>(4)</sup>

(1) - Mgr Baunard: Op.cit, pp 262-263.

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p419.

(3) -Ch. Feraud: Les Ben- Djellab Sultans de Tougourt, In, R.A, V31, 1887, p 26./  
Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p420.

(4) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p48.

ويبدو أنّ هذا المشهد قد أثر في نفسية دوسونيس، وجعله يتطلع إلى الانتقام مما فعله الثوار بصديقه بويريتير. لذلك لما استلم، في جوان سنة 1865، الأوامر بتعيينه قائداً عاماً للطابور العسكري المتنقل في الصحراء؛ والذي كانت قاعدته في الأغواط، رجع مسرعاً من فرنسا رغم أنه بالكاد وصل إليها لقضاء بضعة أشهر مع عائلته.<sup>(1)</sup>

لقد صدرت الأوامر لدوسونيس بالتحرك بطابور الأغواط نحو جبال عمور بغرض قطع طريق الشرق على الثوار، لكن سرعان ما غير وجهته نحو متليلي.<sup>(2)</sup> ويبدو أنّ تلك الحركة كانت بهدف تضليل عيون الثوار التي كانت ترقب تحركات الطواير الفرنسية، ومفاجأة سي لعلا ومن معه من قادة الثورة الذين كانوا متمركزين حينها في متليلي.

فبعد استراحة قصيرة في الأغواط، انطلقت الحملة من جديد يوم 27 ديسمبر 1865 متجهةً نحو متليلي التي تبعد عن الأغواط بحوالي 200 كلم. لم تتوقف الحملة في أية منطقة واختارت تحوم العرق الغربي، متجنباً التضاريس الوعرة لبلاد الشبّكة، فانساحت عبر أعالي وادي مصك<sup>(3)</sup> محاولة دخول متليلي من أسفلها؛ أي جهة سبب، في حركة التفاافية كان الغرض منها مفاجأة الثوار المستقرين في متليلي الذين كانوا يتوقعون هجوم الحملة من الجهة الشمالية.

كانت الحملة التي جهزها دوسونيس نحو متليلي تتشكل من الكتيبة الثانية عشرة من المقاتلين المشاة، كتيبة من الزواف، السرية الرابعة للخيالة، قطعتين من المدفعية مع بعض الصبايحية، وكذلك عمالٍ وممرضين، فبلغت حوالي 1379 بندقية و245 سيفاً. إضافةً إلى قومية سعيد عتبة المتكونة من 600 فارس، والتي خرجت من ورقلة وانضمت لطابور دوسونيس لدى وصوله إلى متليلي، وكان يؤمن الدعم اللوجستي لهذه الحملة 1700 جمل تحمل المؤونة وقرب الماء.<sup>(4)</sup>

---

(1) - Albert Bessières: Op.cit, p116.

(2) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p81.

(3) - وادي مصك (Mask): هو من أودية الشبكة يقع جنوب غرب متليلي بحوالي 20 كلم، يوازي وادي متليلي ويصب في نفس الاتجاه. يسمى وادي سبب أيضاً.

(4) - M<sup>gr</sup> Baunard: Op.cit, p207.

التقى طابور الأغواط بقيادة العقيد دو سونيس مع قومية سعيد عتبة قرب متليلي يوم 9 جانفي 1866.<sup>(1)</sup> وقبل بزوغ فجر الغد أرسل دو سونيس فرقة استطلاعية مكونة من قومية سعيد عتبة بعد أن أسند قيادتها إلى النقيب لورو (Le Roux) رئيس المكتب العربي بالأغواط، فتفاجأوا بطلقات نارية من الشعانبة المتحصنين في صخور شعبة سيدي الشيخ، مما أعاق تقدمهم.<sup>(2)</sup> وقد عرض النقيب لورو على الثوار الأمان مقابل استسلامهم وتسليم قطعان مواشيهم، فردوا عليه بوابل من الرصاص مما اضطر النقيب إلى العودة أدراجه.<sup>(3)</sup> وقد خلف هذا الاشتباك خسائر فادحة في صفوف القومية اضطرهم إلى التراجع، تاركين وراءهم أكثر من اثني عشر قتيلاً.<sup>(4)</sup>

أرسل النقيب لورو طلب النجدة إلى دوسونيس بواسطة أحد القومية الذي كان جريحاً، ولما وصل المخيم على الساعة الثامنة صباحاً، بدأ يروي لدوسونيس مجريات المعركة التي وقعت في شعبة سيدي الشيخ. وعض أن يندفع بجنود الحملة نحو متليلي لإنجاد الفرقة الاستطلاعية، آثر دوسونيس عدم المغامرة، ولجأ إلى واحة سبب متربصاً مرور الثوار الذين كانوا يلاحقون فلول الفرقة الاستطلاعية.<sup>(5)</sup> ولم يمر وقت طويل حتى حاول الثوار دخول واحة سبب فاشتبكوا مع قوات دوسونيس، فلم يكن أمام الشعانبة سوى الرجوع إلى متليلي على وقع مطاردة الفيالق الفرنسية.<sup>(6)</sup>

استمرت المطاردة لعدة ساعات، حتى دخلت القوات الفرنسية إلى وادي متليلي، وكانت نيران الثوار تترصد لهم من كل جانب، ولم تستطع الحملة الوصول إلى قصر متليلي بسهولة، بسبب تحصن الشعانبة في أعالي الهضاب الصخرية الوعرة التي كانت تشرف على الوادي، خاصة على

---

(1) -E. Mangin: Notes sur l'histoire de Laghouat/In/ R.A., V39, 1895, p 115.

(2) - Mgr Baunard: Op.cit p207.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p419.

(4) -Albert Bessières: Sonis 1825-1887, Beauchesne Editeur, Paris 1946, p 117.

(5) - Mgr Baunard: Op.cit p209.

(6) -E. Mangin: Op.cit, p 115.

هضبة "كاف القصر"<sup>(1)</sup> المحاذية لقصر متليلي، فعندها وقعت المعركة الكبيرة والأخيرة؛ حيث تمركز الثوار الشعابنة على ربوتها وبدأوا يقنصون ميسرة الحملة بكل سهولة.<sup>(2)</sup>

لقد كانت تلك الهضاب الصخرية من أهم العوائق أمام تقدم الحملة، وبما أنّ عدد فرسان الحملة كان أكثر من عدد الجنود المشاة، فقد اضطر دوسونيس إلى إعطاء أوامره إلى الفرسان بالنزول عن خيولهم وبقائها أسفل هضبة "كاف القصر" وتسلق الصخور مثل الجنود المشاة. وتحت قصف قطعتي المدفعية، اضطر الثوار إلى الانسحاب التدريجي من أعالي الهضبة مع حلول الظلام. وهكذا تمكن جنود الحملة من الوصول إلى قممها والسيطرة عليها بعد جهد جهيد وتكبد الكثير من الخسائر.<sup>(3)</sup>

وعلى إثر انسحاب الثوار، ومع نهاية المعركة أمر دوسونيس الفيالق المشكلة لطابوره بالتجمع من جديد، ودخل قصر متليلي على الساعة السابعة والنصف مساء.<sup>(4)</sup>

وبعد أن سيطرت القوات الفرنسية على قصر متليلي، طلب دوسونيس مقابلة الناس، فتجمعوا في المسجد العتيق، ودّس هذا الصليبي المتعصب المسجّد بقدميه وأقدام جنوده، في مشهد استعراضي فيه الكثير من معاني الاذلال والاستهزاء بمشاعر الثوار ومقدساتهم. وخطب فيهم منذراً ومخذراً من أية محاولة من شعابنة متليلي للثورة أو لإيواء الثوار من جديد، وقد فرض عليهم غرامة قاسية قدرتها المصادر الفرنسية بمائة ألف فرنك، وهو مبلغ ضخم في تلك الفترة.<sup>(5)</sup>

كما قام بإقالة قياد العروش الثلاثة الذين كانوا مؤيدين للثورة، واستبدلهم بقياد آخرين؛ فقد أسند قيادة عرش أولاد علوش إلى محمد الرسيوي عوضاً عن القايد أحمد بن أحمد الشلقي، كما

---

(1) - كاف القصر: هضبة صخرية تتوسط مدينة متليلي الشعابنة، يحاذيها وادي متليلي والقصر القديم من الجهة الشمالية، ومن الجهة الغربية وسط المدينة والبطحاء، ومن الجهة الشرقية نجد "دحلة المرابطين"، أما من الجهة الجنوبية فالحي الإداري وشعبة سيدي الشيخ. تسمى حالياً "كاف مولاي عبد القادر". أنظر موقع هذا الكاف وسير معركة متليلي في الخريطة المرفقة في الملحق رقم 13.

(2) - Mgr Baunard: Op.cit p210.

(3) - Albert Bessières: Op.cit, p 117.

(4) - Mgr Baunard: Op.cit p211.

(5) - Albert Bessières: Op.cit, p 117.

عينَ محمد بن فرجالله قائداً لعرش أولاد عبد القادر خلفاً لمحمد بن محمد، بينما نصبَ معمر بن ايعيش قائداً على عرش القصر.<sup>(1)</sup>

أما عن الخسائر الناتجة عن هذه المعركة فهي كبيرة للطرفين، وفي غيابِ المصادر المحلية فقد اعتمدنا على المصادر الفرنسية التي صممت عن ذكر الخسائر في صفوف قوات دوسونس، واكتفت بذكر مقتل اثني عشر فارساً من قومية سعيد عتبة في الكمين الذي تعرضت له في شعبة سيدي الشيخ، بينما ذكرت قتل أربعة جنود في معركة "كاف القصر" فقط.<sup>(2)</sup>

والحقيقة أنّ هذه المصادر هي نفسها التي اعترفت بأنّ نيران الثوار كانت كثيفةً، وأنّ الطريقَ من وادي مَصك وواحة سبب نحو قصر متليلي لم يكن مفروشاً بالورود، وإنما كان الثوار يشبكون مع جنود الحملة عند كل هضبة وشعبة، بل وصخرة، وأنّ الثوار الذين كانوا متمركزين في أعالي الهضاب الصخرية قد شكلوا عائقاً كبيراً أمام تقدم الفيالق الفرنسية... ولعلّ كلّ ذلك يدل على أنّ الخسائر في جنود الحملة كانت كبيرةً جداً وان صممت المصادر عن ذكرها، والسبب يرجع إلى أنّ كل المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها؛ والتي وصفت معركة متليلي، كان مصدر معلوماتها هو مراسلات دوسونيس، والتي حاول من خلالها أن يصوّر لقيادته بأنه حقق نصراً كبيراً على الثوار في متليلي، وأنه عاقب شعابنة متليلي عقوبةً قاسيةً ستجبرهم على الازعان، وعدم التفكير في الثورة مستقبلاً.

أما في صفوف الثوار الشعابنة، فقد كانت الخسائر جسيمةً والخطبُ جَللاً؛ ورغم أنّ المصادرَ الفرنسية ذكرت سقوط خمسةٍ وأربعين من مقاتلي الثوار أثناء اقتحام متليلي يوم 10 جانفي 1866، إلا أنها صممت عن ذكر أعمال القتل والتكبير الذي تعرضت لها متليلي بعد انسحاب المقاومين منها، ذلك أنّ طابور دو سونيس مكث في المدينة مدة تسعة أيام؛ من يوم 11 جانفي إلى 19 جانفي 1866،<sup>(3)</sup> وخلالها أباح دوسونيس لجنوده المدينة، وذلك انتقاماً ونكاية في شعابنة متليلي الذين احتضنوا ثورة أولاد سيدي الشيخ، ومن منطقتهم انطلقت طلائع الثوار لتتكلّم بمخيم صديقه بوبريتز.

(1) - Mgr Baunard: Op.cit p211.

(2) - Albert Bessières: Op.cit, p 117.

(3) - Mgr Baunard: Op.cit p211.

ومما يدل على أنّ الجنود لم يكونوا لطفاءً مع أهل المدينة، هو ما ورد في بعض الكتابات الفرنسية من ذكرٍ لأعمال السلب والنهب التي رافقت دخولَ قوات دو سونيس إلى متليلي؛ فقد قام الجنود بحملة تفتيشية في كل دور متليلي، غنموا خلالها الكثيرَ من الأموال والمتاع، منها عشرة آلاف يورو إسباني؛ أي ما يعادل حوالي 52 ألف فرنك نخبوها من بيت أحد زعماء الثورة.<sup>(1)</sup> كما استحوذوا على 12350 شاة، و393 جملاً وأكثر من 100 جحش.<sup>(2)</sup>

كما اعتبر دوسونيس معركةً متليلي أكبرَ إنجاز حققه خلال مسيرته العسكرية، فقد كتب إلى أحد أصدقائه قائلاً: "لقد تمكنت قبل أيام من احراز نصر باهر في متليلي، لم أفقد سوى خمسة رجال..."<sup>(3)</sup> كما قال في موضع آخر: "لقد تمكنت في هذه اللحظة من اخضاع ثوار الشرق، لم تتمكن أي قوات فرنسية من اقتحام متليلي قبلنا."<sup>(4)</sup>

والحقيقة أنّ قوات دوسونيس لم تكن هي القوات الفرنسية الأولى التي دخلت المدينة، بل كانت هناك حملة أولى على متليلي قبل حوالي اثني عشر سنة، لكنّها لم تواجه قتالاً، ولم تقم بأعمال انتقامية ضد أهالي المدينة، كما مر بنا في الفصل السابق. ولعل هذا ما كان يقصده دوسونيس؛ أي أنّ حملته دخلت بالقوة إلى بمتليلي، ونكّلت بساكنيها وانتقمت منهم شرّ انتقام. وربما كان يقصد بأنها المرة الأولى التي تدخل القوات الفرنسية عاصمة الثورة، وقلبها النابض، بعد أن كانت الحملات العسكرية مركزة على مناطق الثورة في الشرق وفي الغرب. وهذا يدل على الأهمية الكبرى التي كانت تمثلها منطقة متليلي الشعانبة بالنسبة للثوار الذين ظلوا محتمين بها؛ ذلك أنّ زعماء الثورة مثل سي لعلا، سي الزبير والناصر بن شهرة، لا يكادون يخرجون من المنطقة حتى يعودون إليها للالتقاط الأنفاس وإعادة تنظيم الصفوف، وهو ما استنتجناه من قراءتنا للتقارير العسكرية الصادرة طيلة سنتي 1864 و1865.

ورغم تباهي قوات الاحتلال بالانتصار في معركة متليلي، إلا أنّ دوسونيس لم يغامر بجنوده في معركة أخرى حين بلغته يوم 15 جانفي 1866، وهو لا يزال في متليلي، أنباء وجود الناصر بن

---

(1) - Charles d'Hallencourt: Op.cit, p82.

(2) - Mgr Baunard: Op.cit p211.

(3) - Mgr Baunard: Op.cit p213.

(4) - Albert Bessières: Op.cit, p 117.

شهرة على رأس قوة من الثوار متكونة من مائة فارس وثلاثمائة وخمسين جنديا، في حاسي بركاوي جنوب متليلي، وادعى في مراسلاته بأن القيادة العسكرية أمرته بعدم تجاوز متليلي. وبعد خروجه من متليلي يوم 19 جانفي 1866، وصل إلى الأغواط يوم 28 جانفي 1866.<sup>(1)</sup>

إن الأعمال الوحشية التي رافقت دخول القوات الفرنسية إلى المدينة قد دفعت الكثير ممن بقي في المدينة إلى الهروب جنوبا، والالتحاق بالمقاومين المنسحبين نحو وادي ثغير<sup>(2)</sup>، وهو ما أكدته بعض المصادر؛ حينما أكدت أنّ سي لعلا قد انسحب مع أغلب شعانبة متليلي جنوبا.<sup>(3)</sup> وهذه هي "خلية" متليلي الثانية؛ والتي تعتبر أكبر خلية. وبسبب الأعمال الشنيعة التي قام بها جنود هذه الحملة أصبح شعانبة متليلي لا يثقون، بعد ذلك، في وعود قادة الطوابير الفرنسية التي تقترب من متليلي، فكانوا يهجرون نحو الصحراء قبل دخول القوات الفرنسية إلى المدينة.

ومن جهة أخرى، يذكر بليدي أنّ الشعانبة قاموا بمغادرة متليلي بعد مطالبة الحكومة الفرنسية لهم بدفع مستحقّاتهم من الضرائب والمكوس المترسبة عن تسع سنوات فهجروا إلى واد ثغير، وأنّ عدون بن باسعيد قد كُلف بمهمة من القائد العام لعمالة المدية لإقناعهم بالرجوع إلى متليلي.<sup>(4)</sup> وهذا ما أكّده القطب اطفيش في رسالته إلى الحاكم العام بالجزائر سنة 1894 بقوله: "... وكم من مال صالحوا به من يخرج عنكم؛ كالشعانبة حين ردوهم إليكم من واد ثغير."<sup>(5)</sup>

---

(1) - Mgr Baunard: Op.cit p212.

(2) - وادي ثغير: من أهم أودية المنطقة، يبعد عن مدينة متليلي بحوالي تسعين كيلومتر جنوبا. عرضه أكثر من 500 متر، غني بالمياه؛ إذ به حسب المثل السائد لدى الشعانبة مائة وواحد بئر، أشهر آباره، حاسي بركاوي، حاسي زعنون وحاسي الشارف، لذلك يعتبر مأوى خصب للرعاة، خاصة شعانبة متليلي الذي اتخذوه ملجأ لهم في حال الخطر. أنظر:

Henry Deverier: Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili, p591.

(3) - Mgr Baunard: Op.cit, p209.

(4) -Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, p 41.

(5) - محمد بن يوسف اطفيش: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر، تح: فتيحة يظو، جامعة النيلين، السودان، 2006، ص 133.

كما انتشرت أصداء ذلك العقاب الذي سلطه دوسونيس على شعابنة متليلي، وهذا ما أثار على حماس الثائرين من شعابنة ورقلة والمخادمة؛ الذين كانوا يستعدون لاقتحام ورقلة، كما يقول شارل فيرو.<sup>(1)</sup>

لكن التساؤل الذي ينبغي طرحه هنا: لماذا قرّر الشعابنة أن يخرجوا مستقبلا من متليلي عند اقتراب الطواير الفرنسية؟ هل هذا مظهر من مظاهر المقاومة أم هو جبن وتولي يوم الزحف؟ وهل من المعقول أن يترك الشعابنة دورهم وبساتينهم في متليلي عرضةً للنهب والسلب ويلجئون إلى الصحاري القاحلة؟

أما بالنسبة للشق الأول من التساؤل؛ فمن المعروف أنّ الطبيعة التضاريسية للمنطقة لا تسمح للمقاومين المسلّحين ببعض البنادق والسيوف بالصمود طويلا أمام الطواير الفرنسية الزاحفة والتي تفوقهم عدة وعددا، وبالتالي فإنّ خروجهم من متليلي يدخل في إطار الانسحاب التكتيكي في الحروب، وليس جبنًا ولا توليًا يوم الزحف<sup>(2)</sup>؛ ذلك أنّ هذا الانسحاب نحو صحراء متليلي سينهك القوات الفرنسية في حالة المطاردة، وسيشتت جموعها، ويجعلها صيدا سهلا للثوار الشعابنة الذي يعرفون كلّ شبر من هذه الصحراء الواسعة.

كما أنّ التموقع في قصر متليلي المكشوف والغير محصن بأبراج مراقبة أو بأسوار كما كان عليه حال الكثير من القصور الصحراوية آنذاك، والبعيد أيضا عن أي قصر أو مدينة يمكن الاعتماد عليها في حالة طلب النجدة، سيجعل المواجهة مع القوات الفرنسية ضرباً من الانتحار، وسيمكّن الاحتلال من سحق الشعابنة وقطع دابر مقاومتهم إلى الأبد، وبالتالي فإنّ الانسحاب نحو الصحراء سيعطي نفسا جديدا للثورات والمقاومات التي ستعرفها المنطقة، وسيبقي على المقاومين والثوار إلى فصل جديد من فصول المواجهة مع المحتل الفرنسي؛ والتي تكررت طيلة القرن التاسع عشر.

(1) -Ch. Feraud: Op.cit, p 27.

(2) — التولي يوم الزحف: كبيرة من الكبائر لدى المسلمين، ومعناه الهروب من أمام العدو وعدم مواجهته، مصداقا لقوله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (15-16، سورة الأنفال)، لكن الآية استثنت من قام بحركة التفافية، أو كان تعداد جيش العدو كبيرا جدا مقابل عدد جيش المسلمين.

أما بالنسبة للشق الثاني من التساؤل؛ فكما ذكرنا سابقاً أنّ البداوة هي الغالبة على شعابنة متليلي؛ وبالتالي فإنّ رأس مالهم وثروتهم هي رؤوس الجمال والمواشي التي يجوبون بها الصحراء بحثاً عن الماء والكلأ. ورغم أنّ النخلة كانت ذات قيمة، وأنّ أغلب الشعابنة الرعاة كانوا يمتلكون بساتين في واحة متليلي، إلا أنّها لا تقارن بقيمة الجمال والمواشي.

ورغم ذلك، فقد حاولت القوات الغازية لمتليلي في كل مرة الضغط على الشعابنة لإرجاعهم إلى متليلي، وذلك من خلال عمليات القطع والحرق التي طالت نخيل متليلي، وقد تكررت عدة مرات كما هو محفوظ في الذاكرة الشعبية، منها تلك المرة التي عزم فيها قادة إحدى الحملات على قطع كل نخيل متليلي الممتدة من قصر متليلي نحو "حضور"<sup>(1)</sup>، وبالفعل جاء الجنود السنيغاليون بفؤوسهم ومناجلهم وعملوا في نخيل متليلي قطعاً وحرقاً، واستمرت عمليات القطع أياماً قاموا خلالها بقطع النخيل لمساحة كبيرة ممتدة من القصر حتى "آحباس العرش"<sup>(2)</sup>. عند ذلك تدخل القياد والأعيان والضمان لوقف هذه العملية التخريبية، فاتصلوا بقيادة الحملة طالبين منهم وقف أعمال القطع مقابل ضمان ارجاع الشعابنة إلى متليلي. ولا زالت آثار هذا التخريب واضحة حتى اليوم؛ إذا أنّ هذه المنطقة أضحت جرداء من النخيل، ولا تبدأ بساتين النخيل إلا من آحباس العرش، بعد أن كانت تبدأ من القصر.<sup>(3)</sup>

ولا تذكر الروايات الشعبية السنة التي وقعت فيها هذه المأساة، إلا أننا نرجح أن تكون خلال هذه الحملة، لعدة اعتبارات؛ منها المدّة الطويلة التي مكثها دوسونيس في متليلي بعد انتهاء المعركة؛ والتي اشتغل خلالها جنوده بعمليات السلب والتخريب، كما أنّ انسحاب المقاومين والثوار مع غالب ساكني المدينة لم يكن محل رضئ واطمئنانٍ من دوسونيس، الذي كان يسعى إلى إخضاع شعابنة متليلي، والقضاء على ثورتهم إلى الأبد، إضافةً إلى هذا وذاك؛ فإنّ من كتبوا عن

(1) - حضور: هو من الأحياء الغابية القديمة والعريقة في متليلي يقع بين "آحباس العرش" و"المصارف" يمتاز بكثافة نخيله وغنى بساتينه، يطلق عليه أيضاً "الغابة" أو "الحديقة"، أنظر موقع ومساحة حضور في الخريطة المرفقة في الملحق رقم 13.

(2) - آحباس العرش: هو من السدود التقليدية الكبيرة التي أنشأها الشعابنة في وادي متليلي لري بساتينهم وسقي نخيلهم، يقع على بعد حوالي كيلومتر واحد غرب قصر متليلي في اتجاه "الغابة"، ويفصل حالياً بين حيي "السبخة" و"الرزقي". أنظر الخريطة المرفقة في الملحق رقم 13.

(3) - هذه المنطقة تسمى حالياً "السبخة" ومعناها الأرض الجرداء التي لا نبات فيها، أنظر هذه المنطقة في الخريطة المرفقة في الملحق رقم 13.

متليلي قبل سنة 1866، وصفوا نجيلها بأنها كانت ممتدةً من القصر نحو حاضور لمسافة كيلومترين؛ مثل الضابط تريملي الذي دخل متليلي سنة 1854، ودوفرييه الذي دخلها سنة 1859. ويبقى كل ذلك اجتهادا منا لعدم وجود الوثائق والمصادر المحلية خاصة.

## المبحث الثالث:

### مصير ثورة أولاد سيدي الشيخ بعد حملة دوسونيس

رغم ما خلفته معركة متليلي من خسائر في صفوف الثوار، إلا أنّ ثورة أولاد سيدي الشيخ بقيت مستمرة، وظلت المواجهات العسكرية المتفرقة تطبع المشهد العام للثورة. كما أنّ بوادر التفاوض بدأت تطفو من خلال اتصال بعض زعماء الثورة بسلطات الاحتلال.

#### أولاً: المواجهات العسكرية

إنّ نتائج الحملة العسكرية للعقيد دو سونيس لم تؤثر في شعانية متليلي، ولم تجعلهم يستسلمون للاحتلال الفرنسي؛ فقد أشار تريملي بأنّ سي لعلا بعد ما سئم من منفاه الطوعي في رمال حاسي بوزيد<sup>(1)</sup> قرّر في نهاية فيفري 1866 التحرك من جديد، فدخل متليلي طالباً الدعم من الشعانية، ورغم ما خلفته حملة العقيد دو سونيس قائد الأغواط ضدّهم إلا أنّهم استجابوا لدعوة سي لعلا وناصروه.<sup>(2)</sup>

وخلال شهر فيفري 1867 قرّر الحاكم العام بالجزائر إلحاق واحة المنيعه وكلّ مناطق شعانية المواضي بأغوية ورقلة تحت قيادة علي باي، والتي كانت تابعة لمحافظة قسنطينة.<sup>(3)</sup> لذلك، فقد خرج علي باي في فرقة من القوم، واتجه نحو ميزاب؛ حيث قام بنهب حوالي خمسين من الابل في ناحية العطف كانت ملكاً لسعيد عتبة وشعانية متليلي. فسير هؤلاء سريةً نحو أعدائهم فنشبت معركة أدت إلى جرح الكثير من الرجال، وقد اعتبر سي لعلا هذه المعركة انتهاكاً من فرنسا للهدنة وبذلك أوقف محادثاته معهم حول استسلامه.<sup>(4)</sup>

---

(1) - حاسي بوزيد: محطة توقف للقوافل التجارية، تقع في رمال العرق الغربي على الطريق بين الأبيض سيدي الشيخ والمنيعه. أنظر:

Anonyme: Dictionnaire des communes de l'Algérie, p 92.

(2) -C. Trumelet: Op.cit, p 288.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p422.

(4) -P. Vellard: Op.cit, f 61.

لقد ظلّ شعانبة متليلي محيطين بزعماء الثورة من أولاد سيدي الشيخ سواء في الحرب أو في السلم؛ ففي بداية شهر جوان 1867 عبّر سي لعلا عن رغبته بإحلال السلام مع الفرنسيين فأرسل مبعوثا عنه إلى بسكرة يدعى أحمد بن قويدر الشعاني محملا برسالة؛ حيث أظهرت الآغا السابق من خلال هذه الرسالة، نواياه السلمية وطلب منهم تحديد المصير الذي ينتظره. وكان الجواب بأن الفرنسيين سيضمنون حريته وسلامته شريطة أن يأتي شخصيا إلى بسكرة ... لكنه لم يذهب.<sup>(1)</sup>

وفي يوم 23 ديسمبر 1871، قاد سي سليمان بن قدور وسي معمر قومية وهران وفاجئا سي قدور وسي لعلا في المنقوب وكادا يقبضان عليهما، إلا أنهما انسحبا نحو توات. وبذلك توقفت مقامة أولاد سيدي الشيخ مؤقتا.<sup>(2)</sup>

وقد جاء في تقرير الحكومة العامة للجزائر أنّ أولاد سيدي الشيخ لم يقوموا بأيّ عمل ضد الأهداف الفرنسية في الصحراء منذ القبض على بوشوشة سنة 1874 إلى غاية سنة 1879.<sup>(3)</sup>

إنّ الانتفاضة الطويلة لأولاد سيدي الشيخ قد تسببت في توقيف الاكتشافات الصحراوية لعدة سنوات ولم تستأنف إلا في سنة 1872.<sup>(4)</sup> كما أنّ المذبحة التي تعرضت لها مهمة فلاتيرز (Flatters) الثانية سنة 1881 عملت مجددا على تباطؤ الدراسات الصحراوية.<sup>(5)</sup>

ورغم تفرق أولاد سيدي الشيخ وانحسار مقاومتهم، إلا أنّ شعانبة متليلي ظلوا وفيين لهم ومقصدًا وقبلة لهم كلما فكروا في التحرك من جديد، مثل ما فعله سي قدور بن حمزة وسي الزبير وغيرهما. فقد جاء في برقية الجنرال دو لوفيردو (De Loverdo) القائد العسكري لعمالة المدية

---

(1) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p422.

(2) -E. Mangin: Op.cit, p 137.

(3) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p438.

(4) -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie, p110.

(5) -Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p111.

المؤرخة بتاريخ 26 أبريل 1877 إلى الجنرال قائد محافظة الجزائر: أنّ سي قدور بن حمزة<sup>(1)</sup> قد تحرك نحو الشرق، وأنّ متليلي قد تكون وجهته المحتملة.<sup>(2)</sup>

ويشير العقيد بيلان في البرقية المؤرخة بيوم 23 جوان 1879، أنّ هناك معلومات وصلته من دائرة معسكر تفيد بأنّ أولاد سيدي الشيخ قد تحركوا نحو الشرق بـ 200 من المهاري قبل حوالي اثني عشر يوما، يحتمل أنّهم الآن بقرب متليلي، وأنه قد بعث بمبعوث على مهري إلى الأغواط، ورقلة، وإلى قايد قياد متليلي لاستطلاع الأمر. وقد أمره بأخذ اليقظة وإبلاغه عن طريق بريد خاص بأيّ تحركٍ لأولاد سيدي الشيخ.<sup>(3)</sup>

ويذكر تقرير الحكومة العامة للجزائر أنّ سي لعلا ظهر برفقة مجموعة من أتباعه في وادي النسا، يوم 29 جويلية 1879؛ أين قام بنهب 12 جملا و400 شاة تابعة لناس القرارة، فخرج إليهم قاسي بن بوهون قايد القرارة، واشتبك معهم في واد زقير، ثم عرّجت المجموعة نحو زلفانة وأغارت على قافلة تابعة لسعيد عتبة وقتلوا منها ثلاثة رجال، ومنها توجهوا نحو النوميترات ليشتبكوا مع قافلتين أخريين تابعتين لسعيد عتبة. ثم توجهوا نحو ضاية بن ضحوة يوم 30 جويلية بعد ذلك انخرقت المجموعة جنوبا نحو سبب.<sup>(4)</sup>

وهو ما أكدته مراسلة القائد الأعلى للأغواط العقيد بيلان إلى الجنرال دو لوفيردو قائد المدينة المؤرخة بـ 6 أوت 1879؛ التي يشير فيها إلى تحرك هذه المجموعة نحو متليلي؛ حيث قامت بالتحميم يوم 31 جويلية 1879 بحاسي القاع بسبب جنوب متليلي. وجاء في هذه المراسلة أنّ قايد متليلي عبد القادر بن محمد خرج إليهم يوم 2 أوت 1879 مع مجموعة من فرسان شعابنة

---

(1) - سي قدور بن حمزة: هو ابن الخليفة سي حمزة بن بوبكر، من أم زنجية اسمها مباركة بنت ايعيش، لهذا اعترض بعض عمومته على أن يتولى قيادة الثورة بعد وفاة سي أحمد بن حمزة سنة 1868، بحجة أنه لا يمكن أن يرث " البركة"، ولا يستحق أن يكون زعيمهم الروحي، لأن هذا من حق سي حمزة ولد بويكر الذي ولد سنة 1859، وهو بذلك لا يتجاوز عمره التاسعة، غير أن سي قدور استطاع أن يقف في وجههم وأن يفرض نفسه عليهم بمساعدة سي لعلا وسي الزبير. أنظر: ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 265.

(2) -Le General De Loverdo: Dépêche Télégraphique à Mr le General de Division d'Alger, N 155, Médéa: 26/04/1877, A. O, f1.

(3) -Le Colonel Belin: Dépêche Télégraphique, N 379, Laghouat: 23/06/1879, A. O, f2.

(4) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, pp439-440.

متليلي على المهاري، فلما اقترب منهم غيرت مجموعة أولاد سيدي الشيخ، كما جاء وصفها في ذات المراسلة، مكان التخييم وانسحبت جنوبا. ولما أراد قايد متليلي مطاردتهم رفض الشعابنة المرافقين له ذلك؛ قائلين له بأنه لا يمكنهم مطاردة أسيادهم أولاد سيدي الشيخ. كما برروا موقفهم بأن هذه المجموعة لم تقم بالإغارة عليهم.<sup>(1)</sup>

وفي تلك الأثناء، تلقى الشعابنة رسالة من قادة المجموعة الذين أخبروهم بأنه عن طريق الخطأ قام أفراد من المجموعة بنهب بعض الماشية التابعة لشعابنة متليلي في النومرات، وأنهم على استعداد لإرجاع كل ما نُهب منهم. وبعد استلام هذه الرسالة ذهب أفراد من الشعابنة إلى هذه المجموعة ليبلغوهم بالمواشي والبضائع التي نُهبَت منهم. أمام هذا الموقف لم يجد القايد عبد القادر بن محمد بُدًا من العودة إلى متليلي مع أربعة أو خمسة فرسان فقط، بعد رفض شعابنة متليلي مطاردة مجموعة أولاد سيدي الشيخ.<sup>(2)</sup>

ومهما كان تبرير موقف شعابنة متليلي مع قايدهم بالمشاكل الداخلية التي كانت فيما بينهم حول شرعية قيادة القايد عبد القادر بن محمد، والتي كانت الادارة الاستعمارية تحاول فرض شرعيته عليهم، وكانت ترفض كل تلك الاحتجاجات التي كان يحملها الوفود المبعوثون إلى الأغواط،<sup>(3)</sup> إلا أنّ هذا الحادث الأخير بيّن بشكل واضح مقدار الترابط الروحي بين الشعابنة

---

(1) -Le Colonel Belin: Marche du Ghazzou des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 227, 09/08/1879, A. O.

(2) -Le Colonel Belin: Marche du Ghazzou des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 227, 09/08/1879, A. O.

(3) - وهو ما أكدته برقية العقيد بيلان حينما صرح بأن: "وضع قايد قياد متليلي الذي قمت بتنصيبه مؤقتا صعب ودقيق. وقد أوصيته بأن ينتقل إلى ميزاب إذا تأكد من سير أولاد سيدي الشيخ نحو متليلي. وقد وصل أول أمس وفد الشعابنة المعارض إلى الأغواط وسأعمل على الاحتفاظ به هنا أطول فترة ممكنة". أنظر:

Le Colonel Belin: Dépêche Télégraphique, N 379, Laghouat: 23/06/1879, A. O, f2.

وأولاد سيدي الشيخ، ولم يترك أدنى شك في العلاقة بينهما، كما جاء في تقرير بيلان،<sup>(1)</sup> وهذا ما سيؤخذ بعين الاعتبار عند التسوية النهائية لمشكلة متليلي<sup>(2)</sup>، كما ورد في ذات التقرير.

وكحلّ لهذا المشكل القائم، فقد صدر مشروع قرار من الحكومة العامة للجزائر بتشكيل ملحقة متليلي لتصبح فيما بعد مركزا، كما أرجعت الحكومة العامة هذا القرار إلى سبب الفوضى والتمرد الذي أضحى شعانبة متليلي يسببونه إلى السلطات الاستعمارية منذ اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864.<sup>(3)</sup>

وفي يوم 19 نوفمبر 1879 قاد الجنرال دولاتور قائد دائرة المدية حملة على الواحات جنوب الأغواط؛ متليلي وورقلة على الوجه الخصوص، والتي شهدت مؤخرا تحركات للشوار، وقد تشكلت هذه الحملة من 802 زواف، 275 من القناصة الجزائريين، 100 صبايحي، و1000 من الفرسان القوم و1000 جمل.<sup>(4)</sup>

وفي نهاية شهر جانفي 1880، قرر سي قدور بن حمزة فجأة الهروب عند البرابير المخيمين بجنبه ثم انطلق معهم ومع أولاد سيدي الشيخ والمداقنات إلى واد قير أين مكث هناك لعدة أسابيع بضيافة البرابير.<sup>(5)</sup> وفي سنة 1881 قام العقيد بيلان بمطاردة أتباع سي قدور بن حمزة ووصل حتى المنيعه.<sup>(6)</sup>

---

(1) -Le Colonel Belin: Marche du Ghazzou des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 227, 09/08/1879, A. O. 14 وانظر الملحق رقم 14

(2) - المقصود بمشكلة متليلي هو تمرد بعض الأفراد من شعانبة متليلي ورفضهم لتعيين القايد عبد القادر بن محمد، ويبدو أن سلطات الاحتلال قد بدأت تشدد في ضبط الأمور في متليلي؛ حيث أصدر الحاكم العام أمرا بمنع تجمع جماعة المعارضين كما تم نقل ثلاثة من رؤوس هؤلاء المعارضين، منهم القايد السابق لأولاد علوش أحمد بن أحمد، إلى الأغواط بهدف اعتقالهم. وقد نقلوا بعد ذلك إلى سجن الحلفة. أنظر:

Le Colonel Belin: Au Sujet de Trois indigènes des chaamba à interner, N 42, 26/02/1880, Correspondance de la colonne de Metlili-Ouargla 1880, ANOM GGA 53 II/17.

(3) -Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, ANOM GGA 50 II/261. f 6.

(4) -C. Trumelet: Op.cit, p 482.

(5) -Le Chatelier: Les Medaganate/In/ R.A., V31, 1887, p 12.

(6) -Alfred G. Martin: L'action Française dans Le Sahara, p 341.

## ثانيا: المفاوضات

ورغم كل هذه الأحداث، إلا أنّ المفاوضات كانت تجري بين الطرفين، وكانت منطقة متليلي في بعض الأحيان مسرحاً لها، وذلك بسبب تواجد أعداد من زعماء أولاد سيدي الشيخ بها، وكذلك بسبب العلاقة المتينة التي كانت تربطهم بشعابنة متليلي. نستشف ذلك من مراسلة رئيس المكتب العربي بالأغواط النقيب دوران إلى عدون بن باسعيد المؤرخة بتاريخ 29 جوان 1872؛ التي جاء فيها بأنّ سي لعلا قد طلب الأمان من الحاكم العام للجزائر بوساطة ابن سي النعيمي وقايد متليلي سليمان بن مسعود.<sup>(1)</sup> وكذلك مراسلة قايد متليلي سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز المؤرخة بتاريخ 3 سبتمبر 1877 إلى حاكم الأغواط بخصوص طلبه بفتح المفاوضات مع أولاد سيدي الشيخ في متليلي لأجل استسلامهم؛ حيث ذكروا بأنهم اتصلوا بأولاد سيدي الشيخ منهم الزبير بن بوبكر والمعراج بن نعيمي وهم على استعداد أن يقدموا إلى متليلي بشرط ضمان أنفسهم وأملاكهم.<sup>(2)</sup>

ويبدو أن بعضاً من قادة أولاد سيدي الشيخ؛ مثل سي الزبير، لم يكونوا جادين في أمر الاستسلام، وإنما استغلوا هذه المفاوضات التي كانت تجري في متليلي بهدف إعادة الاتصال بالشعابنة؛ وقد تفتنت الإدارة الاستعمارية إلى ذلك؛ فحسب ما ورد في البرقية العاجلة للجنرال دو لوفيردو قائد عمالة المدية فقد أمر بمنع سي الزبير من الإقامة بمتليلي<sup>(3)</sup> لأنه، حسب هذه البرقية، يقوم بجمع الأموال والهدايا من الشعابنة تحت غطاء رغبته في الاستسلام، كما أنه جدد الشروط التي تم الاتفاق عليها بين الحاكم العام للجزائر وسي الدين بن حمزة منذ سنة 1874.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, p 14.

(2) - قايد القياد سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز: مراسلة إلى حاكم الأغواط، متليلي: 28 شعبان 1294هـ / 6 سبتمبر 1877م، A. O. وأنظر الملحق رقم 15.

(3) - بعد صدور هذا القرار بمنع سي الزبير من الإقامة في متليلي، ذهب إلى تميمون وبقي هناك إلى أن توفي بسبب الحمى يوم 25 نوفمبر 1878. أنظر:

Le Colonel Belin: Nouvelle en Circulation dans le Sud, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 396, 13/12/1878, A. O.

(4) -Le General De Loverdo: Dépêche Télégraphique, N 316, Médéa: 08/09/1877, A. O, f1.

إنّ خضوع أولاد سيدي الشيخ الشراقة سنة 1883، جعل الفرنسيين يستغلون ذلك لبسط سيطرتهم على بقية المناطق الجنوبية،<sup>(1)</sup> وكان آخر المستسلمين هو سي قدور بن حمزة الذي التقى الجنرال توماسين (Thomassin) في بريزينة شهر أفريل 1884، ثم قابله الجنرال ديتريه (Détrie) في البيض يوم 31 ماي 1889، قبل أن يكون في استقبال الحاكم العام للجزائر كومبون (Jules Cambon) في المنيعه في مارس 1892.<sup>(2)</sup>

كما أنّ شعابنة متليلي بدأوا يصرفون اهتمامهم عن أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وغيروا وجهتهم نحو أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين أخذوا مشعل الثورة والجهاد. وهذا ما سنفصل فيه في الفصل الخامس عندما نتكلم عن دور المنطقة في ثورة الشيخ بوعمامة.

**وصفو القول** فإنّ ثورة أولاد سيدي الشيخ قد انطلقت من منطقة متليلي الشعابنة، وأنّ شعابنة متليلي هم من حرضوا سي سليمان على الثورة وهم من آزروه بعد إعلانها.

ورغم الحملات الانتقامية التي جهزها ضباط الحملات الفرنسية ضد هذه المنطقة؛ خاصة حملة دو سونيس سنة 1866 والتي أثخنت في شعابنة متليلي، إلا أنّهم ظلوا أوفياءً لزعماء الثورة خلال كل مراحلها، حتى استسلامهم وخضوعهم للفرنسيين في بداية ثمانينات القرن التاسع عشر.

---

(1) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t3, p 49.

(2) -Ibid, t2, p 928.

# الفصل الرابع

دور منطقة متليلي الشعانبة في ثورة بوشوشة وفي مقاومة  
النشاط التبشيري للآباء البيض (1870-1881)

– المبحث الأول: دخول بوشوشة إلى المنطقة وموقف شعانبة متليلي منه.

– المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على انضمام شعانبة متليلي  
لثورة بوشوشة.

– المبحث الثالث: مقاومة النشاط التبشيري في المنطقة.

## الفصل الرابع:

### دور منطقة متليلي الشعانبة في ثورة بوشوشة وفي مقاومة النشاط التبشيري للآباء البيض (1870-1881)

تكلّمنا في الفصل السابق عن ثورة أولاد سيدي الشيخ وقلنا بأنه تراجع زخمها مع نهاية ستينات القرن التاسع عشر، لكنها لم تتوقف إلى غاية نهاية سبعينات القرن التاسع عشر، ورغم ذلك فقد عرفت المنطقة، خلال ثورة أولاد سيدي الشيخ، اندلاع ثورة أخرى ساهمت في تشتيت جهود القوات الاستعمارية، وعملت على زعزعة استقرارها بالمنطقة؛ ألا وهي ثورة الشريف بوشوشة.

كما أنّ الفترة ذاتها قد عرفت ظهور نشاط الآباء البيض، ومحاولتهم تثبيت أقدامهم في المنطقة لجعلها قاعدةً للانطلاق نحو الجنوب الكبير والسودان الغربي.

فكيف كانت مساهمة أبناء المنطقة في ثورة بوشوشة؟ وما هو موقفهم من نشاط الآباء

البيض؟

## المبحث الأول:

### دخول بوشوشة إلى المنطقة وموقف شعابنة متليلي منه.

#### أولاً : ثورة الشريف بوشوشة

إنَّ التاريخَ الطويلَ لمقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي مرَّه أساساً إلى أنَّ "شرعية" المقاومة والثورة لم تكن متوارثةً ولا محصورةً في بيت معين أو قبيلة خاصة أو منطقة محضوة، وإنما نال شرف المقاومة والثورة كل الجزائريين، تقريباً، باختلاف أنسابهم وجهاتهم، لذلك، فقد برز أبطالٌ ومقاومون نالوا لقب "الشريف" من الجزائريين نظيرَ أعمالهم البطولية والجهادية في مواجهة الاستعمار، ولم يكن لقب "الشريف"، الذي تُلقَّبوا به، يدل بالضرورة على رفعة في نسب أو مرتبة في الحسب، ومن بين هؤلاء نجد الشريف بوشوشة.

وقد اختلفت التقارير العسكرية الفرنسية في تسمية الشريف بوشوشة؛ فمنها من ذكرت أنَّ الاسمَ الذي كان يضعه في ختمه هو الشريف حسين عبدو مولاي براهيم بن حسن بوشوشة، وهذا ما كان معروفاً به لدى شعابنة متليلي، وذكرت أخرى أنه كان معروفاً لدى قبائل دائرة الجلفة بسي محمد بن حسن بن ابراهيم بوشوشة.<sup>(1)</sup> لكنَّ أغلب الوثائق تذكره باسم محمد بن التومي بن إبراهيم. وقد ولد بقرية الغيشة قرب جبال العمور سنة 1839 من أسرة فقيرة. عرف بلقب بوشوشة لأنَّ له شعر طويل فوق رأسه. وقد درس سنةً واحدةً في المقارين عند أولاد السلطان، ثم انتقل إلى زاوية سي علي بن يونس أين مكث ستَّ سنوات.<sup>(2)</sup> ويبدو أنه كان متعلماً ويتكلم اللغة الفرنسية بشكل مقبول.<sup>(3)</sup> كما أنه كان معروفاً بالفروسية يركب الخيل والمهاري.

وحسب الوثائق الأرشيفية، فقد اتهمه قايد الابيض سيدي الشيخ الجديد بن النعيمي بإحداث البلبله وتهديد الأمن، فقبض عليه مع رفيقين معه بحجة أنه سيثير الشعب ضد فرنسا.<sup>(4)</sup>

(1) -Le General De Loverdo: Renseignements sur le cherif Bouchoucha, Rapport à Mr Le Gouverneur General d'Alger, N 1734, Médéa 30/11/1873, ANOM 2H84Gmm, f2.

(2) - Le General Dastugue: Notice sur Bouchoucha, Rapport à Mr Le General de division de Constantine, N 1125, Batna 24/09/1873, ANOM 2H84Gmm, f2.

(3) -Le General De Loverdo: Op.cit, f4.

(4) -Ibid, f6.

فمثلَ أمام المحكمة التأديبية بمعسكر يوم 22 ديسمبر 1862م، التي حكمت عليه بالسجن لمدة سنة وعلى رفيقيه مدة ثلاثة أشهر، وسُجن ثلاثتهم في سجن بوخنيفيس قرب سيدي بلعباس. أما لويس رين فيرى أنّ سببَ سجنه هو السرقة.<sup>(1)</sup>

بعد خروجه من سجن بوخنيفيس سنة 1863 توجه نحو المغرب<sup>(2)</sup>، أين مكث مدةً من الزمن. وفي سنة 1865، لما تزعم سي أحمد بن حمزة مقاومةً أولاد سي الشيخ عرض على بوشوشة قيادة نصف جيش الثوار، كما جاء في مذكراته، إلا أنه رفض هذا العرضَ بسبب ما لقيه من قائد الابيض سيدي الشيخ الجديد بن النعيمي.<sup>(3)</sup> ولما عاد من المغرب بدأ يتنقل في عدة مناطق من الصحراء مثل توات ورقلة وعين صالح.

ويذكر لويس رين أنّ بوشوشة بدأ يجمع انصاره سنة 1869؛ فقام باستقدام شعابنة المواضي ثم شعابنة ورقلة سنة 1870، وبكل هؤلاء الأنصار قام في مارس 1870 مع شقيقه بمهاجمة الأرباع وسعيد عتبة في الحماد. وفي أبريل دخل المنيعة وأسر قائدها جعفر. وفي 7 ماي استقر في متليلي. وبعد حصار دام لأيام انسحب من متليلي نحو أبيار بسبب تحت ضغط قائد الأرباع لخضر بن محمد. وعاد أدراجه نحو عين صالح.<sup>(4)</sup>

وخلال هذه الفترة أرسل جماعةً من ورقلة رسالةً إلى الثوار جاء فيها "... لا تبقوا يوماً واحداً اقدموا إلينا بخيامكم، لكم أن تحضروا بوشوشة معكم، لم يبق فرنسي واحد هنا، لا أحد يحكم الا القياد الذين يعاملوننا بظلم تعالوا لتخلصونا..."، وقبل دخول المدينة جمع بوشوشة أتباعه وخطب فيهم خطبةً حماسية أكد فيها أنّ ساعة الخلاص قد حانت؛ ومن جملة ما قال: "... إن كنتم

---

(1) -Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, p79.

(2) - حسب الوثائق التي اطلعنا عليها، فقد وجدنا بعضها تذكر أنه ذهب إلى فاس وأخرى تذكر مكوثه في فيقيق، وللجمع بين هذه الوثائق فقد كتبنا المغرب.

(3) -H. Simon: Comment Bouchoucha raconta un jour son histoire, In B.L.S, N19, Janvier 1955, Alger, p 21.

(4) -Louis Rinn: Op.cit, p 80.

ترغبون فقط في السلب والنهب فلست منكم، وأما إذا عاهدتموني على أن تعطوني السيادة على ورقلة فإني أقبل قيادتكم، شريطةً معاهدتي على الصبر حتى النصر أو الشهادة".<sup>(1)</sup>

ويذكر أعزاز أنّ بوشوشة "المدعي الشرف" دخل ورقلة سنة 1870، وأنه لقي مقاومة من العروش الثلاثة لإباضية ورقلة إلا أنهم انقادوا لأمره فيما بعد.<sup>(2)</sup> بينما أكد لويس رين أنّ بوشوشة دخل ورقلة في شهر مارس 1871، وأضاف بأن بوشوشة قبل أن يقدم إلى ورقلة كان قد تلقى رسائل من الناصر بن شهرة والأمير محي الدين<sup>(3)</sup> وبعض العائلات في المنطقة، لكنه لم يكن يثق سوى في رسائل الشعانبة.<sup>(4)</sup> لذلك فإنّ الجنرال داستيغ قد زعم في تقريره بأنّ الشعانبة؛ شعانبة ورقلة على وجه الخصوص، هم من أطلقوا لقب "الشريف" على بوشوشة بعد دخوله ورقلة.<sup>(5)</sup>

بعد استقراره في ورقلة، بدأ يوسع نفوذه نحو المناطق المجاورة؛ تقرت، نقوسة، سوف، ... ووصل حتى متليلي وميزاب. إلا أنّ الجنرال دولا كروا (De Lacroix-Vaubois) تمكن من طرده من ورقلة في جانفي 1872،<sup>(6)</sup> وظل مطاردة في الصحراء إلى أن تمكن آغا ورقلة محمد بن ادريس من أسره حين سقط جريحا في معركة الميلوك جنوب عين صالح يوم 29 مارس 1874،<sup>(7)</sup> وصدر في حقه الإعدام. وقد نفذ فيه الحكم بمعسكر الزيتون قرب قسنطينة في 29 جوان 1875.<sup>(8)</sup>

<sup>(1)</sup> - لخضر عواريب: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية منها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه، في مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع17، ديسمبر 2014، ص 298.

<sup>(2)</sup> - إبراهيم بن صالح أعزاز: غصن البان في تاريخ وارجلان، ص ص 166 - 168.

<sup>(3)</sup> - هو الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر، الذي كان في تلك الفترة على الحدود التونسية، وبدأ اتصالاته مع قبائل الشرق الجزائري بهدف تنظيم المقاومة لإخراج فرنسا، مستغلا هزيمتها في الحرب مع الألمان، وقد نشر عبد الجليل التميمي بحثا حول هذا الموضوع توصل فيه إلى أن الأمير محي الدين كان على اتصال بالثوار في الجنوب الشرقي الجزائري. أنظر:

عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية للنشر، تونس 1972، ص 114.

<sup>(4)</sup> -Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, p 139.

<sup>(5)</sup> - Le General Dastugue: Notice sur Bouchoucha, Rapport à Mr Le General de division de Constantine, N 1125, Batna 24/09/1873, ANOM 2H84Gmm, f5.

<sup>(6)</sup> -Julia A. Clancy-Smith : Rebel and Saint, p 211.

<sup>(7)</sup> -Mohamed ben Driss: La prise de Bouchoucha, Rapport à Mr Le Chef d'Escadron d'Etat Majeur Rois commandant de Tuggurth, Ouargla 11/04/1874, ANOM 2H84Gmm, f1.

<sup>(8)</sup> -P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, f65.

## ثانيا: علاقة شعانية متليلي ببوشوشة

حسب ما اطلعت عليه في بعض الوثائق، فإنّ بوشوشة قد زار متليلي قبل أن يعلن الثورة؛ فقد ذكر الجنرال داستيق في تقريره بأنّ بوشوشة بعد رجوعه من المغرب سنة 1865 قصّد ورقلة، إلا أنّ شيخ ورقلة لم يرحب به، فخرج إلى نقوسة حيث مكث عشرة أيام، بعدها ذهب إلى توات، وفي طريقه إلى توات عرّج على متليلي، ثم المنيعه.<sup>(1)</sup>

وقد ذكر رونييه؛ أنّ شعانية متليلي، المنيعه، وورقلة قد ثاروا مع تومي بن براهيم المدعو بوشوشة سنة 1869 وظلوا معه إلى غاية اليوم الذي تأكّدوا فيه من عدم قدرته.<sup>(2)</sup>

كما أكد ذلك لويس رين بقوله: "في أقصى الجنوب...أمورنا لا تسير بشكل جيد؛ فبوشوشة المنفي في عين صالح منذ ماي 1870 لم يتوقف لحظة في الاعتماد على شعانية متليلي وتجنيد الأنصار للقيام بأعمال عدائية ضدنا في كامل الصحراء."<sup>(3)</sup> وأضاف محفوظ قداش أنّ شعانية متليلي تحت قيادة بوشوشة زحفوا نحو ورقلة في مارس 1871.<sup>(4)</sup>

لكنّ بوشوشة في مذكراته أكّد بأنه من أسباب عدم تحقيقه انتصارا باهرا في معركة سبب سنة 1870 هو عدم مساعدة شعانية متليلي له.<sup>(5)</sup> فما هو الموقف الحقيقي لشعانية متليلي من ثورة بوشوشة؟

### 1- دخول بوشوشة إلى متليلي سنة 1870:

إنّ تقرير الحكومة العامة للجزائر يؤكد أنّ بوشوشة بعد دخوله المنيعه بالقوة في أفريل 1870، توجه نحو متليلي قصر شعانية برزقة، فقاوم سكان القصر لمدة ثلاثة أشهر، لكنهم استسلموا بعد الحرق والدمار الذي لحق بساتين الواحة حول القصر.<sup>(6)</sup>

(1) - Le General Dastugue: Op.cit, f3.

(2) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, p133.

(3) -Louis Rinn: Op.cit, p 139.

(4) -Mahfoud Keddache: L'insurrection de 1871 , In Ellassala, N 2, Mai 1971, p 7.

(5) -H. Simon: Op.cit, p 15.

(6) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p430.

بينما ذكر بوشوشة في مذكراته التي أملاها على سحانه النقيب سيمون؛ أنه خيم بالقرب من المدينة عدة أيام نظرا تصدي الشعابنة له إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، بل قام قياد العروش الثلاثة محمد بن فرج الله، بن معمر، والرسوي بإعطائه 1600 دورو والكثير من الهدايا، إضافة إلى إهدائه ثلاثة من الجياد العربية الأصيلة؛ واحد من عند بن إيعيش، الثاني من عند بن فرج الله أما الثالث فكان مهدي من عند محمد الرسوي.<sup>(1)</sup>

وكان أول عمل قام بوشوشة؛ به بعد دخوله قصر متليلي، هو قتله بيده للمدعو محمد بن ميلود الملقب ب"الشريف الصغير"، ثم قام بتهديم منزل قايد متليلي الذي لجأ إلى بني مزاب طالبا منهم النجدة عند اقتراب بوشوشة من متليلي.<sup>(2)</sup>

لكن بوشوشة لم يمكث طويلاً، فأثر الانسحاب جنوباً حين وردت إليه أخبار قدوم قوم الارباع من الأغواط؛ الذين التقى معهم تحت نخيل سبب؛ أين وقعت معركة كبيرة بين الطرفين.

## 2- معركة سبب:

تقع قرية سبب جنوب مدينة متليلي الشعابنة وتبعد عنها بحوالي 15 كلم، وتعتبر امتداد طبيعياً واجتماعياً لمتليلي؛ ذلك أنّ تضاريسها تشبه تضاريس متليلي من حيث وجود الهضاب الصخرية والشعاب التي تصب في وادي سبب؛ الذي يوازي وادي متليلي ويسيل عند فيضانه في نفس الاتجاه، كما أنّ شعابنة متليلي يسكنون هذه القرية، ويستصلحون بساكنها، ويرعون مواشهم في مضاربها، تتبع حالياً دائرة متليلي الشعابنة.

بعد أن تمكن من دخول المنيعة و متليلي، قرر بوشوشة التراجع جنوباً مع غنائمه. فأثر التخييم في وادي سبب، وهناك لاحقته قوم الارباع تحت قيادة القايد لخضر بن محمد، قادمة من الأغواط.

كان جيش لخضر بن محمد يضم أكثر من 311 فارساً من الارباع وأعداداً من المخاليف، بينما كان مع بوشوشة حوالي 300 تارقي وسبعين شعابنيا من المنيعة إضافة إلى أعداد غير قليلة

(1) -H. Simon: Op.cit, Janvier 1955, Alger, p 23.

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, p430.

من شعابنة برزقة، والتي التحقت به بعد خروجه من متليلي. واندلعت معركة حامية بين الطرفين يوم 12 ماي 1870، دامت خمس ساعات وظلت سجلاً بينهما.<sup>(1)</sup>

ويذكر بوشوشة أنه حين خرج من متليلي التحق به القسم الأكبر من مقاتلي شعابنة برزقة؛ حيث أوصاهم بالتموقع جهة الغرب، لأنه كان ينتظر قدوم قُوم الارباع من الجهة الشرقية. لكن، عند اندلاع المعركة لم يُقحم شعابنةً متليلي أنفسهم فيها مما أدى إلى انهزامه؛ حيث قُتل وجرح العديد من رجاله منهم مقاتلٌ تارقي يدعى الحمودي، رجلٌ من شعابنة متليلي، وآخر من شعابنة المنيعية يسمى ابراهيم بلكحل.<sup>(2)</sup>

وقد تضاربت الآراء بشأن نتائج معركة سبب؛ فأغلبُ الوثائق الفرنسية تؤكد على أن بوشوشة قد تلقى هزيمة كارثية اضطرته إلى الانسحاب نحو قاعدته بعين صالح.<sup>(3)</sup> وقد ذكر تقريرُ الحكومة العامة للجزائر أنه من نتائج معركة سبب هو تفكك عصابة بوشوشة، وأيضاً خضوع شعابنة برزقة وشعابنة المواضي إلى فرنسا.<sup>(4)</sup>

لكن في المقابل؛ ورغم هذه الخسارة التي تلقاها بوشوشة، إلا أنه يدعي بأنه تمكن من صدّ هجوم الأرباع وأنه طاردهم إلى غاية واحات ميزاب،<sup>(5)</sup> كما أنه مكث في وادي سبب يومين أو ثلاثة بعد المعركة، ثم انسحب بمن بقي معه نحو عين صالح. وعند وصوله إلى حاسي لحر؛ والتي تبعد مسيرة اثني عشر يوماً<sup>(6)</sup> جنوب غرب المنيعية، قام بتسريح جميع الثوراق الذين كانوا في جيشه،

---

(1) -Le General De Loverdo: Op.cit, f10.

(2) -H. Simon: Op.cit, Alger, p 23.

(3) -Le General De Loverdo: Renseignements sur le cherif Bouchoucha, Rapport à Mr Le Gouverneur General d'Alger, N 1734, Médéa 30/11/1873, ANOM 2H84Gmm, f14.

(4) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p430.

(5) — ذكر النقيب سيمون أن قُوم الارباع انسحبوا مباشرة بعد انتهاء معركة بسبب نفاذ المؤن الغذائية التي كانت بحوزتهم،  
أنظر:

H. Simon: Op.cit, p 34, note 1.

(6) — إنّ مسيرة اليوم التي كان الأقدمون يقدرّون بها أو يقيسون بها المسافات تقدر بحوالي 48 كلم تقريباً، وبهذا تكون حاسي لحر موجودة على بعد حوالي 576 كلم.

كما أنّ مرافقيه من شعانة متليلي وشعانة المنيعَة قد رجعوا إلى ديارهم. بعد هذا الاجراء أكمل بوشوشة طريقه مرفوقا بعائلته وخدمه إلى مخيمه جنوب عين صالح.<sup>(1)</sup>

ويمكننا القول أنّ بوشوشة لم ينهزم في معركة سبب، كما أنه لم يحقق انتصارا واضحا؛ لأنه لو كان منتصرا لمكث في متليلي، أو لواصل طريقه نحو ميزاب والأغواط، ويبدو أن انسحابه نحو قاعدته بعين صالح تدل على أنّ الظروف المحيطة به لم تكن جيدة، فأثر الانسحاب على الاستمرار في المغامرة.

### 3- رجوع بوشوشة إلى متليلي سنة 1871:

بعد أشهر من عودته إلى قاعدته في عين صالح، انتقل بوشوشة إلى ورقلة، حيث اتخذها عاصمةً له، وبدأ يوسّع نفوذه في المناطق المجاورة، كما مرينا. وفي أواخر شهر أوت 1871 قرر بوشوشة أن يعود مرة أخرى إلى متليلي، لكن ما هو السبب؟

يذكر بوشوشة أنّ سبب ذهابه إلى متليلي جاء بعد مراسلة وردت إليه من قائدَي شعانة متليلي سليمان بن مسعود، وأحمد بن أحمد؛ يطلبان من خلالها قدومه إلى متليلي لأجل حل المشاكل التي كانت بينهم. إلا أنه بعد ذهابه إليهم اكتشف، حسب ما ورد في مذكراته، أنّ غرضهم من استقدامه كان هو تهديد بني ميزاب.<sup>(2)</sup> بينما تذهب أغلب الوثائق إلى أنّ سبب عودته إلى متليلي هو منع سي الزبير بن بوبكر من الاتفاق مع الفرنسيين، وذلك تفاديا لتكرار السيناريو الذي حدث مع أخيه سي حمزة من قبل، حين تحالف مع الفرنسيين ضد الشريف محمد بن عبد الله.<sup>(3)</sup>

وقد ذكر لويس رين، في هذا الصدد، أنّ سي الزبير، وهو في متليلي، قد بدأ محادثات مع الفرنسيين بوساطة بني ميزاب لأجل أخذ الأمان من فرنسا، وقد وعدته فرنسا بأن تنصبه آغا على

(1) -H. Simon: Op.cit, p 24.

(2) -H. Simon: Comment Bouchoucha raconta un jour son histoire, In B.L.S, N19, Janvier 1955, Alger, p 26.

(3) - تكلمنا عن تفاصيل هذه القضية بإسهاب في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ورقلة شريطة أن يقوم بالقضاء على بوشوشة ... ولما بلغت أنباء هذه المحادثات إلى بوشوشة، وبعد استشارة صديقه بن شهرة، قرّر الذهاب إلى متليلي وعرض منصب آغا ورقلة على سي الزبير.<sup>(1)</sup>

وصل بوشوشة إلى متليلي يوم 1 سبتمبر 1871،<sup>(2)</sup> وخيم في منطقة البطحاء ثم السوارق<sup>(3)</sup> لينتقل بعدها إلى النومرات ويقوم بتهديد بني ميزاب إن لم ينضموا له.<sup>(4)</sup> حينها خرج له القائد السابق لشعابنة برزقة أحمد بن أحمد، وأيضا سي الزبير الذي عرض على بوشوشة الزواج بإحدى قريباته وهي فاطمة بنت جلول، في المقابل فقد نصب بوشوشة سي الزبير آغا على ورقلة.<sup>(5)</sup>

وحسب ما ورد في مراسلة يحي بن سعيد؛ وهو أحد أعيان بني ميزاب في غارداية، إلى تجار ميزابيين مقيمين في مدينة الجزائر حول قدوم بوشوشة إلى ميزاب مؤرخة بتاريخ 18 سبتمبر 1871، فإن أحمد بن أحمد وسي الزبير بن بوبكر كانا قد طلبا العفو والأمان في وقت سابق من فرنسا، لكن منذ مجيء بوشوشة إلى متليلي تراجعوا عن ذلك وأيداه بكل قوة.<sup>(6)</sup> أما باشاغا الأغواط سيدي علي بن محمد فيروي تفاصيل تلك المحادثات التي كانت تتم، في متليلي، بين الحاكم العام للجزائر وسي الزبير بن بوبكر في المراسلة التي بعثها إلى عدون بن باسعيد والمؤرخة بتاريخ 22 جوان 1871. وعن الضمانات والامتيازات التي عرضت على سي الزبير فيقول: "الحاكم العام للجزائر أعطى لسي الزبير كل ما طلبه لنفسه ولأفراد عائلته سواء في بريزينة أو في ورقلة أو في أي مكان آخر... وقد أصدر أمراً بتوليته على كل الجنوب أي ورقلة وما يتبع لها... يمكنه أن يطلب ما يشاء." وأضاف مخاطبا عدون بن باسعيد: "اقرأ هذه الوعود على سي الزبير

(1) -Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, p 614.

(2) -Moniteur de L'Algérie: 11<sup>e</sup> année, N°217, 12/09/1871, p 3.

(3) - البطحاء والسوارق: هما حاليا حيّان داخلان في النسيج العمراني لمدينة متليلي الشعابنة.

(4) - موقف بني مزاب من بوشوشة: ذكر بليدي أن بوشوشة لما حظ الرحال بالنومرات، راسل بني ميزاب طالبا منهم أن ينظموا له، فرد عليه بنو ميزاب بأنه إذا أراد السلاح فإنهم سيعطونه ما يحتاجه من آلة الحرب، لكنهم لن ينضوا تحت سلطانه، وإذا أراد حربهم فهم جاهزون لذلك. فكان موقف بوشوشة أنه فضل الهروب على مواجهة بني ميزاب كما ذكر أعزام. أنظر:

Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, pp 42-43.

وأنظر أيضاً: إبراهيم بن صالح أعزام: المصدر السابق، ص 170.

(5) -Louis Rinn: Op.cit, p 617.

(6) -Louis Rinn: Deux Documents Indigènes sur l'Insurrection de 1871/In/ R.A., V35, 1891, p26.

وأخبره أننا نحن الاثنان (باشاغا الاغواط سي علي بن أحمد وعدون بن باسعيد) ضامنان لوعود السلطات الفرنسية.<sup>(1)</sup>

لكن سي الزبير لم يُعبر اهتماماً لهذه الضمانات ولا لتلك الاغراءات، وفضّل أن يتحالف مع بوشوشة. وقد ذكر الجنرال دولوفيردو في تقريره أنّ سي الزبير قد بدأ المحادثات مع الفرنسيين وهو في متليلي منذ نهاية 1870، إلا أنّ الانتصارات التي حققها بوشوشة في ورقلة جعلت سي الزبير يسعى إلى التواصل معه؛ خاصة عندما بدأ يخطف الأضواء، وأضحى محل إعجاب واهتمام من قبّل شعابنة متليلي.<sup>(2)</sup> وهكذا نجح بوشوشة في افشال المخطط الفرنسي بالتحالف مع سي الزبير.

وحسب ما ورد في مراسلة يحيى بن سعيد، فإنّ بوشوشة لدى قدومه إلى متليلي وجد شعابنة متليلي منقسمين حول الموقف من حركته؛ فبينما أيده عرش أولاد علوش، كانت جماعة العشرة قد غادرت متليلي إلى ميزاب هروباً منه، أما أولاد عبد القادر فقد تبعوه بعد تهديده لهم.<sup>(3)</sup> ويبدو أن ما قام به بوشوشة تجاه سي الزبير بن بوبكر ومصاهرتة له، قد أثر على شعابنة متليلي وجعلهم يغيّرون موقفهم منه ويتوحدون حول تأييده. وقد ذكر لويس رين أنّ الشريف بوشوشة، بقي ثلاثة أيام في متليلي، جمع فيها 2000 فرنك، وقام بتجنيد عدد من أنصاره الشعابنة؛ حيث أنّ كل فرقة أو عرش من هذه القبيلة تطوع منه من ستة إلى عشرة فرسان.<sup>(4)</sup> وهذا ليس غريباً، إذ لازال أولاد سيدي الشيخ الشراقة يؤثرون في مواقف شعابنة متليلي، كما مر بنا في الفصل السابق.

**ومن كل ما سبق يمكننا القول أنّ شعابنة متليلي لم يكونوا كلّهم مؤيدين لبوشوشة في بادئ أمره؛ فرغم وجود أفرادٍ من شعابنة المنيعة معه، إلا أنّ الأعداد الكبيرة من التوارق التي كانت في جيش بوشوشة قد جعلت عامة شعابنة متليلي، على ما يبدو، يترددون في تأييده.**

كما لا يمكن إغفال دور أولاد سيدي الشيخ الذين لم يكونوا هم أيضاً يؤيدونه عند ظهوره على مسرح الأحداث، فقد كان بينه وبينهم نفور، بسبب ما لقيه منهم سنة 1862. لكن لما

(1) -Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, p 26.

(2) -Le General De Loverdo: Op.cit, f14.

(3) -Louis Rinn: Deux Documents Indigènes sur l'Insurrection de 1871/In/ R.A., V35, 1891, p23.

(4) -Louis Rinn: Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, p 617.

صالحهم وصاهرهم وعرض منصب آغا ورقلة على سي الزبير، تغير موقف أغلب أفراد أولاد سيدي الشيخ منه، وهو ما انعكس على موقف شعابنة متليلي. إضافة إلى هذا وذاك، فإن بوشوشة كان في تلك الفترة مغموراً، ولم يكن من عائلة شريفة أو ذات نسب مثل أولاد سيدي الشيخ، ولم يُعرف عنه قبل سنة 1870 أنه كان مقاوما للفرنسيين.

ورغم ذلك، فقد كان في متليلي فريق مؤيد لبوشوشة منذ ظهوره والذي كان يمثله، على الأرجح، عرش أولاد علوش. لكن هذا الحزب كان ضعيفاً في مقابل حزب المعارضة الذي كان يتزعمه قائد متليلي سليمان بن مسعود وما يتبعه من جماعة العشرة وعرشي القصر وأولاد عبد القادر. لكن قاعدة الفريق المؤيد لبوشوشة بدأت تتسع منذ دخوله إلى ورقلة حين بدأ أبناء متليلي يلتحقون بجيشه أفراداً وجماعات، وهذا ما أكدته مراسلة رئيس المكتب العربي بالأغواط النقيب دوران إلى عدون بن باسعيد مؤرخة بتاريخ 18 جويلية 1871؛ حيث جاء فيها: "لقد وصلتني معلومات سرية تفيد أنّ بعضاً من شعابنة متليلي انخرطوا في صفوف بوشوشة ليقاتلونا معه، أرجو أن تبعث لي أسماءهم خفية".<sup>(1)</sup>

ويبدو أنّ الانتصارات التي حققها في ورقلة قد بلغت صداها لشعابنة متليلي، وحينها بدأ الصراع يخدم بين الفريقين المعارض والمؤيد. فكان رجوعه إلى متليلي في 1 سبتمبر 1871، وتحالفه مع سي الزبير قد رجحت كفة الجانب المؤيد، وعجّلت بتوحد شعابنة متليلي خلف حركته.

---

(1) -Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, pp 20-21.

## المبحث الثاني:

### رد فعل الاستعمار الفرنسي على انضمام شعابنة متليلي لثورة بوشوشة.

بعدما نجح بوشوشة في التحالف مع زعيم أولاد سيدي الشيخ، سي الزبير بن بوبكر، بدأت سلطات الاحتلال تعد العدة للانتقام من بوشوشة وحليفه سي الزبير، ومؤيديهما من شعابنة متليلي. فركزت عملياتها على جبهتين رئيسيتين هما: جبهة ورقلة، وجبهة متليلي.

#### أولاً: جبهة ورقلة

رجع بوشوشة من متليلي إلى عاصمته ورقلة يوم 5 سبتمبر 1871 مزهوا بتحقيق انتصارين ثمينين، أولاً ضمناً ولاء أحد زعماء أولاد سيدي الشيخ؛ وهو سي الزبير بن بوبكر وعائلته، وثانياً تضخّم جيشه بمقاتلي شعابنة متليلي.

انتشرت أنباء هذين الانجازات للشريف بوشوشة في التل وفي الصحراء، وبدأت القبائل والأعراس تتصل به بغية الانضمام إلى حركته، وهذا ما لم يعجب السلطات الاستعمارية التي فشلت في الحيلولة دون تحالف بوشوشة مع سي الزبير. وحسب ما ذكر بوشوشة؛ فبعد رجوعه إلى ورقلة تخلف عنه بعض أنصاره حيث قاموا بالمحجوم على بني مزاب وعلى تاجرونة، لكن بدون أن يكون هذا التصرف صادراً عن أمره أو برضاه.<sup>(1)</sup> ويذكر أعزام أنّ بوشوشة بعد رجوعه من ميزاب توجه نحو تقرت حيث قضى على الحامية الفرنسية بها، وقام بالقبض على قائدها النقيب قوج (Gouge) الذي قاده معه إلى ورقلة.<sup>(2)</sup>

وبعد خمسة عشر يوماً من مغادرة بوشوشة لمتليلي، انتقل سي الزبير بن بوبكر مع ابن أخيه سي جلول بن حمزة، صهر بوشوشة، إلى ورقلة حيث استقبلهم الشريف بحفاوة، وأسكنهم بيتا فسيحا في قسبة ورقلة، مقر حكمه. وفي هذه الأثناء دخل بومزراق ومن معه من أولاد مقران

(1) -H. Simon: Op.cit, p 28.

(2) - إبراهيم بن صالح أعزام: المصدر السابق، ص 170.

ورقلة؛ والذين آثروا اللجوء إلى الجنوب هروبا من التنكيل والبطش الذي سلّطته عليهم سلطات الاحتلال في الشمال.<sup>(1)</sup>

ورغم تجمع كل هذه الرموز لدى بوشوشة، أولاد سيدي الشيخ، الناصر بن شهرة، أولاد مقران، وشريف نفطة محمد بن عبد الله<sup>(2)</sup>... إلا أنّ كلّ ذلك لم يمكّنه من توجيه جهوده إلى الزحف نحو الشمال في سبيل تحرير بقية مناطق الجزائر من التواجد الفرنسي، وذلك بسبب تحسّن أوضاع سلطات الاحتلال؛ فبعد تمكنها من إبعاد الخطر الألماني، وجهت فرنسا جنودها نحو مناطق الثوار في جبال القبائل والبابور وتمكنت من سحق ثورة المقراني، ومن القبض على زعمائها. وبدأت تطارد فلولهم الذي التجئوا إلى الجنوب، ولذلك أرسلت أحسن ضباطها وجنودها المتمرسين على القتال في المناطق الصحراوية، نحو مناطق نفوذ بوشوشة وهذا ما أدى إلى تراجع قواته بعد الحملات العسكرية المحكمة التي جهزها دولاكروا، وغيره من الضباط الفرنسيين.

كانت قوات دولاكروا تتشكل من 500 فارس، كما انضمت إليه فرق أخرى من بسكرة ومن الأغواط، وتمكن بهذه القوات الضخمة من اقتحام ورقلة؛ خاصة بعد الخيانة التي وقعت في صفوف بوشوشة، حين انضمت سعيد عتبة إلى القوات الفرنسية. وحسب أعزام؛ فقد قام دولاكروا بالانتقام من كل المؤيدين لبوشوشة.<sup>(3)</sup>

---

(1) -Le General De Loverdo: Op.cit, f15.

(2) - هناك بعض المؤرخين الذين كتبوا عن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، يدّعون بأنه ظهر من جديد مع بوشوشة، وكان اعتمادهم على رواية لويس رين، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن لويس رين عندما ذكر اسم محمد بن عبد الله لم يكن يقصد به زعيم المقاومة الجزائري سنة 1851، وإنما يذكره بهذا الوصف "الشريف الجديد" أو "شريف نفطة"، لأن الشريف محمد بن عبد الله كما ذكرنا في الفصل الثاني بعد أن قبض عليه بوبكر بن حمزة سنة 1861، تنقل بين عدة سجون ونفي إلى جزيرة كورسيكا وأرجعته فرنسا إلى الجزائر شبه ميت. إذاً، هو تشابه في الاسم فقط بينه وبين زعيم مقاومة تونسي تواصل في تلك الفترة مع الثائرين الجزائريين مثل الناصر بن شهرة وبوشوشة، ويبدو أنه دخل إلى الجزائر بناء على تعليمات من الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي كان حينها في نفطة. أنظر ما كتبه لويس رين حول شريف نفطة محمد بن عبد الله:

Louis Rinn: Op.cit, p 619.

(3) - إبراهيم بن صالح أعزام: المصدر السابق، ص 172.

بعد الخروج من ورقلة انسحب الثوار جنوباً نحو حاسي تامزغيدة<sup>(1)</sup>؛ أين قام بوشوشة بإعادة تنظيم جيشه فقسّمه إلى خمس كتائب صغيرة، واحدة بقيادةه هو وصهره سي الزبير، والأخرى خاصة بالشعانية، الثالثة للمخادمة، الرابعة تحت قيادة بن شهرة، أما الخامسة فكانت تتشكل من المقرانيين، وهناك لاحقتهم قوة عسكرية تتكون من 250 فارساً تحت قيادة العقيد قوم (Gaume).<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ معركة تامزغيدة قد أدت إلى تشتت قوى الثوار وتفرقهم؛ حيث انسحب الناصر بن شهرة مع بعض المقرانيين إلى تونس، ورجع أغلب شعانية برزقة إلى متليلي، وتم القبض على بومزراق يوم 20 جانفي 1872 بالرويسات<sup>(3)</sup>، بعد هروبه من تامزغيدة، بينما تراجع بوشوشة جنوباً نحو عين صالح.<sup>(4)</sup>

وقد أرجعت التقارير العسكرية الفرنسية سبب تشتت قوة بوشوشة إلى الخلاف الذي نشب بينه وبين صديقه الناصر بن شهرة، وحتى مع المقرانيين،<sup>(5)</sup> بل إنّ بعض تلك التقارير تدّعي ضلوع بن شهرة في محاولة الاغتيال التي تعرض لها بوشوشة، لكن لويس رين نفى كل تلك الادعاءات.<sup>(6)</sup>

---

(1) - حاسي تامزغيدة: تقع جنوب مدينة ورقلة على الطريق نحو فقارة الزوى قرب عين صالح. تبعد عن حاسي جريبية الجديدة بحوالي 50 كلم جنوباً، بينما يفصلها عن حاسي الشعاني 13 كلم، وقد دخلها المستكشف فورو سنة 1883. أنظر:

Paul Vuillot: L'exploration du Sahara: étude historique et géographique, Augustin Chalmel editeur, Paris 1895, p217.

(2) - لخضر عوارب: المرجع السابق، ص ص 300-301.

(3) - الرويسات: تبعد عن مدينة ورقلة بحوالي 6 كلم غرباً، ويذكر دوماس أنّ بها أربعين منزلاً تم بناؤها في غابة من أشجار التمر وعلى تربة خصبة، بحيث لا تحتاج إلى الري. وفي فصل الشتاء تكون ضواحي الرويسات مستنقعاتاً، وفي الصيف على الرغم من عدم وجود ينابيع فإن الآبار الضحلة جدّاً التي يبلغ عمقها خمسة أو ستة أقدام كحد أقصى، تعطي الماء بوفرة. وهي مقر الطريقة القادرية في الجنوب. أنظر:

Eugène Daumas: Le Sahara Algérien, p80.

(4) -Le Colonel Mirchez: Situation Politique, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, Alger 03/02/1872, ANOM F80 1682, f3.

(5) -Ibid, f3.

(6) -Louis Rinn: Op.cit, p 636.

وحسب ما يتبين لنا، فإنّ الثوارَ الذين كانوا يتوقعون نجدة السلطان العثماني،<sup>(1)</sup> قد طال انتظارهم لأنّ السلطان العثماني لم يجندهم؛ بل إنّ باي تونس، هو الآخر، قام بالتضييق على الثوار من خلال تشديد الرقابة على تحركات الأمير محي الدين، وكذلك مراقبة الحدود ومنع تدفق السلاح إلى الثوار من الحدود التونسية، فلم يكن لهم بُدٌّ سوى مواجهة القوات الفرنسية الزاحفة من الشمال ومن الغرب بما تبقى لديهم من عدة وعتاد، أو الانسحاب جنوباً في أعماق الصحراء.

### ثانياً: جبهة متليلي

لم تكن العمليات العسكرية الفرنسية مركزةً على جبهة ورقلة لوحدها، بل إنّ منطقةً متليلي الشعابنة قد نالت هي الأخرى حظّها من هجوم الطوابير الفرنسية التي كانت ترى في شعابنة برزقة رافداً مهمّاً لبوشوشة.

ففي شهر جانفي 1872 انطلقت الفرقة المتنقلة للجلفة من قصر الحيران بإسنادٍ من قُوم الأرباع بقيادة الملازم لخضر بن محمد، ودخلت متليلي يومَ 25 جانفي، لكنها اكتشفت أنّ أغلب الشعابنة كانوا قد انسحبوا جنوباً، وهذه هي "الحلّة الثالثة لمتليلي". وهذا ما أكدّه تقريرُ العقيد ميرشيز (Mirchez) إلى وزير الداخلية المؤرخ بيوم 1872/02/03؛ حيث أكّد أنّ الشعابنة خرجوا من قصر متليلي، قبل وصول الطابور الفرنسي، وهم مخيمون حوله.<sup>(2)</sup>

اتجهت القوات الفرنسية نحو الثوار الشعابنة، وهاجمت خيامهم في حاسي بن مخلوفة في وادي لفحل، ثم قامت بالاشتباك مع مجموعة أخرى في حاسي بركاوي، في واد ثغير، يوم 26 جانفي، ثم عادت تلك القوات لمتليلي يوم 30 جانفي.<sup>(3)</sup>

---

<sup>(1)</sup> - ذكر عبد الجليل التميمي أنّ الثوار كانوا يرسلون الصدر الأعظم عالي باشا تحت مسمى "الجمعية الخيرية الإسلامية" منذ مارس 1871، وقد أبدى رغبته في امدادهم بالسلاح والمال. لكن وفاة هذا الصدر؛ الذي كان يسعى بكل جد إلى مركزية السلطنة العثمانية بإعادة هيمنتها على ولايات شمال إفريقيا، في ديسمبر 1871 قد أحبطت مساعي مساعدة الثوار الجزائريين وحييت الآمال. للتوسع أكثر حول هذا الموضوع، أنظر:

عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص ص 103-120.

<sup>(2)</sup> -Le Colonel Mirchez: Op.cit, fl.

<sup>(3)</sup> -E. Mangin: Notes sur l'histoire de Laghouat/In/ R.A., V39, 1895, p 138.

وبعد أيام قليلة، خرج الملازم لخضر بن محمد من متليلي على رأس مجموعة من القوم وقناصة افريقيا إلى حاسي بركاوي. وبعد بلوغه معلومات عن وجود الثوار في حاسي زيرارة<sup>(1)</sup>؛ التي تبعد تسعة أيام من حاسي بركاوي في اتجاه المنيعه، اتجه إليهم والتقى بهم في شعبة الحميد، وكبدهم خسائر فادحة رغم صعوبة التضاريس، حسب ما ورد في التقارير العسكرية الفرنسية.<sup>(2)</sup>

استمر شعابنة متليلي في تمردهم طيلة النصف الأول من سنة 1872، ويبدو أنّ انكسار بوشوشة وتراجع زخم ثورة أولاد سيدي الشيخ؛ الذين بدأ زعماءها بالتواصل مع سلطات الاحتلال في سبيل أخذ الأمان، قد ترك شعابنة متليلي لوحدهم في مواجهة الفرنسيين، فأثروا هم أيضا أخذ الأمان وتوقيف ثورتهم في مقابل توقيف الاعمال العدائية من قبل الفرنسيين على منطقتهم. وهو ما جاء في تقرير العقيد ميرشيز، حين أكد: "أنّ الشعابنة المتمردين قد أظهروا رغبتهم في الاستسلام... ولتأكيد هذه الرغبة فإنّ سكان متليلي، وبسبب خشيتهم من هجمات جديدة من طرف القوات الفرنسية، قد تنقلوا إلى ميزاب وبعثوا بقطعان مواشيهم إلى شمال الأغواط."<sup>(3)</sup>

ورغم ذلك، وبهدف الضغط على شعابنة متليلي، للمساعدة في استسلامهم، فقد سيّر الجنرال دو غاليفيه (De Gallifier) في شهر أوت 1872 طابورا عسكريا دخل به إلى متليلي، ولاحق الثائرين المتمركزين في واد ثغير؛ مما اضطرهم إلى الانسحاب نحو المنيعه.<sup>(4)</sup>

وهكذا، فإنّ ضغط الحملات العسكرية، وانكسار زعماء الثورة قد أرغم شعابنة برزقة على مراسلة الحاكم العام للجزائر طالبين أخذ الأمان بدون شروط، وهو ما أكدته مراسلة رئيس المكتب

(1) - حاسي زيرارة Zirara: منطقة غنية بالأبار تقع بين متليلي والمنيعه؛ حيث تبعد شمال وشمال شرق المنيعه بحوالي 82 كلم، ويذكر كوناى أن أبار زيرارة هي منطقة رعوية مشتركة بين شعابنة متليلي، شعابنة المنيعه، وشعابنة ورقلة. وقد توقف عندها العياشي في رحلته سنة 1661، ووصف ماءها بأنه حلو. أنظر:

عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشيه، تح: سعيد الفضلي وسليمان القرشي، جزآن، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي 2006، ج1، ص 112. وأنظر أيضا:

A. Cauneille: les chaambas leur Nomadisme, p256.

وانظر الملحق رقم16.

(2) -E. Mangin: Op.cit, p 138.

(3) - Le Colonel Mirchez: Op.cit, f1.

(4) - P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, f 65.

العربي بالأغواط النقيب دوران إلى عدون بن باسعيد مؤرخة بيوم 2 نوفمبر 1872: " أبلغكم أنّ شعابنة متليلي الذين كانوا ثائرين، خاصة أحمد بن أحمد طلبوا مني الأمان (العفو)."

وقد أجاب الحاكم العام للجزائر على طلبهم بأنه سيقدم لهم كل الأمان لكن بشروط منها:

- طالبت الحكومة العامة القايد أحمد بن أحمد بدفع غرامة مالية قدرها 500 فرنك يشترك في دفعها معه شقيقاه، بسبب الارتباك والفوضى الذي سببوه للحكومة بتحالفهم مع بوشوشة.
  - أما بالنسبة لبقية الثائرين، فقد ألزمتهم الدولة بدفع غرامة مالية قدرها 1000 فرنك.
  - من الضروري دفع هذه المبالغ في نهاية شهر رمضان من السنة ذاتها.
- عندما يتم دفع كل هذه الغرامات، يمكن للثوار العودة بسلام إلى متليلي، ولا أحد يستطيع أن يعارض عودتهم.<sup>(1)</sup>

ورغم ما خلفته الحملات العسكرية ضد منطقتهم من خسائر مادية وبشرية، إلا أنّ شعابنة متليلي، رضخوا لشروط الحاكم العام وقبلوا بالأمر الواقع، ولم يطالبوا، حسب ما بين أيدينا من وثائق، بأيّ شيء في سبيل أخذ الأمان.

لكن ما ان استقرت الأوضاع الأمنية حتى بدأوا يطالبون بإطلاق سراح أسراهم، وهو ما ذكره التاجر بول صوليه؛ حين أشار بأنّ شعابنة متليلي قد أرسلوا مبعوثين عنهم إلى مدينة الجزائر، في سبتمبر 1873، لمطالبة الحاكم العام بإطلاق سراح ستة من أبنائهم كانوا محتجزين لدى سلطات الاحتلال بسبب انتمائهم إلى الثوار، وأنّ الحاكم العام قد استجاب لطلبهم ووعدهم بالإفراج عنهم مستقبلا. وبرهن صوليه على استحابة الوالي العام لطلبهم بأنه التقى بأحد هؤلاء الثائرين في متليلي حين دخلها في فيفري 1874؛ وهو الشيخ بن سويلم.<sup>(2)</sup>

وبعد الهجوم الذي تعرضت له زمالة بوشوشة في عين صالح، راسل شعابنة متليلي آغا ورقلة مطالبين باسترجاع إبلهم التي كانت في زمالة بوشوشة، والتي ادعوا بأنه نهبها منهم من قبل. ورغم أنّ قايد متليلي سليمان بن مسعود كان هو المتصدّر لهذه الدعوى، إلا أنّ الجنرال دو ليفيردو لم

(1) - Blidi Brahim Ben Youb: Op.cit, p 13.

(2) -Paul Solleillet: Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, p 46.

يستحب لطلبهم؛ متهماً شعانية متليلي بأنهم كانوا متواطئين مع الثوار.<sup>(1)</sup> وفي هذا دلالة أخرى على أنّ شعانية متليلي كانوا من أهم الداعمين لبوشوشة في ثورته.

وبخضوع شعانية متليلي للشروط الفرنسية عاد الهدوء النسبي إلى منطقة شمال الصحراء. ولتثبيت هذا الهدوء، فقد بدأت سلطات الاحتلال في إجراء بعض التعديلات الإدارية، والتي ستساعد تلك السلطات، حسب رؤيتها من التحكم أكثر في المنطقة؛ فبعد الجولة التفتيشية التي قام بها الجنرال دو لوفيردو القائد العسكري لشعبة المدينة في ربيع سنة 1875، قام بترقية قائد متليلي سليمان بن مسعود؛ الذي قدم كثيرا من الخدمات للفرنسيين في أحداث السنوات الأخيرة، وأضحى قائدا موحدا لشعانية المنيعه ومتليلي معا. هاتان المنطقتان اللتان أُخرجتا من آغاوية ورقلة وضمّتا إلى الأغواط.<sup>(2)</sup> ورغم كل ذلك فقد بقيت الصحراء تحت تأثير بعض المجموعات المسلحة، التي شكلت بعض الأرباك لسلطات الاحتلال، عرفت بالمداقنات.

### ثالثا: المداقنات

ظهرت جماعة المداقنات، أو المدقنات، بعد القضاء على ثورة بوشوشة، ويبدو أنّ نواة هذه الجماعة تكونت من أنصاره الذين انسحبوا معه جنوبا نحو عين صالح، ويؤيد هذا لوشاتولييه بقوله: " بعد القبض على بوشوشة بداية سنة 1874 قام مجموعة من الشعانية انصاره في البداية والذين بقوا معه إلى آخر أيامه بتشكيل فرقة من قطاع الطرق عرفت فيما بعد بالمداقنات."<sup>(3)</sup> ويضيف لويس رين، أن هذه الجماعة قامت بقطع كل الصحراء من وادي درعة إلى فزان طيلة سنوات 1874-1883.<sup>(4)</sup>

ويذكر فيلار أنّ المدقنات هي نسبة إلى تارقي من الهقار هاجر مع أولاده السبعة، بسبب الظروف المعيشية الصعبة، إلى ورقلة، وقد ابتدأ بصيد الغزال لينتقل إلى مرحلة الغزو والسطو في الصحراء، فقد قام سنة 1863 بالسطو على ثلاثين جملا في المنيعه ملكا لأولاد زيد، ولما انتفض

(1) -Le General De Loverdo: Un sujet de Chaamba de Metlili, Rapport à Mr Le Gouverneur General d'Alger, N 1298, Médéa 06/11/1873, ANOM 2H84Gmm, f2.

(2) -E. Mangin: Op.cit, p 139.

(3) -Le Chatelier: Les Medaganate/In/ R.A., V30, 1886, p 39.

(4) -Louis Rinn: Op.cit, p 663.

بوشوشة انضموا له، ولما قُبض عليه أكملت هذه المجموعة بمن بقي من أنصار بوشوشة أعمال الغزو والسطو.<sup>(1)</sup>

بينما يذكر تقرير الحكومة العامة للجزائر بأن المدافقات اسم أطلق على مجموعة من المتمردين تشكلت من خليط غير متجانس من القبائل الصحراوية؛ بحيث يضم عناصر من التوارق والشعانية، المخادمة، بني ثور، أولاد سيدي الشيخ، وغيرها. هذه المجموعة الذين تعدادها مائة خيمة، كان له جماعة وكبار. وكانت قاعدة عملياتهم في عين صالح؛ أين يقومون ببيع الغنائم ويجمعون إمداداتهم. وكان نشاطهم يعتمد على القيام بغارات في الصحراء، وقد ظهرت عدة مرات في جنوب ورقلة. وفي شهر أبريل 1889، دُمّرت تماما تقريبا من طرف قبيلة في الساحل المغربي حين قاموا بالإغارة عليها؛ حيث أنّ 70 فردا من المدافقات تم قتلهم في هذه الموقعة، ومن نجا منهم بعد ذلك فقد تفرقوا.<sup>(2)</sup>

بينما يرى أمات بأنّ هناك مجموعة تجوب الصحراء دوريا تشكلت من متمردي الشعانية والمخادمة وبني ثور انضموا إلى مجموعة من التوارق وأولاد سيدي الشيخ تتكون من سبعين إلى ثمانين خيمة، لهم جماعة وكبار. مركز عملياتهم عين صالح أين يقومون ببيع غنائمهم ومنهوباتهم، يعرفون عادة باسم المدافقات نسبة إلى قبيلة تسمى بهذا الاسم عند توارق الهقار. إن أولاد سيدي الشيخ، أولاد لشهب أولاد زيد وأولاد بوسعيد هي أهم الفصائل الموجودة في المدافقات.... ويضيف بأن نشاط المدافقات يمتد شمالا حتى تقورت وميزاب وتيلغمت.<sup>(3)</sup>

### لكن ما علاقة شعانية متليلي بهذه الجماعة؟

إنّ شحّ المصادر التي تتحدث عن هذه الجماعة، خاصة المصادر المحلية، لا يمكّننا من تبيين الموقف الحقيقي لشعانية متليلي منها، كما لا يمكّننا أيضاً من بلورة تصوّر واضح حول هوية هذه المجموعة؛ إن كانت مجموعة من المغامرين وقطاع طرق، أو كانت بقية لأصحاب بوشوشة الذين انتظموا في هذه المجموعة للقيام بأعمال انتقامية ضد الأهداف الفرنسية. ويبدو من خلال قراءتنا

(1) -P. Vellard: Op.cit, f f 85-86.

(2) - Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p438.

(3) -Charles Amat: Le M'zab et les M'zabites, p40.

للمصادر المتوفرة لدينا؛ خاصة لوشاتولييه، أنّ أغلب شعابنة متليلي لم يكونوا طرفاً في هذه الجماعة، بل إنّ هذه الجماعة كانت تُغير على مضارب شعابنة متليلي، في بعض المناسبات.

ويورد لنا لوشاتولييه بعض تلك الصدمات التي حدثت بين شعابنة متليلي والمداقنات، منها تلك التي وقعت في جويلية 1875؛ فقد ذكر أنّ سالم بن شرير أحد زعماء المداقنات بعد رجوعه إلى عين صالح لبيع اللحم المجفف، وجد مجموعةً من التوارق وأولاد سيدي الشيخ تتجهز للقيام بعملية غزو لمنطقة ورقلة فقرر المشاركة في هذه الحملة؛ التي خرجت من عين صالح يوم 1 جويلية 1875 باتجاه ورقلة عبر فقارة الزوى ... ولما اقتربت الحملة من ورقلة اكتشفت أنّ المنطقة جرداء ولا فائدة كبيرة ترجى من غزوها، فحولوا الاتجاه نحو متليلي يوم 16 جويلية.<sup>(1)</sup>

في تلك الفترة، كانت حوالي ثلاثين خيمةً تابعة لأولاد علوش، مستقرين في النومرات. كان الرجال في العطف، ولم يكن في المخيم سوى رجلين إضافة لرئيس المخيم الشيخ بن الطاهر، واثنين آخرين يقومان بسقي الجمال في آبار النومرات. بعد رؤية أفراد العصابة قام الرجلان بحمل السلاح والتجهز للدفاع، بينما قام الشيخ بن الطاهر بإرسال طفلين عمرهما أربعة عشر سنة؛ واحدٍ إلى متليلي والآخر إلى العطف، لأخطار شعابنة متليلي بتعرض المخيم للعدوان.<sup>(2)</sup>

ولما بلغ الانذار إلى متليلي، خرجت فرق النجدة مكونةً من ثلاثين مهرياً وخمسة عشر فارساً تحت قيادة القائدين أحمد بن احمد وحمو بن مسعود، ولاحقوا فرقة المداقنات وزعيمهم بن شرير حتى قبضوا عليهم في واد تغير، وراسلهم القيادة العسكرية في الأغواط لتنظر في شأنهم.<sup>(3)</sup> ويذكر فيلار أنّ هذه المجموعة كان أغلب أفرادها من التوارق.<sup>(4)</sup>

وبعد يومين من مغادرة زباشة، خلال شهر أوت 1878م، التقى المداقنات مع مخيم متكون من ستة خيم تابع لشعابنة برزقة كانوا في طريق عودتهم إلى متليلي بعد إقامة طويلة في الجنوب الوهراني. كان زعيم هذا المخيم هو الشيخ بن سويلم، ويبدو أنه كان وحيداً إذ أن رجال

---

(1) -Le Chatelier: Les Medaganate, p 100.

(2) -Ibid, p 101.

(3) -Ibid, p 245.

(4) -P. Vellard: Op.cit, f 98.

المخيم ذهبوا لجلب القمح من جبل عمور ... ولهذا فقد كان صيدا سهلا فقامت عصابة المداقنات بالهجوم عليه ونهبه.<sup>(1)</sup>

وتبقى مجموعة المداقنات يُلْفُها الكثير من الغموض في ظل غياب مصادر أخرى؛ خاصة المحلية منها، لكشف تاريخ وأهداف هذه المجموعات المسلحة.

وبالوصول إلى مشارف ثمانينات القرن التاسع عشر ينبغي علينا طرح التساؤل التالي: لماذا لم تنجح سلطات الاحتلال في عقد معاهدة حماية مع الشعانية كما عقدت معاهدات من قبل مع بني ميزاب سنة 1853 ومع التوارق سنة 1862؟

إنّ المتأمل في تاريخ مقاومة الشعانية، وفي جغرافية منطقتهم، وفي اتساع نفوذهم، لي طرح هذا التساؤل بإلحاح شديد، ذلك أنّ عقد معاهدة معهم سيمنح سلطات الاحتلال، بالتأكيد، من توفير الكثير من الجهد والوقت في سبيل السيطرة على الصحراء الجزائرية.

ولم نجد في الوثائق ولا حتى في المصادر المحلية أو الاجنبية أية مبادرة من قبيل الشعانية، ولا حتى من قبيل قوات الاحتلال في هذا الاتجاه، ويبدو أنّ السلطات الفرنسية اكتشفت، حسب رأينا، أنّ طرح مبادرة من هذا القبيل لن تُتَوَّج بالنجاح لعدة أسباب منها:

1- سيطرة الطرق الصوفية؛ خاصة الطريقة الشيخية، على التوجه السياسي لدى شعانية متليلي، كما أشرنا إلى ذلك في الفصول والمباحث السابقة. ولذلك عملت سلطات الاحتلال على احتواء زعماء هذه الطرق ليتمكنوا، حسب ظنّها، من لجم الشعانية وتوجيههم الاتجاه الذي يخدم مصالحها، لذلك وجدنا التقارير والمصادر الفرنسية تصف الشعانية بالعبيد والتبّع لأولاد سيدي الشيخ، ولغيرهم من الطرق الصوفية، وقد عملت سلطات الاحتلال بكل جدية على تعزيز ولائ الشعانية لأولاد سيدي الشيخ.

لكنّها اكتشفت، أخيرا، أنّ هؤلاء "العبيد" لا يجدون غضاضةً في التمرد على "أسيادهم"؛ خاصةً عندما قرر زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراكة الخضوع للفرنسيين في نهاية سعينات القرن

(1) -Le Chatelier: Op.cit, p 338.

التاسع عشر، فإذا بالشعابنة يغيرون وجهتهم نحو زعيم آخر لم يكن معروفا لديهم من قبل، وهو بوعمامة، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل اللاحق.

2- كما أنّ طريقة تسيير القبيلة، شكّلت هاجسا آخر للفرنسيين؛ فرغم وجود الأعيان والقياد لدى شعابنة متليلي، إلا أنّ سَطوتهم لم تكن كبيرةً ليقنعوا أعراش الشعابنة وفرّقها المختلفة بالتخلي عن استقلالهم الذي توارثوه لقرون عديدة، ويخضعوا للفرنسيين ولو عبر معاهدة ثنائية. وهذا الشكل من التسيير هو الذي مكّن الشعابنة من المحافظة على استقلالهم، وحرّيتهم في اتخاذ قرارات تمّ مصيرهم وسُبل عيشهم في هذه الفيافي الخالية، وهو الذي أعطى أيضا هامش ديمقراطية وشفافية في تسيير أمور القبيلة حالت دون بروز ديكتاتورية فردية أو عُروشية.

وللتغلب على هذا الهاجس، فقد حاولت سلطات الاحتلال التدخّل في إدارة القبيلة من خلال استحداث منصب "قائد القيادة". ورغم اغداقها الكثير من الامتيازات والسلطات على قائد القيادة، إلا أنّها لم تنجح، في كثير من الأحيان، في جعله موظفاً مخلصاً لها، فكان لا يستطيع البتّ في القرارات الكبيرة إلا بالرجوع إلى قياد العروش وإلى جماعة العشرة، وإذا حاول الاستفراد بقرار أو رأي يتعارض مع مصالح الشعابنة وقناعاتهم، فسيكون عرضة للتمرد من قبلهم، وقد رأينا أمثلة على ذلك في الفصل السابق.

3- إضافة إلى هذا وذاك، فإنّ الترابط القبلي والتوحد في مواجهة الخطر الأجنبي لدى كلّ الشعابنة المشكّلين للكونفيدريالية، قد جعل من الصعوبة عقد معاهدة معهم جميعا. فلو كان هناك تنافس بين قبائل الشعابنة، أو صراعاً في الصفوف، لربما أدى ذلك إلى تمكّن الفرنسيين من عقد معاهدة واتفاق مع فريق أو صف منهم.

## المبحث الثالث:

### مقاومة النشاط التبشيري في المنطقة.

لم تقتصر أهدافُ الفرنسيين من غزو الجزائر على الجانبين السياسي والاقتصادي فحسب، بل كان الجانب الديني الصليبي بارزاً؛ ذلك أنّ الجزائر كان تعتبر رأسَ الحربة الإسلامية في مواجهة دول غرب أوروبا المتوسطة المسيحية خلال العهد العثماني، وكانت فرنسا البوربونية، حينها، تزاحم إسبانيا الهابسبورغية في الاستحواذ على العرش البابوي، متخذةً من الشرعية التاريخية الصليبية دليلاً على تفوقها في حرب المسلمين؛ منذ تمكن شارل مارتل (Charles Martel) الفرنسي من إيقاف زحف جيوش الفتح الإسلامي نحو أوروبا أمام أسوار بواتيه (Poitiers) سنة 732م/114هـ، وليس أخيراً بتلك الحملات الصليبية التي جهزتها الكنيسة الكاثوليكية على الشرق خلال القرون الوسطى، والتي كان يغلب عليها الطابع الفرنسي.

لذلك، عندما كان الجنود الفرنسيون منهمكين في غزو القرى والمداشر الجزائرية، كان رجال الدين المسيحي منهمكين في تعطيل المساجد وبناء الكنائس. ورغم مرور الحركة التبشيرية في الجزائر بعدة مراحلٍ خلال القرن التاسع عشر، إلا أنّ مرحلة الكاردينال لافيغري عرفت قفزةً نوعيةً بسبب الظروف الاجتماعية القاسية التي مرّت بها الجزائر غداة وصول لافيغري، من جهة، وأيضاً بسبب شخصية لافيغري الذي كان متحمساً وجريئاً في سعيه إلى نشر المسيحية في الجزائر، من جهة أخرى.

ولم تكن الحركة التنصيرية مقتصرةً على شمال الجزائر فحسب، بل إنّ "بركات" رجال الدين المسيحي كانت ترافق تحركات الجنود الفرنسيين في سعيهم لغزو كل مناطق القطر الجزائري، ولما وصلت الطواير الفرنسية شمال الصحراء كانت طلائع المبشرين تسابقهم الحطى، مستكشفين تارة، ومتجسسين تارة أخرى، في إطار سعيهم إلى إيصال المسيحية إلى الصحراء الكبرى، وإلى السودان الغربي.

فكيف كانت بدايات النشاط التبشيري في المنطقة؟ وما موقف شعابة متليبي منه؟

## أولاً: مركز الآباء البيض بمتليلي

بعد قدوم الكاردينال لافيغري (Le Cardinal Lavigerie) إلى الجزائر سنة 1867، كان يرى مستقبل المسيحية أبعد من ضفاف المتوسط، وصرح بذلك قائلاً: " أن الجزائر ما هي إلا بوابة مفتوحة من طرف الرب الحكيم على قارة من المتوحشين تضم أكثر من 200 مليون انسان... فيألى هؤلاء يجب نقل التعاليم الكاثوليكية"<sup>(1)</sup> لذلك بدأ يفكر في قطع صحراء الجزائر للوصول إلى إفريقيا. كان الكاردينال لافيغري يحلم بنشر الكاثوليكية في إفريقيا عن طريق الصحراء فأسس الآباء البيض، ويذكر فويلو (Vuillot) أن أول مركز للآباء البيض خارج التجمعات الأوربية كان في متليلي سنة 1874.<sup>(2)</sup>

فما هي ظروف تأسيس مركز متليلي؟ وكيف كان نشاطه خلال القرن 19؟

### 1- الكاردينال لافيغري ومنظمة الآباء البيض:

ولد لافيغري في مدينة بايون (Byonne) الفرنسية سنة 1825، وتدرّج في سلك التعليم الكنسي والارشاد الكاثوليكي إلى أن أصبح كاردينالاً، وعمل أستاذاً للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس.<sup>(3)</sup> وقد شارك في توزيع المساعدات على النصارى أثناء أحداث سورية سنة 1860، كما عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق، حتى قيل إن الحكومة الفرنسية عجزت عن الحد من نشاطه الديني هناك، وقد كوّن مع غيره سلسلة من المدارس تسمى "مدارس الشرق"، وظلّ على صلة بها حتى بعد أن أصبح أسقفاً للجزائر.<sup>(4)</sup>

وقد عرفه مكماهون عندما كان قائداً عسكرياً لمنطقة نانسي (Nancy)، أين كان لافيغري قساً لكنيستها، وربط معه علاقات ودية. لذلك اقترح ماكماهون على حكومة نابليون استخدام لافيغري إلى الجزائر لرعاية شؤون الكنيسة، وقد ووافق وزير الحربية على اقتراح مكماهون

(1) -Diocèse de Laghouat: Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 1, p 02.

(2) -Paul Vuillot: Op.cit, p 140.

(3) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 119.

(4) -Baunard Mgr: Le Cardinal Lavigerie, 2 Tomes, Librairie Ch. Poussielgue, Paris 1896, T1, pp 50-61.

دون تفكير في العواقب، أما وزير الأديان ونابليون نفسه فقد أبدى تحفظهما على اسم لافيغري.<sup>(1)</sup>

وصل لافيغري إلى الجزائر أثناء المجاعة المشهورة التي حلت بها. ووجد أسقفية الجزائر تضم 83 فرعا، و104 من دعاة التنصير. وهم ليسوا كهنة من حيث العنوان. وكانوا يخضعون خضوعا تاما لإرادة لافيغري، وكان بعضهم مطرودا من فرعه بفرنسا، وفيهم من كان يكثر من شرب الخمر. وتساءل لافيغري منذ البداية: "كيف تظل فرنسا في الجزائر أربعين سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين؟" ومنذ البداية أيضا شعر مكماهون بالحرص مع لافيغري، بعد أن أصبح يتدخل في شؤون الإدارة والعلاقات مع المسلمين، كما أن زوجة مكماهون كانت هي المتولية للإشراف على الأعمال الخيرية، فأراد لافيغري الاستيلاء على ما بيدها فرفضت فهددها بالطرده من الكنيسة.<sup>(2)</sup>

انطلق شارل لافيغري في مشروعه التنصيري - الاستعماري الضخم تسانده البابوية والجمعيات التي يسمونها الخيرية، وكذلك السلطات التي كانت تتغاضى عنه وتحميه وتقدم إليه المساعدات المادية والمعنوية، ولا سيما بعد حرب 1870. فقد أنشأ لافيغري "مؤسسة القديس اوغسطين لبعث الدين المسيحي". وكان الهدف منها نشر النصرانية بين المسلمين. وقد جاءه تأييد من البابا على ذلك، فركز لافيغري على منطقة القبائل التي ادعى بأنها أهلها اتصلوا به لنشر المسيحية بينهم،<sup>(3)</sup> كما أنشأ منظمة الآباء البيض؛ والتي ساهمت هي أخرى بشكل كبير في أعماله التنصيرية ليس في منطقة القبائل فحسب بل حتى في الصحراء.

والآباء البيض (Les Pères Blancs) هي منظمة تبشيرية بابوية قام الكاردينال لافيغري بتأسيسها غداة مجاعة 1867 في الجزائر، وقد أُطلق عليهم في بادئ الأمر اسم مبعوثو الجزائر (Les Missionnaires d'Alger) نسبة إلى المدينة التي شهدت ميلادَ منظمتهم. أما لماذا أُطلق عليهم "الآباء البيض" فلأنهم كانوا يرتدون سترَةً بيضاءً تتكون من قندورة وبرنوس، وهو

(1) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج6، ص119.

(2) -Bauard Mgr: Op.cit, T1, p 424.

(3) - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج6، ص121.

اللباس واللون المفضلان لدى سكان الجزائر المسلمين في تلك الفترة، كما كانوا يحرصون على إطلاق لحاهم لأنّ أغلب رجال شمال افريقيا كانوا يفعلون ذلك.<sup>(1)</sup>

ولم تقتصر عضوية هذه المنظمة المسيحية على الرجال فقط بل ضمّ إليهم لافيغيري العنصر النسائي فأسس فرع "الأخوات البيض" سنة 1869، وذلك بهدف تغلغل هذه المنظمة في أوساط المجتمع الجزائري باستهداف الأوساط النسائية من خلال فتح مدارس ابتدائية ومهنية نسائية، والاهتمام بشؤونهن العلاجية والنفسية. والغرض من ذلك هو التأثير على ثقافتهن وعاداتهن وتقاليدهن. لذلك؛ فرغم أنّ المنظمة معروفة بالآباء البيض إلا أنّ هذا الاسم يدل على الأخوات أيضا.<sup>(2)</sup>

نشطت هذه المنظمة في مختلف مناطق القطر الجزائري؛ خاصة في منطقة القبائل وفي الصحراء. وقد استغلت ظروف الجماعة التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك، فقامت بإيواء الكثير من الأطفال اليتامى في منطقة القبائل.<sup>(3)</sup>

كما توسّع نشاط الآباء البيض فيما بعد ليشمل تونس، وحتى مناطق افريقيا جنوب الصحراء.

## 2- نشاط الآباء البيض في الصحراء:

استهل الكاردينال لافيغيري نشاطه التبشيري في الصحراء بإرسال ثلاثة من الأخوات البيض نحو الأغواط في ديسمبر سنة 1870. إلا أنّ سرعان ما رجعن بسبب عدم قدرتهن على التأقلم مع قساوة الطبيعة، ثم أرسلت بعثة أخرى من الآباء اليسوعيين وهما الأبوان روشي (Rocher) وأوليفي (Olivier) اللذان كانا يتقنان اللغة العربية، وقد حددت أهداف هذه الحملة من خلال تمكين المستوطنين والعائلات الأوربية من ممارسة شعائرهم الدينية من جهة، ومن جهة أخرى محاولة

(1) -Joseph Variot: Les pères blancs ou Missionnaires d'Alger vingt ans d'apostolat, Société Saint Augustin, Lille 1887, pp 2-4.

(2) - عمر داود: الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أمودجا مقارنة سوسيو- تاريخية، دار نزهة الألباب، الجزائر 2016، ص ص 35-36.

(3) -Joseph Variot: op.cit, p 27.

الاحتكاك بالقبائل العربية الجزائرية بالجنوب، وتحضير انتصاب مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى.<sup>(1)</sup>

وبعد الزيارة التي قام بها لافيغري إلى البابا بيبي التاسع (Pie IX)، أصدر تعليمًا بتنصيب الأب شارموتان رئيسا لمركز الأغواط والذي أصبح يشكل مركزا رئيسيا لبداية إرسالية تبشيرية واسعة نحو السودان وبلاد إفريقيا السوداء.<sup>(2)</sup>

وهكذا توالى تأسيس مراكز الآباء البيض في الصحراء، فبعد تأسيس مركز الأغواط في 17 أكتوبر 1872، أسس بعد ذلك مركز بسكرة في 3 مارس 1873، ثم مركز البيض في جويلية من نفس السنة.<sup>(3)</sup>

### 3- دخول الآباء البيض إلى المنطقة:

إنّ دخول المبشرين ورجال الدين المسيحي إلى المنطقة كان متقدما وسابقا لتأسيس مركز الأغواط؛ فتذكر إحدى الأخوات البيض في مذكراتها أنّ أولى محاولات التواجد المسيحي بغارداية تعود إلى سنة 1852؛ حين كانوا في بادئ الأمر يتبعون الجنود بدعوى العمل كمرشدين دينيين لهم، غير أنهم سرعان ما بدأوا يسبقون الجنود، ويكتشفون مناطق لم تطأها الحملات العسكرية.<sup>(4)</sup>

لكن بعد تأسيس مركز الأغواط بدأ نشاطهم يتزايد، ويكتسي طابع التنظيم والاستقرار وليس الاستكشاف فقط؛ ففي حريف 1872 انطلق الأب شارموتان (Charmetant) من مركز الأغواط نحو ميزاب... وتحدث في تقاريره التي كتبها عن هذه الرحلة التي دامت شهرا كاملا عن كرم الأهالي، وحسن ضيافتهم، ومداومتهم على أداء الصلوات، والتسبيح بالسبحات، وعقدتهم بمجالس الشعر تحت الخيام والمناظرات الأدبية.<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> - مزيان سعدي: النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري وأساليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892، دار سيدي خالد للكتاب، الجزائر، 2009، ص 318.

<sup>(2)</sup> - نفسه، ص 319.

<sup>(3)</sup> -P. Vellard: Op.cit, f 95.

<sup>(4)</sup> - عمر داود: المرجع السابق، ص 123.

<sup>(5)</sup> - مزيان سعدي: المرجع السابق، ص 320.

وربط شارموتان علاقاتٍ مع الشعانبة الذين عاملوه وفق مبدأ التسامح الديني الاسلامي، كما أنه حاول أن يظهرَ أمامهم بمظهر الزهد وخدمة المجتمع؛ ويذكر شارموتان أنه أثناء وجوده بالمنطقة اتصل به قايد متليلي سليمان بن مسعود، وطلب منه مداواة بعض المرضى. ولما أكمل عمله أعطاه قايد متليلي بعض النقود الذهبية وترجاه أن يقبلها تعويضاً للخدمة التي قدمها، إلا أنه رفض ذلك قائلاً له: "نحن ما نقوم به هو بالمجان ونبغي الثواب من عند الله"،<sup>(1)</sup> وهذا ما أثر في شعانبة متليلي الذين استقبلوا هؤلاء الآباء بكل حفاوة وترجّوهم أن يبقوا بينهم، حتى أن أحد أعيان متليلي قال لشارموتان: أيها المورابو<sup>(2)</sup> يمكنك المكوث بيننا، اختر أيّ مكان من الواحة وسأبني لك بيتاً من مالي الخاص. كما تعهد له سي لعلا بالحماية في أيّ منطقة من الصحراء يحل بها.<sup>(3)</sup>

وبعد استعراضه لتقريره أمام الكاردينال لافيغري؛ أعاد لافيغري إرسال شارموتان إلى الأغواط بصفته كاهناً رفقة اثنين من الآباء البيض؛ وهما الأب بيار بوجو<sup>(4)</sup> ( Pierre Boujaud) وألفريد بولميه (Alfred Paulmier)، وقد حدد لهما هدفاً أساسياً من بعثتهما وهي الوصول إلى بسكرة، كما أرسل الأب ريتشارد (Richard) نحو توقرت، والأب باسكال (Pascal) نحو البيض كان ذلك سنتي 1872 و1873.<sup>(5)</sup>

استعمل الآباء البيض نفس الأساليب المستعملة في نشاطهم التبشيري بمنطقة القبائل بأولوية كسب الثقة وريح القلوب بفتح الآباء مستوصفاتٍ لعلاج الأهالي بالمجان، حتى بلغ عدد المعالجين

---

(1) -Félix Charmetant: Les Peuplades kabyles et les tribus nomades du Sahara, Des Presses à Vapeur de " La Minerve", Montréal 1875, p 49.

(2) - مورابو هي كلمة مستخدمة في الدارجة المحلية أصلها من الكلمة الفرنسية Morabot والتي تعني القديس أو الرجل الصالح.

(3) -Baunard Mgr: Op.cit, T1, p 388.

(4) - وجدنا اختلافاً في اسم هذا الأب في المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فبعضها تذكره باسم بوشارد وأخرى بوشان... لكننا اعتمدنا على ما ورد في الوثائق الأرشيفية وهو بوجو.

(5) - مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 321.

400 مريض سنويا مما أثر في سكان الصحراء.<sup>(1)</sup> وقد عاش الآباء بين الشعابنة والميزابيين والتوارق ثلاث سنوات تمكنوا من ربط علاقات ودية معهم.<sup>(2)</sup>

وفي 10 نوفمبر 1872 قدم إلى متليلي الأبوان شارموتان وفالكون (Fr. Falcon S. J.) وقد تطوع لخدمتهما رجلٌ من متليلي يدعى لروي، ويبدو أنه كان يتجسس عليهما لصالح أولاد سيدي الشيخ، لأنهما ما إن وصلا إلى المنيعه حتى علم بهما سي لعلا؛ الذي أوفد ابن أخيه سي الدين، فرحب بهما واستضافهما وأدخلهما على سي لعلا. فقام الأبوان بتقديم خدماتٍ علاجيةٍ لبعض المرضى. وقد أخبرهما سي لعلا أنّ لروي الذي رافقهما منذ خروجهما من الأغواط هو من رجاله، وأنه سيرافقهما في جولتهما في الصحراء وإلى السودان؛ شريطة عدم جلب الذهب والفضة معهما من تلك المناطق.<sup>(3)</sup>

كما عبّر لهما عن امتعاضه وشكواه من الحكومة الفرنسية، رغم الخدمات التي قدمتها عائلة أولاد سيدي الشيخ لها، منذ معركة اسلي (Isly) حين عين بيليسييه (Pelissier) أخاه سي حمزة خليفة على المناطق الصحراوية، واستطرد قائلاً "لكن الشعابنة قاموا بقتل بوبريتير وألصقوا الجريمة بأولاد سيدي الشيخ، ومنذ ذلك التاريخ اندلع العنف بيننا." وقد وعده شارموتان بأنه إذا تنقل معه إلى مدينة الجزائر سيقوم باستقباله ويدخله إلى الحاكم العام. إلا أنّ سي لعلا أجابه بأن صحته لا تسمح له بالسفر إلى مدينة الجزائر، لكنه سيبعث معه ابن أخيه سي الدين الذي تنقل مع شارموتان إلى الأغواط ومنها إلى الجزائر؛ أين استقبل بحفاوة.<sup>(4)</sup>

قبل القيام بهذه الرحلة إلى مجاهيل الصحراء، يجب الحصول على إذن من الكاردينال لافيجري، لذلك؛ فقد كتب الأب بولميه رسالة مستعجلة وأرسلها مع لروي إلى مركز الأغواط ليقوموا بإبراقها بالتلغراف من هناك إلى أسقفية الجزائر. لكن جاء الجواب بأنه يجب عليهم العودة؛ لذلك فإنّ الأب شارموتان بعد رجوعه الأغواط في 10 ديسمبر، أكمل السير بدون تأخير نحو

---

(1) - نفسه، ص 322.

(2) - نفسه.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 72bis.

(4) -Ibid, f 73bis.

مدينة الجزائر لاطلاع الكاردينال لافيغري على التسهيلات التي وجدها الآباء في متليلي وفي المنية<sup>(1)</sup>.

#### 4- رحلة صوليه وتأسيس مركز متليلي:

كان بول صوليه (Paul Soleillet) منذ صغره شغوفاً بالسفار والرحلات، فقد زار الجزائر سنتي 1865 و1866، وذهب إلى تونس وامتهن تجارة السجاد لكنه أفلس. فقرر الدخول إلى الجيش، حيث انتسب إلى فرقة المشاة في الجيش الفرنسي العامل بالجزائر سنة 1870، وتحصل على رتبة عريف<sup>(2)</sup>.

كان يحلم بأن يتم غزو صحراء الجزائر وأفريقيا ما وراء الصحراء، وبما أنه كان متأثراً بمستكشفي الصحراء الذين سبقوه مثل هاينريش بارث، كاييه، ودوفرييه، فقد تقدم بطلب إلى غرفة التجارة بالجزائر لتمويل رحلته لاكتشاف الطريق التجاري من الجزائر إلى عين صالح مروراً بالأغواط، ميزاب، والمنية. فوافقت الغرفة على طلبه في شهر أفريل سنة 1872، وبما أنّ هذه الرحلة تتطلب تمويلاً، فقد خصص المجلس العام للجزائر مبلغاً مالياً قدر بـ 4000 فرنك، كما أنّ وزارة التعليم العام قد كلفت صوليه بمهمة علمية؛ تتمثل في وضع دراسة جيومناخية للمناطق التي يمر بها خلال هذه الرحلة، وقد زودته بالموارد المالية المطلوبة لهذه الدراسة<sup>(3)</sup>.

ويذكر صوليه أنه مكث في الأغواط مدةً سبعة أشهر؛ من سبتمبر 1872 إلى غاية أفريل 1873، يدرس فيها السبل الممكنة للوصول إلى عين صالح، فتعرّف، خلال هذه الفترة، على عدة شخصيات نافذة في الصحراء؛ منها على وجه الخصوص القايد أحمد بن أحمد الشلطي صاحب النفوذ الواسع في قبيلة شعانية متليلي، وحتى في الصحراء الكبرى من متليلي إلى غاية عين صالح وتوات، وقد كان الترجمان في المكتب العربي بالأغواط، المدعو محمد بن أحمد بن لروي من أولاد بلعيون هو السبب في تعريف صوليه بأحمد بن أحمد وربط علاقات صداقة معه ومع ابنه معمر<sup>(4)</sup>.

(1) -Ibidem.

(2) -Narcisse Faucon: Le Livre d'Or de l'Algérie, Challamel et C<sup>ie</sup> Éditeurs, Paris 1889, pp 580-581.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 73.

(4) -Paul Solleillet: Op.cit, pp 15-16.

بعد أن جمع صولبييه المعلومات من الأهالي ومن ضباط المكتب العربي بالأغواط، وتمكن من ربط علاقاتٍ مع أعيان بني مزاب والشعابنة، وتوصل إلى امكانية تنظيم الرحلة نحو عين صالح، عاد إلى مدينة الجزائر لاطلاع المسؤولين هناك على المستجدات، وتحصل على موافقة السلطات الفرنسية، وعلى دعم الكثير من تجار الغرفة الجزائرية وغيرها من الغرف التجارية الفرنسية، انطلق صولبييه من مدينة الجزائر يوم 29 ديسمبر 1873.<sup>(1)</sup>

وصل صولبييه إلى غارداية يوم 30 جانفي 1874، ومكث فيها أربعة أيام، وعندما كان عند عدون بن باسعيد في بني يزقن التقى بمعمر بن أحمد ابن القايد أحمد بن احمد الذي أخبره بأن أباه غائب عن متليلي في مهمة في الصحراء، وأنه سيعود بعد خمسة أيام، فانتقل صولبييه رفقة معمر وبعض مرافقي صولبييه من الأغواط ومن بني ميزاب إلى متليلي؛ التي دخلها ظهيرةً يوم 3 فيفري 1874.<sup>(2)</sup>

وفي متليلي حظي صولبييه باستقبال محترم من أعيان متليلي، وبعد يومين التحق به القايد أحمد بن أحمد، واتفقا على بنود رحلة صولبييه التي سيتكفل بها أحمد بن أحمد؛ حيث سيأخذه إلى المنيعه عين صالح، أولف وتيميمون، ثم العودة إلى متليلي مقابل دفع 2500 فرنك. وقد اشترط أحمد بن أحمد على صولبييه أن يدفع نصف المبلغ قبل الانطلاق من متليلي.<sup>(3)</sup>

انطلق موكب صولبييه من متليلي مساء يوم الاثنين 16 فيفري 1874، والذي كان مكوناً من عبد القادر أخ القايد أحمد بن أحمد وثلاثة خدم، محمد، جيلالي، والمزابي محمد بن يوسف بافوق، إضافة إلى خمسة رجال من أولاد علوش كانوا عائدتين إلى خيامهم في الصحراء. كما أنّ قايد متليلي سليمان بن مسعود قد أخبر صولبييه بأنه سينضم إليه في الطريق أخوه محمد بن مسعود واثنين من أقاربه لمرافقته ولحمايته.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Paul Solleillet: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, p93.

(2) -Paul Solleillet: Voyage de Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, pp 15-16.

(3) -Ibid, p 46.

(4) -Paul Solleillet: Avenir de la France en Afrique, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1876, p76.

وصل الموكب إلى عين صالح يوم الجمعة 06 مارس 1874. وبقي صوليه هناك يتحادث مع الأعيان ومع التجار.<sup>(1)</sup> ثم غادر عين صالح يوم 11 مارس 1874 ليصل إلى متليلي يوم 25 مارس ثم غادرها بعد يومين نحو الأغواط، ليعود إلى متليلي يوم 12 أبريل 1874.<sup>(2)</sup>

وحسب ما توفر لدينا من مصادر؛ خاصة من كتبه ورسائله، لم نجد لبول صوليه أية علاقة مع مهمة الآباء البيض؛ حتى أنه كان يشدد على مهمته التجارية في حديثه مع أعيان متليلي؛ حين ينفي علاقته بالسياسة، لكنّ الأب فيلار يذكر بأنّ الأبوين بوليه و بوجو قد التحقا بصوليه بعد عودته من عين صالح إلى متليلي يوم 12 أبريل 1874، بهدف تأسيس مركز عند شعابنة برزقة.<sup>(3)</sup>

ورغم تكتمه على صلته بالموضوع، وتركيزه على المهمة الاستكشافية والتجارية، إلا أنّ وصفه لحياة الآباء في الأغواط، وتعاملهم الانساني مع الأهالي بتركيزهم على تقديم خدمات علاجية وتعليمية لهم، وكذلك اعترافه بأنه ربط علاقات معهم خاصة مع الأب بوليه؛ الذي وصف علاقته به بالحميمية، والتي وصلت درجة تأثره بمقتله إلى حد البكاء كما قال.<sup>(4)</sup>

قلت، رغم كل ذلك، إلا أنّ كلّ هذه المعطيات تؤكد على وجود علاقة لصوليه بمهمة الآباء البيض في المنطقة. وما يعزز هذه الفرضية هو أنّ بليدي أورد مراسلةً من صوليه إلى عدون بن باسعيد مؤرخة بيوم 3 فيفري 1874، يُعلمه فيها بظروف وصوله إلى متليلي، وقد ورد في عنوان الرسالة وصف صوليه بأنه " الأبّ المبشر".<sup>(5)</sup>

وربما قد تكون العلاقة التي ربطها مع شعابنة متليلي؛ والتي نجح من خلالها في الوصول إلى عين صالح، قد شجعت الآباء على التواصل معه، واستغلال علاقته بأعيان المنطقة لتحقيق أغراضهم.

---

(1) -Paul Solleillet: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, p93.

(2) -Paul Solleillet: Voyage de Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, p118.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 263.

(4) -Paul Solleillet: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, Imprimerie de F. Seguin Aîné, Avignon, 1877, pp 24-25.

(5) -Blidi Brahim Ben Youb: De l'Indigénat son application aux Mozabites, p 37.

## لكن لماذا اختيرت متليلي لتكون مركزاً للآباء البيض؟

هناك عدة عوامل جعلت الآباء يختارون متليلي منها: موقعها الاستراتيجي كونها ملتقى الطرق التجارية الصحراوية سواء المارة من الغرب إلى الشرق أو من الشمال إلى الجنوب، ولذلك فقد كانت متليلي تشكل حدود الجزائر الجنوبية، وأول نقطة انطلاق نحو المجاهيل الصحراوية كما مر بنا في الفصل الأول، كما أنها كانت قريبة من التجمعات الفرنسية في الأغواط وفي ورقلة مقارنة بالمنية، إضافة إلى هذا وذاك، فإن شعابنة متليلي كانوا أعرف القبائل بالصحراء الشمالية للجزائر، وكانوا يصلون بقوافلهم التجارية إلى توات وعين صالح، وهذا ما شجع الأب التاجر صوليه على القيام برحلة إلى عين صالح معتمدا كلية على شعابنة متليلي.

ويذكر الأب فيلار أن مركز متليلي قد تم إنجازه يوم 8 ديسمبر 1874، والذي أضحى، حسب رأيه، أول خطوة للآباء البيض نحو السودان.<sup>(1)</sup> بينما يصف الأب ريتشارد هذا البناء الذي كان يقيم فيه مع بقية الآباء بأنه يقع في قصر متليلي، وبأنه لا يختلف عن بقية البيوت من حيث الطابع العمراني؛ فالباب الخارجي الصغير من خشب النخيل، والسقف بالجريد، إضافة إلى ضيق النوافذ التي تكاد تكون منعدمة. أما هيكله فهو عبارة عن منزل صغير يتشكل من طابقين وثلاث غرف؛ مساحة أكبرها لا تتعدى 2×1.5م<sup>2</sup>، ومطبخ ومخزن، وصيدلية، إضافة إلى ساحة صغيرة.<sup>(2)</sup>

بعد تأسيس مركز متليلي، بدأ الآباء البيض يتحركون نحو المناطق الصحراوية؛ من ذلك ما قام به الأبوان بولميه (Paulmier) وكرمابون (Kermabon) اللذان غادرا متليلي يوم 18 مارس 1875 ووصلا المنية يوم 24 مارس، وعادا بعد مكوثهما أربعة أيام في المنية. وبعد عودتهما إلى متليلي وجدا الأب ريتشارد الذي قدم من ورقلة بعد ذهابه إليها منذ نوفمبر 1873، وقد عاد هذا الأخير إلى ورقلة مرفوقا بالأب كرمابون (Kermabon).<sup>(3)</sup>

(1) -P. Vellard: Op.cit, f 95.

(2) -P. Richard: Le Père Richard à Metlili (en 1875), In Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 1, pp 115-116.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 96.

كما أنّ ثلاثة من بعثة الآباء البيض في الصحراء وهم: ألفريد بولميه فيليب، مينوري (Phillipe Ménoret)، وبيار بوجو قدموا إلى الأغواط بعد إقامة طويلة في متليلي، قرروا بعدها الذهاب إلى توات سنة 1875.<sup>(1)</sup>

### ثانيا: مذبحة الآباء البيض وتوقف مهمة الآباء في المنطقة

لقد كان شغل الآباء البيض منذ تأسيس مركز متليلي هو التوغّل جنوباً نحو إفريقيا ما وراء الصحراء، لذلك بدؤوا يرسلون البعثات التبشيرية كلما حانت الفرصة. وخلال شهر جويلية 1875، حينما كان القايد أحمد بن أحمد يأسر مجموعة من التوارق المداقنات في متليلي، قام الآباء بالاتصال بهؤلاء وربط علاقات معهم، وذلك من خلال مداوات جراحهم ومعالجة مرضاهم، وقد رأى الآباء؛ خاصة الأب شاربونييه (Charbonnier)، امكانية تنظيم رحلة من متليلي نحو مناطق عين صالح وحتى إلى السودان، بالتعاون مع هؤلاء التوارق.<sup>(2)</sup>

وقد عرض الآباء البيض الفكرة على أسقف الجزائر الكاردينال لافيغيري (Lavigerie) وحاكم الجزائر الجنرال شانزي (Chanzy). فاستقدم هؤلاء الأسراء إلى مدينة الجزائر للنظر في شأنهم، والتقى بهم الكاردينال لافيغيري بأسقفية مدينة الجزائر بسانت أوجان (Saint Eugène) ووعدهم باستصدار عفو عن جرائمهم من حاكم الجزائر شريطة أن يقودوا بعثة الآباء البيض من متليلي نحو عين صالح، وقد وافقوا على هذه الصفقة، وكان الكاردينال لافيغيري يهدف من خلال هذه الرحلة إلى الوصول إلى تمبوكتو، ومن ثمة جلب أعداد من الأطفال العبيد بغرض تربيتهم وتعليمهم، ثم إعادة إرسالهم بعد ذلك كمبشرين سود إلى إفريقيا.<sup>(3)</sup>

---

(1) -Le Chatelier: Op.cit, p 247.

(2) -P. Vellard: Op.cit, f 98.

(3) -Bauard Mgr: Op.cit, T1, p 498.

انْتَدِبَ لهذه المهمة ثلاثة آباء بيض وهم مينوري، بولميه وبوجو،<sup>(1)</sup> وقد نقل إليهم الأب دينيري (Degnery) تعليمات الكاردينال لافيچيري. وقد وصل الآباء إلى متليلي يوم 8 جانفي 1876، ووجدوا التوارق المفرج عنهم من الجزائر في انتظارهم.<sup>(2)</sup>

بعد علمهم بما عزم عليه الآباء، قام أعيان متليلي بنصحهم؛ خاصة الأب بولميه؛ أو الطبيب عبد الله كما كان معروفا به، من خوض هذه التجربة المليئة بالأخطار لأن التوارق لا عهد لهم.<sup>(3)</sup>

أما سليمان بن مسعود فقد قال لهم صراحة: "أنا لست مستعدا أن أتحمّل دمكم في رقبتي، ولا أن ألام على ذهابكم".<sup>(4)</sup> ولإخلاء مسؤوليته مما قد يقع لهم في رحلتهم، فقد وقّع الآباء الثلاثة مذكرة تبرئة لقائد متليلي سليمان بن مسعود بتاريخ 13 جانفي 1876؛ حيث أوضحوا فيها أنّ ذهابهم في هذه الرحلة كان بناءً على أوامر صادرة من جهات عليا، وأنّ قائد متليلي قد حذرهم من الأخطار المحدقة بهم في هذه الرحلة.<sup>(5)</sup>

كما أنّ بعض الشعانبة؛ الذين لم يكن في مقدورهم الاعتراض على تواجد الآباء البيض في متليلي، وجدوا في هذه المهمة فرصة لمغادرة الآباء لمدينتهم، وبالتالي التخلص من التواجد الفرنسي. وقد قالوا محرضين للتوارق الذين سيقومون بنقل الآباء لعين صالح: "إذا وصل هؤلاء إلى بلدكم فاعلموا أنّ الجنود الفرنسيين سيتبعونهم... وبالتالي قولوا وداعا لاستقلالكم".<sup>(6)</sup>

من جهة أخرى فإن آثار معركة سبب بين المداقنات وشعانبة برزقة، والتي وقعت في جويلية 1875 لازالت ماثلة للعيان؛ إذ قُتل فيها رجل من الزوى، وقد توعد أخوه المدعو أحمد بن

---

(1) - وقد ذكر بونارد بأنّ الكاردينال لافيچيري اختار الآباء الثلاثة بعناية؛ فقد استقدم الأب مينوري من أبرشية نانت، والأب بولميه من أبرشية باريس، بينما كان بوجو من أبرشية ليون. أنظر:

Baunard Mgr: Op.cit, T1, p 497.

(2) -P. Vellard: Op.cit, f 100.

(3) -Ibid, f 101.

(4) -Baunard Mgr: Op.cit, T1, p 497.

(5) -Le General Chanzy: Au sujet de Missionnaires assassinés au Sahara, Rapport à Mr Le Ministre de guère, N 1016, Alger 13/06/1876, ANOM F80 1683, ff 7-8. 17 وانظر الملحق رقم

(6) -P. Vellard: Op.cit, f 101.

محمد بلحاج بالانتقام لمقتله، وقد وجد في هذه المهمة فرصةً لتحقيق ذلك، وقد تقاسم الفكرة مع أحد التوارق المدعو باحمو أن يُقتل هؤلاء بعيداً عن متليلي لتجنب الانتقام الفرنسي.

انطلق موكب الآباء البيض من متليلي مكوناً من التوارق الأدلاء الستة، والزاوي أحمد بن محمد بلحاج، إضافةً إلى المرافقين من متليلي وهم: محمد، وقويدر بن سانية، وأخوه عيسى، ورجل آخر، والحاج بوبكر الذي التحق بالموكب طالبا أن يكون طباحاً. وحسب مراسلة الحاكم العام شونزيه فإنّ الحاج بوبكر هو من أقرباء قايد متليلي سليمان بن مسعود، وأنه قد كلفه بمرافقة الآباء في رحلتهم.<sup>(1)</sup> بينما ذكر بونارد أنّ الحاج بوبكر التحق بهم من تلقاء نفسه بسبب العلاقة الودية التي كانت تجمعهم بهم، وقال لهم: "إن قررتم الذهاب فسأذهب معكم"، كما أنّ أباه الطاعن في السن قد طلب منه عدم الذهاب قائلاً له: "انتظرنى على الأقل حتى يأتيني الموت؛ وذلك قريباً لأنني متقدم في السن، لكن لا تترك أباك وتذهب لتموت".<sup>(2)</sup>

توجه الموكب نحو ضاية بوفكرون، ليتزوّد بالماء في آبار زيارة، وقبل أن يلتحقوا بالمنبعة انصرفوا شرقاً نحو حاسي الحاج موسى، ثم قارات ورقلة على بعد 25 كلم شمال شرق المنبعة. إلى هذه اللحظة لم يشعر الشعابنة بالقلق، لكنّ قويدر بن سانية الذي يتكلم الميزابية فهم من حديث التوارق مع بعضهم أنهم عازمون على تنفيذ مخططهم بقتل الآباء، فأبلغ أصحابه بما فهمه فترجى الحاج بوبكر الأب بوليمييه بأن يعود أدراجه، ولطمأنته قام التوارق بتسليم أسلحتهم إليه، والتي أرجعها لهم في اليوم الموالي.<sup>(3)</sup>

وفي إحدى الأمسيات اختفى كل الشعابنة ماعدا الحاج بوبكر؛ كانوا قد هربوا بعد أن تيقنوا من غدر الأدلاء التوارق، وحسب التارقي لوهيني الذي صرح لمبعوثي الأب ريتشارد بأنّ التوارق، بعد أن اختفى الشعابنة، قاموا بتفريق الآباء الثلاثة إلى فريقين؛ فقد كان الأب بوليمييه يسير في المقدمة مع لوهيني، بينما كان الأبوان مونورو وبوجو متخلفين على بعد مسافة من الأب بوليمييه وكان برفقتهم المنير وعدّة. فقام لوهيني بضرب الأب بوليمييه بسيفه بينما أجهز الآخرون على الأبوين الباقيين، وبقي الشعابني الحاج بوبكر الذي لم يرغب التوارق في قتله إلا أنّ الزاوي أحمد بن

(1) -Le General Chanzy: Op.cit, f4.

(2) -Bunard Mgr: Op.cit, T1, p 497.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 104.

محمد بلحاج قام بتصفيته ليس بعيدا عن مكان قتل الآباء،<sup>(1)</sup> وذلك انتقاما لمقتل أخيه من قبل شعابنة متليلي سنة 1875.

بعد ذلك قام القتلة بأخذ متاع الضحايا وهربوا نحو عين صالح، ومن هناك التحقوا بالهقار، بينما التحق الزاوي أحمد بن محمد بلحاج بالمداقنات. وقد عثر على جثثهم صيادو النعام بين مكرزة وقارة الموهاند في طريق الحاج موسى شمال حاسي اينيفل.<sup>(2)</sup>

وصلت أنباء المذبحة إلى مدينة الجزائر يوم 18 افريل 1876 وأعلنت يوم 4 ماي من طرف لافيحري. وقد جلبهم شعابنة المواضي إلى المنية، وبقوا فيها من غير دفن إلى أن قام الشعابنة، وخوفا من اتهامهم بالتواطؤ مع التوارق بحرق الجثث، لإخفاء آثار الجريمة، حسبما ذكره الأب فيلار.<sup>(3)</sup> بينما جاء في تقرير بعثة الأب ريتشارد بأن المجرمين هم من قاموا بحرق جثث الآباء.<sup>(4)</sup>

وبعد التحقيق في أسباب الجريمة تبين أن غرض القتالين لم يكن سلب ونهب أموال هؤلاء الضحايا، وإنما صنفت في خانة العدا والكرهية ضد المسيحيين، لأن جثث الآباء وجدت مفصولة الرأس، بينما لم يتم التوارق بفصل رأس الحاج بوبكر عن جثته.<sup>(5)</sup>

إنّ القراءة التحليلية لهذه الحادثة تبين أنّ شعابنة متليلي لم يكونوا متحمسين للدفاع عن الآباء البيض؛ فكيف يُعقل أن يهرب أربعة من الشعابنة في وجه سبعة من التوارق، ويتركوا الآباء مع الشعابني الحاج بوبكر لمواجهة مصيرهم لوحدهم؟ ولو قمنا بحساب تعداد الفريقين لوجدنا أنّ عدد التوارق كان سبعة في مواجهة الشعابنة الخمسة إضافة إلى الآباء الثلاثة.

وحسب ما يتبين لنا فإنّ الشعابنة الهارين، إما أن يكونوا على اتفاق مع التوارق، أو يكونوا راضين بما سيفعله هؤلاء القتلة، لأنّ هروبهم في الليل وخفية عن الآباء دليل على أنهم لم يكونوا جادّين في المهمة التي أنيطت بهم؛ وهي الدفاع عنهم.

(1) -Diocèse de Laghouat: La mort des PP Paulmier, Menoret et Bouchand (janvier 1876), In Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 2, p 97.

(2) -Paul Vuillot: Op.cit, p 141.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 108.

(4) -Diocèse de Laghouat: La mort des PP Paulmier, Menoret et Bouchand (janvier 1876), In Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 2, p 97.

(5) -Paul Vuillot: Op.cit, p 142.

كما لا يمكن إغفال الارتباك الذي ظهر على قايد متليلي سليمان بن مسعود بعد عزم الآباء على الذهاب في هذه الرحلة؛ وذلك حين حرص على أخذ وثيقة ممضاة بخط أيدي الآباء لتبرأته مما قد يحدث لهم، وبأنه قد نصحهم بعدم الذهاب. إن هذا التصرف يشير إلى أنّ سليمان بن مسعود؛ الرجل النبىء والذكيّ والعالم بنفسية قومه، ربما كان يتوقع هذا المصير؛ لأنه كان على اطلاع بما يُحكى، وبما يُقال على الفرنسيين وعلى الآباء أيضا في متليلي، بل لماذا لم يرسل أقاربه لحماية الآباء، كما أرسل من قبل أخاه محمد واثنين من أقربائه لحماية التاجر صوليه، كما مر بنا؟ ويبدو أنّ نشاط الآباء لم يكن محلّ قبول وترحابٍ من أهل المنطقة، ولا حتى من أعيانها، عكس صوليه الذي ساعده الشعانبة بسبب نشاطه التجاري وما سيحلبه هذا النشاط إلى المنطقة من حركة تجارية بين الشمال إلى الجنوب.

وربما يكون حرص سليمان بن مسعود في الحصول على هذا الاقرار المكتوب من الآباء، ليجنب نفسه وبني قومه غضب السلطات الفرنسية وانتقامها في حالة حدوث الأسوء الذي كان يتوقعه.

لكن في المقابل ... لماذا لم تحاسب السلطات الفرنسية شعانبة متليلي عن الحادثة، أو لماذا لم توجه لهم اللوم عن التخاذل في الدفاع عن الآباء البيض؟... ورغم أنّ السلطات العسكرية لم تكن راضية وموافقة على نشاطات الآباء ومغامراتهم في الصحراء، إلا أنّ هذه الأسئلة تبقى مطروحة إلى غاية ظهور وثائق جديدة تميّط اللثام عن تفاصيل أخرى عن هذه المذبحة، وعن تداعياتها. لكنّ الأكيد أنّ نشاط الآباء توقف بعد هذه الحادثة لمدة سنة، وأنّ مركز متليلي لم يعد مركزا مهما أو مفضلاً لدى الكاردينال لافيغري، وأنه قد تم غلقه نهائيا سنتين بعد الحادثة.

### ثالثا: النشاط التبشيري في المنطقة بعد المذبحة

يذكر الأب بيي (Pillet) أنّ مركز متليلي قد أُخلي منذ حدوث مذبحة الآباء الثلاثة،<sup>(1)</sup> ورغم معارضة القيادة العسكرية والسياسية لإرسال المزيد من البعثات التبشيرية، إلا أنّ الكاردينال لافيغري كان مندفعاً، وذهب حتى إلى باريس لإقناع المسؤولين هناك بضرورة استكمال مشروعه

(1) -Denys Pillet: Le Poste de Ghardaïa depuis ses origines à nos jours (1884-1950), Archives des Pères Blancs, Maison Généralice, Rome, f1.

بإرسال الآباء البيض نحو دواخل إفريقيا انطلاقاً من المراكز الفرنسية في شمال الصحراء.<sup>(1)</sup> وهذا ما يفسر استمرار نشاط الآباء البيض في شمال الصحراء وإن كان باحتشام.

فخلال شهر فيفري من العام التالي 1877، كانت هناك محاولة أخرى من الأبوين ديغيري (Deguerry) وديلاماي (Delamay) لكنها فشلت في اجتياز متليلي بسبب تعرضهما للمضايقة من قبل شعاعة برزقة.<sup>(2)</sup> لذلك، قرر الآباء غلق مركز متليلي في فيفري 1878، وقاموا بتغيير طريقهم نحو العرق الشرقي؛ حين قاموا بتأسيس مركزي طرابلس وغدامس بين سنتي 1878 و1882.<sup>(3)</sup> وفي شهر جانفي 1879 قام الأبوان ديغيري (Deguerry) وفيرو (Vireu) برحلة نحو ورقلة لكنها كانت بدون نتائج.<sup>(4)</sup>

وبعد عودتهم، سنة 1883، ذهب الآباء إلى متليلي خلال شهر نوفمبر ليتفقدوا مكان المركز هناك، فوجدوه مهتماً مما جعلهم يسارعون بالهروب نحو غارداية.<sup>(5)</sup> وكان تأسيس مركز ميزاب في 15 جانفي 1884 إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من نشاط الآباء البيض في المنطقة ونحو إفريقيا جنوب الصحراء؛ والذي استمر إلى غاية الاستقلال.<sup>(6)</sup>

وقد سعى الآباء إلى إنشاء مركز متقدم في الصحراء؛ وهو مركز المنيع، مستغلين دخول القوات الفرنسية إليها سنة 1891، وإنشاء مركز عسكري هناك؛ فبمناسبة احياء عيد الكاهن اليسوعي سانت فرانسوا كسافييه (Saint François Xavier)، يوم 3 ديسمبر 1892، أصدرت أسقفية الجزائر أمراً إلى كل من الأب ماشرال (Macherel) ومينوري (Ménoret) بالقيام برحلة من غارداية نحو المنيع لتأسيس مركز للآباء البيض هناك. انطلقت قافلة الأبوين من

---

(1) -Le General Chanzy: Au sujet des Missionnaires envoyés dans le grand désert par M<sup>gr</sup> l'Archevêque d'Alger, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 83, Alger 16/06/1876, ANOM F80 1683, f3.

(2) -P. Vellard: Op.cit, f 108.

(3) -Diocèse de Laghouat: Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 1, p 03.

(4) -P. Vellard: Op.cit, f 108.

(5) -Diocèse de Laghouat: Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000, Fsc1 1, p 05.

(6) -Denys Pillet: Le Poste de Ghardaïa depuis ses origines à nos jours (1884-1950), Archives des Pères Blancs, Maison Généralice, Rome, f1.

غارداية يوم 9 ديسمبر، وقاموا بالتخيم في حاسي الحاج عيسى؛ وهي آبار تقع في الطريق بين غارداية ومتليلي، وفي ظهيرة الغد دخلوا قصر متليلي؛ أين استقبلوا من طرف قايد متليلي وأعيان قبيلة شعانية برزقة، وقد استضافهم محمد بن موسى وهو صديق قديم لهما. وقد أدى التساقط الشديد للأمطار إلى مكوث الأبوين يوما وليلة في متليلي، ثم توجهوا نحو برج سبب أين قاموا بتجفيف ملابسهم المبللة من الأمطار. وقد دخلوا المنية يوم 20 ديسمبر 1892 ووجدوا في استقبالهم الرائد لامي (Lamy)<sup>(1)</sup> قائد مفرزة القناصة الجزائريين. وقد قاموا بإحياء أعياد الميلاد لأول مرة في المنية.<sup>(2)</sup>

### ومن كل ما تقدم يمكننا القول:

- أنّ شعانية متليلي قد ارتابوا في أمر الشريف بوشوشة عندما ظهر لأول مرة سنة 1870 حين ساندته قسم منهم فقط، لكن لما تبينوا أمره وتحالف مع سي الزبير انضموا إليهم جميعهم وساندوه بكل قوة.

- وأنّ المبشرين المسيحيين قد نجحوا في تأسيس مركز للأباء البيض في متليلي إلا أنهم سرعان ما أغلقوه بعد مذبحه الآباء الثلاثة سنة 1876، وذلك بعدما أحسوا بعدم الارتياح والأمان في المنطقة، وارتابوا في ولاء شعانية متليلي.

---

(1) - لامي (Lamy François-Joseph) (1858-1900) : رائد في الجيش الفرنسي، أول قائد عسكري لمركز المنية، ويذكر دارمانيك أنه كان مختلطا مع البدو في المنية حتى كان شعانية المواضي يلقبونه "الحاج لامي"، غادر المنية سنة 1893. ليشغل مع البعثات الاستكشافية في ما وراء الصحراء والسودان، وقد كان مسؤولا عسكريا لبعثة فورو التي وصلت إلى بحيرة تشاد، قتل هناك بعد اشتباكات مع الأهالي. انظر:

D'Armagnac: le Mzab et les pays Chaamba, p178./Philippe Decraene et François Zuccarelli : Grands Sahariens, p 266.

(2) -P. Vellard: Op.cit, ff 131-134.

# الفصل الخامس

دور منطقة متليلي الشعانبة في ثورة الشيخ بوعمامة  
(1881-1908)

- المبحث الأول: ثورة الشيخ بوعمامة.

- المبحث الثاني: مشاركة شعانبة متليلي في ثورة بوعمامة.

- المبحث الثالث: نشاط الشعانبة المرافقين لبوعمامة بعد دخوله المغرب.

## الفصل الخامس:

### دور منطقة متليلي الشعابنة في ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908)

رغم مرور خمسين سنةً منذ احتلال مدينة الجزائر إلا أنّ الفرنسيين لم يتمكنوا من بسط سيطرتهم على كامل تراب القطر الجزائري، بل إنّ الكثير من مناطق التل وشمال الصحراء لم يستقرّ فيها الاحتلال بسبب الثورات والانتفاضات التي أضحت تندلع هنا وهناك.

وبعد القضاء على ثورة المقراني والحداد في الشمال، وبومزراق وبوشوشة في شمال الصحراء، واستسلام أغلب زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة، انطلقت الدعاية الفرنسية هنا وهناك مبشّرةً بنهاية عهد الثورات والانتفاضات في الجزائر. ولم تكن تتوقع أنها ستُجابه ثورةً أخرى أعنف وأطول من تلك الثورات التي قضت عليها، إلا وهي ثورةً بوعمامة.

وتعتبر ثورة الشيخ بوعمامة من أطول الثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر، إذ دامت قرابةً الربع قرن؛ من أفريل 1881 إلى غاية أكتوبر 1908. وتقلّبت بين الانتصار تارةً والانكسار تارةً أخرى، وشهدت فصولاً من الصدام المسلح وجولاتٍ من المفاوضات والمراسلات. لكنها أنهكت القوات الفرنسية واستنزفت جهدهم، وأعاقت تقدّم العمليات العسكرية نحو أقصى الجنوب الجزائري لمدة طويلة، كما أنّ عدة قبائل في التل وفي الصحراء شاركت في هذه الثورة.

فما هو موقف شعابنة متليلي من هذه الثورة؟ وما حجم مشاركتهم فيها؟

## المبحث الأول:

### ثورة الشيخ بوعمامة.

#### أولاً: التعريف بالشيخ بوعمامة

هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن ابراهيم بن التاج والمشهور لابي عمامة؛ وهو سليل أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ. وقد انحاز هذا الفرع في التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية في 18 مارس 1845، ويطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ الغرابة.<sup>(1)</sup>

ولد بوعمامة حوالي سنة 1838 أو 1840 في قصر الحمام الفوقاني، وتدرج في سلك حلقات العلم منذ نعومه أظافره؛ من الكُتّاب لحفظ القرآن، إلى طلبه العلوم الدينية من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية، مروراً بكل المدارس الكلامية إلى الفقه وعلومه. وتلمذ بوعمامة البوشيخي الدرقاوي على يد سيدي محمد بن العربي اليعلاوي الفيلاي.<sup>(2)</sup>

وتذكر الوثائق التاريخية أنه غادر فيقيق<sup>(3)</sup> نهاءً عام 1878 ليستقر في مغرار جنوب عين الصفراء، ويؤسس بها من جديد زاوية اجداده ويتبع حياة الزهد والورع.<sup>(4)</sup>

---

(1) -E. Graulle: Insurrection de Bou-Amama (avril 1881), Henri Charles Lavauselle Editeur Militaire, Paris 1905, p 7.

(2) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 272.

(3) - فيقيق أو فيجيج: واحة تقع في أقصى الجنوب الشرقي من الجهة الشرقية للمغرب متاخمة للحدود الجزائرية، وعلى بعد 370 كلم جنوب وجدة. تضم سبعة قصور وهي أزنافة، الحمام الفوقاني (آيت عامر)، الحمام التحتاني (آيت واداي)، المعيز (آيت المعز)، أولاد (آيت) سليمان، لوداغير (آيت عدي)، والعبيدات (آيت النج)، كان للواحة دور في مقاومة الاحتلال الفرنسي خاصة خلال انتفاضة بوعمامة، مما عرضها للحملات الفرنسية، كانت آخرها يوم 8 جوان 1903، حيث تم احتلالها. أنظر:

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، ج19، ص ص 6484-6486.

(4) -E. Graulle: Op.cit, p 7.

وقد حاول بوعمامة توحيد أولاد سيدي الشيخ المتفرقين بطريق الروابط الروحية والعائلية، وقال المعاصرون إنه جاء بمذهب جديد، وأنه رجل يقظ وحذر، وأنه حاول الاستفادة من الانقسام الموجود في العائلة لصالحه، وذلك بإنشاء قيادة واحدة.<sup>(1)</sup>

ولكن الفرنسيين كان لا يرضيهم ذلك، سيما وأن ثمانينات القرن التاسع عشر كانت هي الفترة التي أخذوا فيها يسعون بين الطرق الصوفية كلها حتى لا تتوحد، ولا تصبح خطراً يهدد مصالحهم، ومهما كان الأمر فإن محاولة بوعمامة أن يكون هو "خليفة" سيدي الشيخ مباشرة، لم تنجح، ولكن أصحابه أعلنوا أنه أصبح قُطبا، وأجاز هو لأصحابه أن يجمعوا بين طريقتيه وطريقة أخرى، وكان له وزد يعطيه لأتباعه قال إن سيدي الشيخ أعطاه إياه بالرؤية والمكاشفة.<sup>(2)</sup>

وقد نجح الفرنسيون في عزل أولاد سيدي الشيخ الآخرين من الانضمام لثورته، رغم أنه منهم، واتهموا بوعمامة بأنه كان يقلد الشيخ السنوسي في عداوته للنصارى.

### ثانيا: مراحل ثورة بوعمامة

هناك من قام بتقسيم هذه الثورة التي امتدت لمدة طويلة إلى مرحلتين: مرحلة العمل العسكري والتي تمتد من 1881 إلى 1883، ومرحلة العمل السياسي والتي امتدت على ما بقي من عمر هذه الثورة. ونحن نرى أن هذا التقسيم قد لا يعبر بشكل عام عن كل تفاصيل هذه الثورة وحجمها إلى درجة ما؛ ذلك أن حصر العمل العسكري في ثلاث سنوات فقط غير دقيق؛ فالمرحلة الأخرى وإن كان قد غلب عليها الجانب السياسي، إلى أنها لا تخلوا من مظاهر العمل العسكري؛ إذ ظلت القبائل المناصرة لبوعمامة تُغير على الأهداف الفرنسية من حين لآخر كلما سنحت الفرصة لها.

ورغم أن بوعمامة كان يتبرأ من بعض تلك الأعمال، إلا أن القراءة في المراسلات والتقارير العسكرية والصحفية يؤكد أن بوعمامة كان على علم بالكثير من تلك العمليات، وربما كان موافقا عليها.

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص108.

(2) - نفسه.

وانطلاقاً من المعطيات السالفة الذكر ارتأيت تقسيم مراحل ثورة بوعمامة إلى مرحلتين رئيسيتين: مرحلة المواجهة المباشرة، ومرحلة المواجهة الغير مباشرة.

أما مرحلة المواجهة المباشرة فإني أقصد بها تلك المرحلة التي كان فيها بوعمامة مشاركاً ومشرفاً مباشراً على العمليات العسكرية، والتي تمتد من سنة 1881 إلى 1883.

أما في المرحلة الثانية فقد شهدت هي أخرى مواجهاتٍ مع قوات الاحتلال إلا أنّ بوعمامة في أغلبها لم يكن مشرفاً مباشراً على تلك العمليات وإن كان على علم بها. وقد قسمت هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين:

مرحلة دلدول والتي امتدت من 1883 إلى غاية 1896، كان فيها بوعمامة مقيماً في زاويته في دلدول بمنطقة توات.

ومرحلة المغرب والتي امتدت من 1896 إلى غاية 1908، في هذه المرحلة اضطرته الظروف السياسية والأمنية إلى الخروج نحو المغرب مرفوقاً بالقبائل المناصرة له.

ونحن نرى أنّ هذا التقسيم هو الأقرب إلى تقييم ثورة بوعمامة، والإحاطة بكل أحداثها.

## 1- المرحلة الأولى 1881-1883

بعد استقراره في مغرار بدأ الشيخ بوعمامة يشكّل شبكةً من العلاقات بين اتباع الطريقة الشيخية، كما ربط علاقاتٍ متينةً مع أتباعٍ ومحبين من أهل توات وقبائل الشعابنة الذين آزره ووقفوا معه، واستطاع أن يخترق النفوس الساكنة بلغة وأسلوب جديدين من خلال الأفكار التي كان يروج لها.<sup>(1)</sup>

ويذكر الرائد قرول (E. Graulle) أنّ بوعمامة لم يكن يفكر في الثورة غداة استقراره بمغرار، لكن الأحداث التي جرت بعد ذلك قد ولّدت لدى الأهالي تدمراً وبدأت تفكر في الثورة؛ منها تزايد البعثات الاستكشافية نحو المناطق الجنوبية واصطدام الأهالي بها؛ من ذلك تحرش أهالي تيوت بالبعثة العلمية التي كانت تجري دراسات طوبوغرافية لإنجاز خط السكة الحديدية العابر

(1) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 273.

للصحراء (Transsaharienne)، مما حدى بسطات الاحتلال إلى إقامة مركز عسكري في قصر تيوت.<sup>(1)</sup>

وكذلك قيام السلطات المدنية والعسكرية بالضغط على بعض القبائل الرعوية؛ خاصة في دائرتي آفلو والبيض بمنعهم من الانتقال بمواشيهم نحو الجنوب كما هي العادة للبحث عن الكأ ولوقاية مواشيهم من برد الشتاء، مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من تلك المواشي.<sup>(2)</sup>

ونظراً لمكانة بوعمامة الدينية، وشهرته في الصحراء، فقد راسلته تلك القبائل، شاكياً إليه تصرفات السلطات الاستعمارية، وطالبةً منه أن يقودها للثورة عليها.

غير أن ترملي يشير إلى أنه منذ ديسمبر 1879 بدأ بوعمامة يعد العدة للتحرك ضد الفرنسيين محاولاً استغفالم وهو في مفرار؛ لذلك فقد دأب القادة العسكريون على إرسال تقارير سرية تحذر من زيادة نفوذ بوعمامة، وتوسيع قاعدة أنصاره ومريديه بين القبائل الصحراوية.<sup>(3)</sup>

وبحلول نهاية عام 1880 أضحى خطر الثورة وشيكاً لدرجة أن القائد العسكري لدائرة معسكر راسل الحاكم العام للجزائر ألبرت قريفي (M. Albert Grévy) طالباً منه توجيه حملة عسكرية نحو مفرار. إلا أن الحاكم العام لم يُعِر اهتماماً لتلك التحذيرات؛ خاصة وأنه قد سبق له أن صرّح بأن عصر الانتفاضات في الجزائر قد ولى وإلى الأبد.<sup>(4)</sup>

بادر الشيخ بوعمامة بدعوة جميع القبائل الصحراوية إلى التعبئة، ورصد الامكانات، وجمع المؤن والذخيرة إلى غير ذلك. وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى قبائل الشعانبة، عمور، حميان، وأولاد سيدي الشيخ، واستطاع في مدة وجيزة أن يجند جيشاً من هذه القبائل من مشاة وفرسان.

---

(1) -E. Graulle: Op.cit, p 15.

(2) — عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ج1، ص 47.

(3) -C. Trumelet: Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880, p 482.

(4) -E. Graulle: Op.cit, p 15.

وقد كانت الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة هي حادثة مقتل الملازم وينبرونر (Weinbrenner) النائب الثاني لرئيس المكتب العربي بالبيضا يوم 22 أبريل 1881، مع أربعة من حراسه بعد محاولتهم اعتقال مبعوثي بوعمامة إلى قبيلة الجرامنة المخيمين في ضاية أودي الحجل والتي تبعد ب 30 كلم شرق البيضا.<sup>(1)</sup>

وقد استغل بوعمامة غياب الجيش الفرنسي المرابط بالإقليم الوهراني الذي كان يخوض حملة ضد القطر التونسي في أبريل 1881، فأعلن الجهاد المقدس وحث بعض القبائل على الانفصال عن فرنسا؛ وهو ما أكدته مراسلة الحاكم العام للجزائر كومبون (Jules Cambon) إلى وزير الخارجية المؤرخة بيوم 21 أوت 1896؛ حيث أكد فيها أنه : "من بين أهم أسباب ثورة بوعمامة سنة 1881 هو غياب الجنود الفرنسيين لوقت طويل."<sup>(2)</sup>

وقد تم أول لقاء بين المجاهدين والجيش الفرنسي في يوم 27 افريل 1881 بموقعة "سفيصة" جنوب عين الصفراء، وأسفرت المعركة عن انهزام الجيش الفرنسي، وترك قتلاه على ميدان المعركة وخاصة بعض الخونة القومية وقائدهم.<sup>(3)</sup>

استعدت بعد ذلك القوات الفرنسية، وجهزت ثلاثة فيالق من المشاة، وعدة سرايا من قناصة افريقيا، وفرقة المدفعية، وفرق الخدمات المختلفة، وفرقة القومية من سعيدة وتيارت يقودهم الآغا قدور بن عدة والآغا الحاج قدور صحراوي، وأخيرا قافلة من 2500 جمل يقودهم 600 جزائري، وتولى القيادة العامة لهذه القوات الجنرال كولينيون دانسي (Collignon d'Ancy) قائد الشعبة العسكرية لمعسكر. إلا أنه لم يحتفظ بالقيادة إلا أياما قليلة، نظرا لتدهور صحته ودخوله إلى مستشفى البيضا في 9 ماي 1881، وعوضه العقيد أنوسونتي (Innocenti).<sup>(4)</sup> واستعد الجميع

(1) -Ibid, pp 21-23.

(2) -Jules Cambon: Confidentielles, Rapport à Mr Le Ministre des affaires étrangères, N 2057, Alger 21/08/1896, ANOM F80 1695, f31.

(3) -E. Graulle: Op.cit, p 39.

(4) - عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908، ج1، ص 13.

للمعركة الحاسمة يوم 19 ماي 1881 في موقع المويك (تازينة)، أو موقع الشلالة كما تسميه بعض المصادر، في ميدان فسيح عرضه حوالي ثلاثة كيلومترات بين جبلين وطوله عشرة كيلومتر.<sup>(1)</sup>

وقد تضاربت التقارير بشأن نتائج هذه المعركة فقد ذكرت التقارير الفرنسية أن خسائر معركة الشلالة قد بلغت 300 قتيل في صفوف الثوار و37 قتيلاً في صفوف الجيش الفرنسي.<sup>(2)</sup> لكن انسحاب أنوسونتي بالجيش الفرنسي نحو الشمال لا يدل على أنه أحرز نصراً بل يدل على أنه هرب من بوعمامة؛ فعوض أن يعود إلى البيض ويلتقي ببوعمامة من جديد آثر الاتجاه شمالاً نحو الخيضر، وهذا ما جعل القيادة العسكرية تفصله وتعوضه بالجنرال ديتريه (Détrie).<sup>(3)</sup>

ومن أبرز أحداث المرحلة الأولى للثورة هي مسيرة بوعمامة التي حيرت القوات الفرنسية ونسج حولها بعض الغيبيات، ودامت هذه المسيرة حوالي 26 يوماً؛ من 30 ماي إلى 21 جوان 1881، وكانت نحو الشمال مروراً بالبيض وستين<sup>(4)</sup> ليعود ثانية إلى بوسمغون<sup>(5)</sup>، قاطعاً الخط الرابط بين مشرية وعين الصفراء، وقطع خلالها ما يقارب 730 كلم، متفوقاً على الطوابير العسكرية التي كانت ترصده ولم تستطع القضاء عليه.<sup>(6)</sup>

واستهدف الثوار خلال هذه المسيرة العديد من الأهداف الفرنسية كخطوط التلغراف، وكذلك مراكز الشركة الفرنسية للحلفاء، وقتل العديد من العمال الإسبان الذين كانوا يشتغلون بالشركة، كما قاموا بحرق واتلاف الكثير من العتاد، وذلك من أجل تقويض أركان الاستعمار واستغلاله لخيرات البلاد. غير أن هذه الأعمال لقيت انتقاداً من طرف الشيخ أحمد بن عبد الرحمن

(1) - ابراهيم مياسي: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، ص 95.

(2) - Le Général Innocenti: Insurrection du Sud-Oranais en 1881. Bou-Amema et le colonel Innocenti, Tequi Libraire Editeur, Paris 1893, p 48.

(3) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج 1، ص 18.

(4) - ستين (Stiten): قرية تقع على بعد 30 كلم شرق مقر ولاية البيض، أصبحت بلدية سنة 1984، تتبع دائرة بوعلام، وهي فلاحية رعوية. أنظر:

عاشور شرقي: معلمة الجزائر، ص 806.

(5) - بوسمغون: بلدية تابعة لولاية البيض، تبعد 60 كلم من تيبوت و39 كلم من عسلة، و20 كلم من بحيرة عين وركة، بما قصر قدم وواحة نخيل. أنظر:

Anonyme: Dictionnaire des communes de l'Algérie, p 49.

(6) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 291.

الشقراني المعاصر للشيخ بوعمامة، وقد تحدث عن بعض أحداث الثورة في كتابه الموسوم ب: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، وقد انتقد بشدة أعمال الثوار ضد العمال الاسبان بقوله: "... وكان في أول ظهوره يتردد في الصحراء ... وقد ظفر ببعض فقراء السبنيول وضعفائهم وهم أُجْرَاء في خدمة الحلفة، فأباح لنفسه ولأتباعه قتلهم بالحرق والنكال عقوبة لهم." (1)

بعد انهزام الجيش الفرنسي، قام بعض القادة العسكريين بالانتقام من السكان العزل؛ فقام الجنرال دونقريبه (De Negrier) بنسف قبة سيدي الشيخ المتواجدة بالأبيض سيدي الشيخ يوم 16 أوت 1881، وقام بأعمال شنيعة يندى لها جبين الإنسانية؛ فقد وصل به البُغض إلى نبش قبر الشيخ الذي مر عليه قرنان وخمسون سنة، وهو يهدف من وراء ذلك إلى الاستهزاء من الرموز الروحية التي تحث الناس على الثورة والجهاد. (2)

## 2- المرحلة الثانية 1883-1908

ساد الثورة في هذه المرحلة بعض من الفتور؛ فقد استقر الشيخ بوعمامة بمسقط رأسه بفيقيق التي وصلها في منتصف شهر جويلية 1883 ليفكر في إعادة التنظيم تورثه للمرحلة القادمة، لذلك تخوفت السلطات الفرنسية من تحركه، وبعث الجنرال سوسيه (Saussier) قائد الفيلق التاسع عشر ببرقية إلى حكومة باريس عن طريق زميله تيرمان مؤرخة في الجزائر يوم 8 سبتمبر 1883، ومما جاء فيها: "إن بوعمامة مازال لاجئا في فيقيق؛ يعني على حدودنا أرجوكم أن توضحوا مرة أخرى للحكومة على أنه ينال من كرامتنا أولا ثم من أمننا بعد ذلك، وأن لا يترك هناك. لقد طلب امبراطور المغرب بصوت عالي امتلاكه لفيقيق الموجودة ضمن قيادة عامل وجدة، يجب علينا أن نلزم السلطان الحسن الاول على أن يعطي أوامره بإخراج بوعمامة من فيقيق، وأن يسجن على الساحل الأطلسي." (3)

(1) - احمد بن عبد الرحمن الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني،

البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 18.

(2) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص ص 100-101.

(3) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 298.

إنّ القراءة المتأنية لما بين السطور تظهر لنا عدة حقائق تاريخية؛ منها أن بوعمامة قد بقي متفوقا، وأن إلحاح الجنرال سوسيه يبين أنه قد عيل صبره وازدادت مخاوفه.

غادر بوعمامة فيقيق والتجأ إلى واحات إقليم توات، واحتمى بسكان واحة دلدول بمقاطعة تينقورارين(قورارة) مع نهاية 1883 واستقر هناك إلى غاية 1894، حيث قام بتأسيس زاوية، وشرع في تنظيم دروس دينيه ومواعظ، ليحشد المزيد من الأتباع والأنصار لمواصلة الجهاد ومقاومة التوسع الاستعماري في الجزائر. كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية يحث على الجهاد، إضافة إلى هذا وذاك، فقد قام بتحركات سياسية؛ تمثلت في مراسلة الحكام العسكريين الفرنسيين.<sup>(1)</sup>

خرج بوعمامة من دلدول واتجه شمالا؛ حيث استقر بالعوج التحتاني في 26 ماي 1896 على حافة وادي زوزفانة قرب منطقة فيقيق، ليتمكن من جمع امكانياته ورص صفوفه، فجمع حوالي 420 فارساً 1130 مشاة و 95 مھاريا من عدة قبائل: أولاد جرير، الشعانبة، وغيرهم... غير أن بوعمامة تعرض إلى مشاكل مما جعله يدخل الى المغرب الاقصى، ويهتم بمشاكل الخاصة، وبمواجهه الحكومة المغربية، وذلك بانضمامه لثورة الجيلالي الروقي الزرهوني؛ الملقب بأبي حمارة، والمطالب العرش المغربي، إلى أن وافته المنية في 7 أكتوبر 1908 بوادي بودرم، ونقل بعد موته إلى قرية عيون سيدي ملوك بمنطقة وجدة المغربية.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> - ابراهيم مياسي: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، ص104.

<sup>(2)</sup> - مبارك زكي: المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة، في الثقافة، ع83، سبتمبر أكتوبر 1984، ص 424.

## المبحث الثاني:

### مشاركة شعانية متليلي في ثورة بوعمامة

إنّ الانتفاضة الطويلة لأولاد سيدي الشيخ، وتجاوب شعانية متليلي معها قد جعل السلطات الاستعمارية تشعر بالقلق من الدعم الذي يلقيه كل نائر في المنطقة، ويبدو أنّها لم تعد تعوّل على نفوذ قايد القياد بعد أن أضحي شعانبه متليلي يتمردون على أوامر القايد عبد القادر بن محمد فيما يخص العلاقة مع أولاد سيدي الشيخ، كما مرينا. كما أنّ العلاقة التي بدأت تنمو يوما بعد آخر لشعانية متليلي مع الشيخ بوعمامة العائد من المغرب والمقيم في مفرار التحتاني قد ساهم في زيادة هذا القلق. لذلك فقد بدأت تفكر في تكريس سيطرتها على المنطقة من خلال إلحاقها عسكريا وإداريا.

وفي هذا الاطار يدخل ذلك المشروع الذي اقترحته سلطات الاحتلال أمام البرلمان الفرنسي يوم 6 ديسمبر 1880؛ والذي يقضي بتوسيع مناطق النفوذ الفرنسي جنوباً بإنشاء خط صحراوي متقدم عن الخط الموجود آنذاك؛ وهو خط البيض - الأغواط - بسكرة، باستحداث خط جديد يربط المدن التالية: تيوت، متليلي، وتقرت؛ وذلك بتشكيل دوائر أو على الأقل ملحقات في المدن الثلاث حسب توصيات القادة العسكريين. والهدف منه، كما ورد في ذات التقرير، هو منع المتمردين من دخول هذه المدن والتأثير على القبائل المقيمة في المناطق القريبة منها.<sup>(1)</sup> إلا أنّ مشروع إلحاق متليلي لم يتابع كما يقول باساجيه.<sup>(2)</sup>

### أولا: مرحلة المواجهة المباشرة 1881-1883

سبقت الإشارة إلى علاقة شعانية متليلي بأولاد سيدي الشيخ الشراقة والغراب، وتبين لنا أنّها كانت علاقة ود واحترام، وباعتبار أنّ الشيخ بوعمامة ينتمي إلى الصف الغربي، فقد بدأت صلاته تتوثق بالشعانية، منذ أيامه الأولى لدخوله من المغرب؛ حيث تشير التقارير الفرنسية إلى أنه بعد

(1) -Louis Rinn: Nos Frontières Sahariennes/In/ R.A., V30, 1886, pp 216-217.

(2) -P. Passager: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale, p512.

استقراره في مغرار التحتاني سنة 1878، أصبح الشعابنة يزورون بوعمامة ويقدمون له الهدايا والزيارات قبل اعلان الثورة سنة 1881.<sup>(1)</sup>

## 1- مساندة شعابنة متليلي للثورة:

بعد معركة الشلالة قام بوعمامة باستنهاض شعابنة متليلي إلى النفير العام عبر تلك الرسالة التي أرسلها إليهم يوم 27 ماي 1881 يستحث فيها القيادَ والأعيانَ وكلَّ الناس على الوفود عليه بأعداد غفيرة، ويبدو أنّ ذلك كان بهدف انجاح مسيرته الطويلة التي ابتدأها يوم 30 ماي. والدليل على ذلك هو تلك العبارة التي وردت في رسالة بوعمامة "وتاتوا بَعُوين شهر كاملا"؛ أي يجب أن تأتوا معكم بالتموين الغذائي الذي يكفي مدة شهر.<sup>(2)</sup>

وتذكر المصادر الفرنسية أنّ شعابنة متليلي استجابوا لدعوة بوعمامة، وأيدوا الثورة بقوة وكانوا يشكلون أهمّ فصيل في جيش الثوار، كما أنّ عمومَ سكان المنطقة كانوا يساهمون باشتراك سنوي في هذه الثورة فُدرّ بـ 30000 فرنك.<sup>(3)</sup> ولم يقتصر الدعم اللوجيستي على الاشتراكات النقدية فحسب، بل شمل الدعم حتى المواد التموينية، وقد فصّلت التقارير العسكرية الفرنسية في بعض تلك المساهمات المادية التي كان يقدمها شعابنة متليلي للثورة وهي: مجموعة من البرانس وعبايات من الصوف، السكر، القهوة و مواد غذائية أخرى تصل قيمتها إلى 1500 فرنك ... كلها ترسل سنويا إلى بوعمامة، في بداية فصل الخريف عند الخروج إلى الصحراء، وتحملها العروش الثلاثة لشعابنة برزقة.<sup>(4)</sup>

كما أنّ القراءة المنفحصة في التقارير الشهرية للحكومة العامة للجزائر للثلاثي الأخير من سنة 1881 حول الأوضاع السياسية والأمنية للجزائر، يضعنا أمام حجم مشاركة شعابنة متليلي في الثورة وتأثير ذلك على المناطق المجاورة.

(1) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, t2, p437 .

(2) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج1، ص 48. وانظر الملحق رقم12.

(3) -P. Passager: Metlili des Chaamba, p 512.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p862 .

فتقرير شهر سبتمبر 1881، يعترف بأن شعابنة متليلي والمنيعة كانا في طليعة القبائل المستجيبة لنداء ثورة بوعمامة، كما أنه يحذر من أن تمرّد شعابنة متليلي ومساندّهم لبوعمامة يهدد الأمن والاستقرار السائد في منطقة ميزاب.<sup>(1)</sup>

أما تقرير شهر أكتوبر 1881 فهو يعترف بأن شعابنة متليلي هم آنذاك الوحيدون الذي يتسببون في إثارة الفوضى في أقصى الجنوب، لكنّ ولاءهم لعائلة أولاد سيدي الشيخ قد يسهل من انقيادهم والتحكّم فيهم.

وكما ورد في ذات التقرير؛ فإنّ بعض الخيام من شعابنة متليلي انضموا إلى خيام الثوار، وقاموا في نهاية الشهر الماضي؛ أي سبتمبر 1881، بالهجوم على عدة أهداف بين منطقة ميزاب وتاجرونة لكن بدون خسائر مادية معتبرة. ويضيف التقرير بأن لدى الحكومة العامة أسماء هؤلاء المتمردين، والبحث جار عنهم لتسلّط عليهم العقوبة التي يستحقونها.<sup>(2)</sup>

ويؤكد أمات أنّ الشعابنة كانوا هم الناقلين للأسلحة والبارود من غدامس إلى منطقة ميزاب؛ حيث كان جلّ سلاح الثوار في محافظة وهران يأتي من هذه المنطقة، ويهرب منها إلى التل بواسطة قبائل سعيد عتبة والأرباع؛ وذلك بإخفائها داخل حمولة التمر.<sup>(3)</sup>

ومن جهته يذكر الرائد بيسوال (Bissuel): " أنّ هناك بعض التعاطف في مناطق قورارة توات وتيديكلت مع ثورة أولاد سيدي الشيخ الغرابة ... أما شعابنة متليلي ورقلة والمنيعة فهم مشتركون فيها بقوة".<sup>(4)</sup>

ويذكر فيلار أنّ ثلث شعابنة متليلي التحق ببوعمامة، غداة إعلانه الثورة، أما الثلثان الباقيان فكانا يؤمّنان الدعم المادي لهذه الثورة،<sup>(5)</sup> ولما بلغت هؤلاء المقيمين في متليلي أنباء الأعمال

---

(1) - Gouvernement Générale de l'Algérie: Situation politique de l'Algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 MI 91..19 وانظر الملحق رقم 19.

(2) - Ibidem.

(3) - Charles Amat: Le M'zab et les M'zabites, p211.

(4) - G. Mandeville : L'Algérie Méridionale et le Touat, Augustin Challamel Edition, Paris 1898, p44.

(5) - P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, f 111.

الشيعة التي قام بها الجنرال دونغرييه (De Negrier)؛ حين قام بنسف قبة سيدي الشيخ المتواجدة بالأبيض سيدي الشيخ وعبث بقبره، لم يجد الشعابنة طريقةً مناسبة للرد على تصرفاته سوى بناء قبة سيدي الشيخ عندهم في المكان الذي صلى فيه في مدينة متليلي<sup>(1)</sup>. وهي لا تزال موجودةً لحد الآن في حي شعبة سيدي الشيخ.

وهكذا نرى بأنّ شعابنة متليلي قد استجابوا لنداء الشيخ بوعمامة وانخرطوا في هذه الثورة بكل قوة، بل عملوا على توسيعها إلى منطقة ميزاب والشبّكة، مما جعل سلطات الاحتلال تشعر بالقلق من تزايد نفوذ بوعمامة بين شعابنة متليلي، وتوسّع ثورته نحو الصحراء الوسطى والشرقية للجزائر.

كما يمكن تفسيرُ الاستجابة السريعة والقوية لشعابنة متليلي لنداء الثورة بالعلاقة الروحية والدينية التي كانت تجمعهم بأولاد سيدي الشيخ سواء الشراقة أو الغرابة كما مر بنا في الفصل الأول، وكذلك احترامهم وتبجيلهم لزعماء الطرق الصوفية، إضافةً إلى نزعتهم الاستقلالية والتي جعلتهم يستجيبون لنداء كل تائر كما رأينا سابقاً.

## 2- رد فعل الاستعمار الفرنسي:

أمام هذا الموقف المتحدي لسلطات الاحتلال والمؤيد لثورة بوعمامة لم تجد سلطات الاحتلال بُدّاً من توجيه حملة عسكرية ضد شعابنة متليلي، وذلك بهدف منع الثورة من التمدد في المنطقة من جهة، وأيضاً لقطع الامداد البشري واللوجستي الذي كانت تتلقاه من شعابنة متليلي من جهة أخرى. كما أنّها توجت عملياتها العسكرية في المنطقة بإلحاق ميزاب.

### أ- حملة العقيد بيلان وخليّة متليلي:

بدأت القوات الفرنسية تعترض القوافل الشعابنية المتجهة إلى بوعمامة؛ فقد شنت القوات المخزنية لبريزينة في شهر أوت 1881، هجوماً عنيفاً على مجموعة من الثوار الشعابنة كانوا مخيمين قرب بريزينة، وقد جاء في تقرير الحكومة العامة للجزائر أنّ هذا الدرس القاسي الذي تلقاه شعابنة متليلي سيجعلهم يصرفون النظر عن المشاركة في أي حركة ثورية مستقبلاً، خاصة أنّ هذا الهجوم

(1) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, t2, p862 .

قد قام به المخزن التابع لأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وأنّ شعابنة برزقة لا زالوا أتباعهم الدينيين الأكثر إخلاصاً، حسب ما ورد في التقرير.<sup>(1)</sup>

أما العمل العسكري الأهم فكان تلك الحملة العسكرية الضخمة التي استهدفت عاصمة الشعابنة متليلي؛ ففي يوم 15 نوفمبر 1881 تحرك طابور العقيد بيلان (Belin) من الأغواط نحو متليلي، ويذكر فيلار أنّ الطابور الفرنسي عند دخوله إلى متليلي لم يجد في القصر ولا حتى في الواحة سوى ثلث السكان من الذين صدّقوا وعود بيلان بأنه لن يقوم بعمل عقابي ضد من يمكث في المدينة ويتخلى عن الثورة، الثلث الآخر كان بالفعل مع الثورة، أما الثلث الباقي فقد خرج من المدينة خوفاً من الانتقام.<sup>(2)</sup> وهو ما أكده تقرير الحكومة العامة حين أشار بأنّ شعابنة متليلي، كانوا مستقرين مطلع شهر نوفمبر في القسم الجنوبي لوادي زرقون خارج مدينة متليلي.<sup>(3)</sup> وهذه هي الحليّة الرابعة لمتليلي.

#### ب- إلحاق ميزاب:

إنّ انقسام القصور الميزابية إلى صفتين شرقي وغربي كان العامل الأبرز في دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة؛ فبعد سقوط الأغواط ودخول القوات الفرنسية إليها يوم 8 ديسمبر 1852، كان الصف الغربي يحكم ميزاب وكان الصف الشرقي ضعيفاً، فسعى هذا الصف الأخير إلى الاستواء بالفرنسيين، فذهب وفدٌ منه إلى حكام الأغواط الجدد عارضين عليهم ولاء القصور الميزابية مقابل ضمان عدم احتلال ميزاب والمحافظة على هوية وطابع المنطقة. ويبدو أنّ الحاكم العام للجزائر قد أعطى لهم عهداً عرف فيما بعد بمعاهدة الحماية في 29 أبريل 1853،<sup>(4)</sup> وكان هدف سلطات الاحتلال هو تحييد بني ميزاب عن أي مواجهة محتملة مع سكان المنطقة.

(1) - Gouvernement Générale de l'Algérie: Situation politique de l'Algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 MI 91.

(2) -P. Vellard: Op.cit, f 111.

(3) - Gouvernement Générale de l'Algérie: Situation politique de l'Algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 MI 91.

(4) -Mr le Général du Subdivision de Médéa: Rapport sur l'Anexion du M'zab et sur l'Organisation politique et administrative du Cercle de Ghardaia, Rapport à Mr le Gouverneur General d'Alger, Medea : 26/01/1883, ANOM GGA 50 II/261. f 7.

لكنّ احتدام الصراع بين الصفيين، وحرصَ الصف الغربي على مساندة ثورة الشيخ بوعمامة بالسلاح، ومساعدةً الثائرين في المنطقة؛ خاصة لما قام أنصاره في بريان بإيواء الثائر أحمد بن احمد ورفقائه من شعانبة متليلي لما هربوا من سجن الجلفة في أواخر سنة 1881، جعلت سلطات الاحتلال تتذرع بمثل هذه التصرفات لإلحاق منطقة ميزاب.<sup>(1)</sup>

إنّ كلّ تلك الأحداث أرغمت سلطات الاحتلال على إعادة النظر في هذه المعاهدة، فجهزت حملة عسكرية قادها الجنرال دولاتور القائد العسكري لعمالة المدية، ودخلت غارداية يوم 17 نوفمبر 1882. ويذكر الراحل روبين (Robin) أنّ العمالّ والبنائين المرافقين للحملة شرعوا مباشرة في بناء البرج العسكري والمبنى الإداري، ليصادق الرئيس الفرنسي على قرار انشاء دائرة غارداية يوم 21 ديسمبر 1882، تضم كلا من فدرالية ميزاب وأغوية ورقلة وشعانبة متليلي وشعانبة المنبوعة.<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ الغرض من إلحاق ميزاب ليس الانتصار للصف الشرقي في صراعه مع الصف الغربي فحسب، وإنما أفضّل لتشديد الرقابة على شعانبة متليلي؛ لذلك فإنّ زوزو يجعل من نتائج المرحلة الأولى لثورة بوعمامة هو إلحاق منطقة ميزاب إلحاقاً نهائياً، بسبب التحاق قبائل الشعانبة التابعة لهذه المنطقة بالثورة.<sup>(3)</sup> ولتثبيت دعائم الوجود الفرنسي في المنطقة، فقد قام الحاكم العام للجزائر بزيارة إلى غارداية في جانفي 1884.<sup>(4)</sup>

### ثانياً: مرحلة المواجهة الغير مباشرة: 1908-1883

إنّ هذه المرحلة التي غلب عليها الجانب السياسي وتبادل الرسائل المفاوضات تنقسم إلى مرحلتين: مرحلة لدول 1883-1896، ومرحلة المغرب 1896-1908.

---

وللاطلاع على بنود المعاهدة. أنظر: محمد عيسى بن ابراهيم: مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب، مطبعة النهضة، تونس 1951، ص ص 178-180.

(1) -Charles Amat: Op.cit, p25.

(2) -Le commandant Robin: Le M'zab et son Annexation à la France, Adolphe Jouran Libraire-Editeur, Alger 1884, p40.

(3) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج1، ص 34.

(4) -Charles Amat: Op.cit, p76.

## 1- مرحلة دلدول 1883-1896

بعد سنة 1883 تراجع زخمُ الثورة وغلب عليها الجانبُ السياسي من مراسلات ومفاوضات مع الفرنسيين. وهذا ما لم يكن محل رضى الشعانبة الذين انسحب أغلبهم من جيش بوعمامة ولم يبق معه سوى 60 خيمة حسب الوثائق،<sup>(1)</sup> ويذكر فيلار أنه بعد انسحاب الشيخ بوعمامة نحو فيقيق<sup>(2)</sup> تخلّى عنه جزء كبير من الشعانبة.<sup>(3)</sup>

وقد استغلت السلطات الاستعمارية الهدوءَ السائدَ المناطق في الصحراوية في هذه الفترة، وعملت على زيادة نفوذها من خلال تكثيف البعثات الاستكشافية والعلمية، وإطلاق مشاريع تنموية. وفي هذا الإطار يدخل مشروع الرائد رين (Rinn) مستشار الحكومة؛ الذي اقترح أمام غرفة المنتخبين سنة 1887، والقاضي بالإسراع في إنجاز خطوط سكة الحديدية المتجهة جنوباً نحو الصحراء؛ منها خط الوسط المتجه إلى الاغواط أولاً، ثم منها إلى متليلي.<sup>(4)</sup>

لكن الشيخ بوعمامة اكتشف ممانلة الفرنسيين، وسوء نيتهم في إحلال السلام بين الطرفين، وأنّ قصدهم بإعطاء الأمان هو تسليم نفسه بدون قيد أو شرط، مع إحالته على العدالة للنظر في الدور الذي أداه في الحوادث التي جرت بالجنوب الوهراني.<sup>(5)</sup>

لذلك، وجدنا أنه بعد مرور خمس سنوات على استقراره في دلدول، بدأ بوعمامة يعيد التواصل مع القبائل الكبرى في الصحراء بهدف بعث الثورة من جديد، وتذكر الوثائق أنه راسل قياد شعانبة متليلي محمد بن فرجالله، قويدر بن التقار، والقايد علي بن حروز يطلب منهم الالتحاق به والتعاون معه.<sup>(6)</sup>

(1) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج2، ص 77.

(2) - وصل بوعمامة إلى فيقيق منتصف شهر جويلية 1883، وبعد ضغوط السلطات الفرنسية على سلطان المغرب اضطر إلى اللجوء إلى واحة دلدول مع نهاية سنة 1883.

(3) -P. Vellard: Op.cit, f 112.

(4) -Alfred G. Martin: L'action Française dans Le Sahara, In, R. A., V 37, 1893, p 352.

(5) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج2، ص 11.

(6) - نفسه، ج2، ص 61.

وقد استجاب شعاعبة متليلي لنداء بوعمامة، وأعادوا التواصل معه كما كان سابقاً، وتوالت عليه زيارات وفود شعاعبة برزقة، وقد نظم الشاعر سيد المهناي من أولاد سيدي الشيخ قصيدةً في الشعر الملحون صوّر فيها مآثر الشيخ بوعمامة، والقبائل التي انضمت إليه وناصرته حينما كان في دلدول خاصة شعاعبة متليلي؛ ومما جاء فيها:

ايجوه الواردين من برّ السودان  
وايجوه الزايرين من عرش حميان  
واتجي الشعاعبة كي الشايب والشبان  
جا المنيعي واجريري والعطوان  
واتجيه لركاب من اطراي وايزادي  
واتجي لعمور لشيخه كلش مهدي  
أهل النية ذاك جايلو ذا غادي  
واتجي لركاب شامي أوبغادي<sup>(1)</sup>

وهذا ما أدخل السرور والغبطة لدى بوعمامة؛ الذي لم يجد بُدّاً من توثيق الصلة الروحية مع شعاعبة متليلي برابطة النسب والمصاهرة؛ فقبل سنة 1890 كانت ربيعة بنت عمه المنور زوجته الوحيدة قبل أن يقرّر الزواج من امرأة ثانية من أولاد علوش من شعاعبة متليلي؛ وهي أم ولده الصغير؛ العربي.<sup>(2)</sup>

ومع نهاية سنة 1890 أصبحت التقارير الصحفية تحذر من أن بوعمامة اللاجئ في دلدول قد بدأ يخطط للثورة من جديد، مطالبةً الحكومة بأخذ التدابير اللازمة لمواجهة الوضع. لذلك أصدرت الحكومة الفرنسية يوم 12 ديسمبر 1890 قراراً بالتوسّع نحو أقصى الجنوب. وحسب صحيفة الفانوس الصغير (Le petit fanal) فإنّ هذا القرار قد اتخذ بعد المحادثات الشاقة التي خاضها الحاكم العام للجزائر السيد تيرمان مع وزير الشؤون الخارجية السيد ريبو (Ribot).<sup>(3)</sup>

وفي مراسلة تيرمان إلى وزير الداخلية المؤرخة بيوم 9 ديسمبر 1890، اقترح خلق ملحقة المنيعية وتدعيمها بحامية عسكرية دائمة، وكان مقرراً أن يزور تيرمان المنيعية بهدف اللقاء مع سي قدور بن حمزة أو ربما حتى بوعمامة، إلا أنّ الزيارة أُجّلت حسب صحيفة الرابطة الجزائرية (La Ligue Algérienne).<sup>(4)</sup>

(1) - محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج2، ص 466.

(2) - H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p435 .

(3) - Anonyme: En route vers le lac Tchad, In, Le Petit Fanal, 21/11/1890.

(4) - C. Alan: Voyage du Gouverneur, In, La Ligue Algérienne, 18/12/1890.

إنّ الاستجابة الكبيرة التي تلقتها دعوة بوعمامة والنفاف شعابنة متليلي حوله ومصاهرتة لهذه القبيلة قد جعلت المسؤولين في باريس يدقون ناقوس الخطر حول مستقبل فرنسا في الصحراء؛ فقد جاء في مراسلة رئيس المجلس وزير الحرب الفرنسي إلى وزير الداخلية والمؤرخة بباريس يوم 17 فيفري 1891 مايلي: "يجب التحذير من التحالفات التي تحدث بين قبائل الجنوب؛ خاصة الشعابنة، مع الثائر بوعمامة الذي أصبح تأثيره عليهم يزداد يوماً بعد يوم."<sup>(1)</sup>

كما استخلصت نفس المراسلة بأنّ بذور الثورة منتشرة في كامل الجنوب، ولمواجهة هذه الثورة المتنامية فقد أمر وزير الحرب، وكإجراء أولي، بوضع طابور عسكري متحرك في المنيعه لإرجاع الشعابنة إلى النظام. وأضافت المراسلة: "... يجب التحضير في أقرب وقت لتأكيد سيطرتنا على مناطق قورارة توات وعين صالح لقطع الطريق أمام الأطماع المغربية. إنّ المرحلة الأولى لهذا المشروع قريت من الانتهاء بتنفيذ احتلال المنيعه... فيما يخص العمليات العسكرية نحو قصور ووحدات أقصى الجنوب ستؤخر بسبب الحرارة الشديدة إلى غاية شهر أكتوبر القادم."<sup>(2)</sup>

ولتأكيد احتلالها للمنيعه سنة 1891، فقد قام الحاكم العام للجزائر الجنرال كومبون بزيارة لها في مارس 1892، مرفوقاً بالجنرال توماسين عضو المجلس الأعلى للحرب في الجزائر، والتقيا هناك بسي قدور بن حمزة.<sup>(3)</sup>

وذكرت جريدة المبرشر الحكومية أنّ كومبون، في طريقه إلى المنيعه، قد دخل متليلي يوم 23 فيفري 1892 مرفوقاً بالجنرال توماسين والآغا لخضر وسي حمزة، ومحمياً بفيلقين من قناصة افريقيا وفيلق من الصبائية، وكان الموكب مكوناً من 189 جملاً و60 قناصاً. وأنّ الموكب لقي ترحيباً من شعابنة متليلي، كما وصفت وضع المدينة بأنه عموماً لا بأس به.<sup>(4)</sup>

أما صحيفة الوقت (Le Temps)، الغير حكومية، فتشير إلى عكس ذلك تماماً؛ فبعد أن وصفت شعابنة متليلي بأنهم عمال نشطون وهادئون، إلا أنها أردفت بأنّ وضعهم غير مطمئن،

---

(1) -Mr Le président du conseil Ministre de guère: Au sujet de la situation politique dans l'extrême sud de l'Algérie, Correspondance à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 8090, Paris 17/02/1891, ANOM F80 1695, f1.

(2) -Ibid, f3.

(3) -Alfred G. Martin: Op.cit, p 342.

(4) - Anonyme: Voyage du Gouverneur, In, Le Mobacher, 27/02/1892.

بسبب تدهور التجارة التي عوضها شعانة متليلي بترية ورعي جمال الحرب. كما أنّ تناقص أعداد العبيد السود قد أثر على محاصيل جني التمور في واحة متليلي. لكنها لم تُخفِ قلقَ الحكومة من تمرد بعض خيام شعانة برزقة الذين لجؤوا إلى بوعمامة.<sup>(1)</sup>

لكن موازاةً مع منهج القوة العسكرية ومحاولة فرض الأمر الواقع في المناطق الجنوبية، فقد عمدت سلطات الاحتلال إلى تكثيف ضغوطها على سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيد لشيخ الشراقة لاستسلامه لعلها تتمكن من إبعاد الشعانة عن بوعمامة من جهة، ومن جهة أخرى فقد كثفت اتصالاتها مع الشيخ بوعمامة لأخذ الأمان وانهاء تمرد.

وقد تمكنت السلطات الاستعمارية من النجاح في انجاز الشق الأول من هذه الخطة؛ فعندما دخل كومبون المنيعه يوم 29 فيفري 1892، قام سي قدور بن حمزة بمغادرة مخيمه في الجنوب الوهراني وقدم لملاقاة الحاكم العام، وقدم له جواد "القادة" كدليل على خضوعه واعترافه بسلطة فرنسا.<sup>(2)</sup>

كما أنّ قايد شعانة المواضي أعلن خضوعه وقدم له مهرياً أبيضاً غالي الثمن. وتذكر التقارير الصحفية أنّ سي لخضر قايد الارباع وسي حمزة بن بوبكر قايد ستين والزعيم الديني لأولاد سيدي الشيخ الشراقة سي قدور بن حمزة، كلهم رافقوا موكب الحاكم العام عند عودته من المنيعه.<sup>(3)</sup>

أما الشق الثاني من الخطة وهو، خضوع بوعمامة وأخذ الأمان فلم يتحقق، بسبب الصراع الذي كان بين أجنحة سلطات الاحتلال في الجزائر؛ فقد كان الحاكم العام للجزائر يساير السياسة العامة لحكومة باريس؛ والتي أرسلت عبر وزير الشؤون الخارجية إلى الوزير المقيم في طنجة تفويضاً لإعطاء الأمان لبوعمامة لينتقل إلى المخيم الذي أعد له على بعد 80 كلم جنوب غرب المنيعه،

---

(1) - Anonyme: Affaire Coloniale Algérie, In, Le Temps, 25/02/1892.

(2) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 07/03/1892.

(3) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 08/03/1892.

وذكرت بعض التقارير الصحفية أنّ زيارة الحاكم العام للجزائر إلى المنية كانت بهدف اجراء محادثات مباشرة مع الشيخ بوعمامة.<sup>(1)</sup>

لكن بوعمامة الذي غادر دلدول، واقترب من المخيم الذي أُعدّ له قرب المنية، قرر العودة من جديد إلى دلدول، ورغم التحفيزات الممنوحة له لاستسلامه إلا أنه فضل اللجوء إلى التراب المغربي. وهذا ما أجبر الحاكم العام كومبون على أن يشدّ الرحال فجأة نحو ورقلة، بعد ما كان من المقرر أن يمكث يومين في المنية منتظرا بوعمامة.<sup>(2)</sup>

ويبدو أنّ القادة العسكريين في الميدان قاموا بإفشال هذا الاتفاق رغم أنّ بوعمامة كان مُجداً في مفاوضاته لأخذ الأمان وتوقيف الثورة؛ فتذكر التقارير الصحفية أنه خلال شهر مارس 1892 بعث بوعمامة موفده إلى غارداية حاملا رسائل طلب الأمان، إلا أنه تم حبسه، ثم أطلق سراحه قبل أيام من زيارة الحاكم العام والجنرال توماسين (Thomassin)؛ حيث تمّ التعامل معه على أنه جاسوسٌ ومحتالٌ، وليس مبعوثاً للتفاوض.<sup>(3)</sup>

ورغم ذلك، فعندما وصل الحاكم العام إلى المنية، كان بوعمامة على بعد 150 كلم، لكن الخطأ الذي ارتكبه الجنرال أو الحاكم العام هو اصطحابهما لسي حمزة المعين آغا لجبل عمور العدو اللدود لبوعمامة، وكذلك تحالفهما مع سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة. وهذا ما جعل بوعمامة يعود أدراجه. ويذكر المحلل بصحيفة الأخبار (Akhbar)؛ السيد لاقادي (Eng. Lagadee)، أنّ بوعمامة قام بعد ذلك بمدة بإرسال عدة مبعوثين إلى المكتب العربي بالمنية، لكن لم يتمّ الترحيبُ بهم. لماذا؟ هذا ما يمكن للجنرال أو الحاكم العام الإجابة عليه. ويضيف معلقاً على كل هذه الأحداث بقوله: "... لكنّ الشعب لم يجد التبريرات الكافية لتفسير رفض المحادثات مع بوعمامة. لكننا نظن وبدون شك أنّ السلطات لو تصرفت بشكل مختلف لَكُنّا اليوم أسياداً على توات وبدون طلقة رصاص."<sup>(4)</sup>

---

(1) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 24/03/1892.

(2) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 10/03/1892.

(3) - Eng. Lagadee: L'affaire du Touat, In, Akhbar, 30/09/1894.

(4) - Ibidem.

إنّ هذا الطرح الصحفي يثبت أنه كان هناك صراعٌ بين أصحاب المصالح في الجزائر؛ أي العسكريين وغلاة الكولون من جهة، والسياسيين المؤيدين لباريس من جهة أخرى. فبينما كان يرى العسكريون والكولون أنّ أيّ اتفاق مع بوعمامة سيعطي ضماناتٍ وامتيازاتٍ لبوعمامة وللقبائل الجزائرية المتحالفة معه، وهذا ما يتنافى مع عقيدتهم الانتهازية والاستغلالية، كان السياسيون يحرصون على مد النفوذ الفرنسي في المناطق الجنوبية؛ خاصة الحدودية وانتزاعها من أيدي طموحات البلاط المغربي.

ويبدو أنّ القادة العسكريين كانوا يعولون على الصراع بين الصنفين؛ الشرقي والغربي، الذي كان على أشده في عائلة أولاد سيدي الشيخ، ويمكننا أن نستشف ذلك مما ورد في مراسلة الحاكم العام تيرمان إلى وزير الداخلية والمؤرخة بيوم 9 ديسمبر 1890: "لقد طالبنا أولاد سيدي الشيخ بخطف بوعمامة"<sup>(1)</sup>

لذلك فضلوا تقوية نفوذ أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ظناً منهم أنهم لازالوا أسياداً على قبائل الصحراء؛ خاصة الشعابنة، لكنهم لم يكونوا يتوقعون أن ينقلب الشعابنة على "أسيادهم" ويفضلوا بوعمامة.

وقد جاء في صحيفة الوقت أنّ بوعمامة بعد أن قرر العودة إلى دلدول، جمع زمالته وفرّ نحو المغرب، وأضافت الصحيفة أنّ "هؤلاء الرعاة الشعابنة أصبحوا مؤخراً كلهم متمردين، وسنعمل على إخضاعهم شيئاً فشيئاً، وذلك بتعزيز ولائهم لأولاد سيدي الشيخ الشراقة خوفاً من انضمامهم إلى بوعمامة."<sup>(2)</sup>

وقد فسر دي لامارتيينار (De La Martinière) موقفَ شعابنة متليلي من بوعمامة بقوله: "منذ بضعة سنين، أصبح شعابنة متليلي لا يدفعون الأموال والهدايا لأولاد سيدي الشيخ الشراقة كما كانوا من قبل، وأصبحوا لا يولونهم اهتماماً كبيراً. والسبب هو أن الشعابنة، المتطلعين دائماً للاستقلال والثورة، أصبحوا لا ينظرون بعين الرضى لخضوع أولاد سيدي الشيخ لفرنسا. لأنهم كانوا دائماً ينظرون لأولاد سيدي الشيخ كأبطال تحرير الجنوب فإذا بهم يغادرون الميدان

(1) -Louis Tirman: Voyage du Gouverneur à Goléa, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 1684, Alger 09/12/1890, ANOM F80 1695, f1.

(2) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 24/03/1892.

ويقبلون ولو ظاهرياً بهيمنة فرنسا... إنّ الشعابنة غيروا وجهتهم نحو هذا الذي لازال ثائراً منذ خمس عشرة سنة؛ أي بوعمامة.<sup>(1)</sup>

بل إنّ هناك بعض التقارير العسكرية تفيد بوقوع صدامات مسلحة بين الشعابنة وزعماء أولاد سيدي الشيخ الخاضعين لفرنسا، فقد جاء في مراسلة الحاكم العام للجزائر كومبون إلى وزير الداخلية المؤرخة بالجزائر يوم: 4 فيفري 1892، بأنّ مجموعةً من أولاد سيدي الشيخ تحت قيادة محمد بن العربي الرقّاني قد اشتبكت مع ثلاثة من شعابنة بوعمامة قرب قصر بن غازي في منطقة قورارة.<sup>(2)</sup>

كان هؤلاء الشعابنة يقودون ثمانيةً وثلاثين رجلاً كانوا قد نهبوهم من أرباع الاغواط، وقد قام أولاد سيدي الشيخ باسترجاع الجمال بعدما قتلوا شعابنيا منهم، كما قام الرقّاني بملاحقة الاثنين الآخرين، إلا أنّهما نجحا في الفرار. ولما التحقت بالرقّاني مجموعته، وجدته مقتولاً؛ بعدما تمكن الشعابنيان الفاران من قتله وأخذ فرسه وبنديته. وحسب ذات المراسلة فإنّ بوعمامة قام من الغد، وكبادة حسن نية من طرفه، بإرجاع بنديته وفرس محمد بن العربي الرقّاني إلى مجموعته.<sup>(3)</sup>

والظاهر أنّ نظرةً السياسيين في باريس كانت على صواب؛ فعيون السلطان المغربي كانت ترقب تطوّر الأحداث في منطقة توات، وتحشى من أيّ عمل عسكري فرنسي في هذه المناطق، يُستشف ذلك من مراسلة الحاكم العام للجزائر تيرمان إلى وزير الداخلية المؤرخة بيوم 23 فيفري 1891؛ حيث جاء فيها بأنّ السلطان مولاي حسان قد بعث برسالة إلى أهالي قورارة يأمرهم فيها بطرد بوعمامة من أرضهم، كما بعث أيضاً برسالة في نفس المعنى إلى بوعمامة بواسطة قايد فيقيق.<sup>(4)</sup>

---

(1) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p862 .

(2) — يتبع هذا القصر المهدم زاوية دلدول مقر بوعمامة وليس بعيداً عنها، كما ورد في المراسلة.

(3) -Jules Cambon: On signale le meurtre du chef d'une caravane des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 303, Alger 04/02/1892, ANOM F80 1695.

(4) -Louis Tirman: Nouvelles concernant Bou Amama, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 1332, Alger 23/02/1891, ANOM F80 1695, f2.

وجاء في نفس المراسلة: "أن أهالي قورارة قد أبدوا قلقهم بشأن تحركات بوعمامة، وتخوفهم من أن تُتخذ ذريعةً لحملة فرنسية لمعاينة الثوار على أراضيهم. وأنّ نفس التفسيرات موجودة لدى بلاط فاس الذي أمر باتخاذ المبادرة نحو المناطق المستقلة في قورارة توات وتيدكليت. وحسب مصادر موثوقة فإن الحكومة المغربية تسعى إلى اعلان اعترافها بضم مناطق قورارة إليها.<sup>(1)</sup>

كما أنّ أولاد سيدي الشيخ الشراقة؛ الذين لم ينجحوا في ثني الشعانبة عن الخروج مع بوعمامة، لم ينجحوا أيضا في تسهيل دخول أهالي توات تحت النفوذ الفرنسي.

وحسب الصحافة الفرنسية، فإنّ بربر تميمون<sup>(2)</sup> عندما بلغهم نبأ اقتراب المهمة الفرنسية التي يتزعمها سي قدور بن حمزة؛ والتي تتمثل في البحث عن ممثلين لنقلهم إلى البيض ومنها إلى مدينة الجزائر، وتخوفاً من أولاد سيدي الشيخ، فقد سارعوا بإرسال وفد نحو المغرب مطالبين بتحريك السلطان. ونتيجة لهذه الخطوة، قام السلطان المغربي بتعيين قايدين؛ الأول على منطقة تميمون، والآخر على منطقة أوقروت.<sup>(3)</sup>

## 2- المواجهة العسكرية:

أمام هذه الظروف، لم يجد بوعمامة بُدّاً من الاتجاه نحو فيقيق، ورغم أنه حرص على المحافظة على حبل التواصل مع سلطات الاحتلال بهدف تغطية تحرك زمالته من دلدول نحو فيقيق، إلا أنّ أنصاره الشعانبة نفذوا عدة هجومات على الأهداف الفرنسية، من مراكز وحصون عسكرية، وقاموا بقطع الطرق الصحراوية عن القوافل التجارية والاستكشافية وغيرها.

### أ- هجومات مكماهون:

لقد حرصت سلطات الاحتلال، منذ صدور قرار الحكومة الفرنسية، يوم 12 ديسمبر 1890، بالتوسع جنوبا، على اقامة الأبراج والحصون العسكرية المتقدمة في عمق الصحراء؛ فبعد إلحاق المنيعَة إداريا وعسكريا سنة 1891، أصدر الحاكم العام للجزائر أمرا بتشديد حصن

(1) -Ibid, f3.

(2) - حسب ما ورد في تقرير تيرمان السابق، فإن بربر تميمون لم يكونوا متحمسين لطاعة أولاد سيدي الشيخ بسبب تصرفات بعض زعمائهم تجاههم، بينما كان العرب مؤيدين لأولاد سيدي الشيخ.

(3) - Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 10/03/1892.

عسكري ضخم في حاسي عامر<sup>(1)</sup>؛ وهي بئر مائي على الطريق بين المنيعة وتوات، وقد أطلق اسم مكماهون على هذا الحصن تيمناً بالحاكم السابق للجزائر الماريشال مكماهون (Mac-Mahon)<sup>(2)</sup>.

وبقرار جديد صادر من طرف كومبون في 15 ديسمبر 1893، دُعِم مكماهون بحصن حاسي اينيفل (Inifel)<sup>(3)</sup>. وفي شتاء 1894، تم اطلاق اسم ميريبال (Miribel) على حصن عسكري آخر تم بناؤه على النقطة المائية المسماة حاسي الشبابة<sup>(4)</sup> وهي أبعد من مكماهون جنوباً، على الطريق بين المنيعة وعين صالح<sup>(5)</sup>، وقد تم تخصيص فرقتين عسكريتين تضم كل منها مئات الجنود؛ واحدة تعمل في حاسي عامر (حصن مكماهون)، والأخرى في حاسي الشبابة (حصن ميريبال)، ومن ورائهما خط امداد يصل الحصنين بالمنيعة.<sup>(6)</sup>

اعتبر سكانُ الجنوب هذه الحصون العسكرية الممتدة في العمق خطراً أصبح يتهدد استقلالهم ومصالحهم، ويعزز النفوذ العسكري الفرنسي في الجنوب، لذلك أضحت هذه الحصون هدفاً مفضلاً لهجماتهم؛ خاصة حصن كمهون.

---

(1) - حاسي عامر (Mac-Mahon): تقع على بعد 160 كلم جنوب غرب المنيعة، في واد مقيدن في طريق قورارة. أنظر: Anonyme: Dictionnaire des communes de l'Algérie, p92.

(2) - مكماهون (Mac-Mahon Marie Maurice de): دوق ماجينتا، ماريشال فرنسا، الحاكم العام للجزائر، والرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية، ولد سنة 1808، شارك في اقتحام القوات الفرنسية لقسطنطينة سنة 1837، وعين قائدا عسكريا لها، كما شارك في عدة عمليات في الجزائر خاصة في الهجوم على منطقة القبائل سنة 1857، عين يوم 1 سبتمبر 1868 حاكما عام للجزائر، استدعي سنة 1870 إلى فرنسا لمواجهة الألمان. أنظر: Narcisse Faucon: Le Livre d'Or de l'Algérie, pp 407-410.

(3) - حاسي اينيفل (Inifel): تقع على بعد 150 كلم جنوب شرق المنيعة على واد مية عند تقاطع واد اينسوكي، أنظر: Anonyme: Op.cit, p93.

(4) - حاسي الشبابة (Miribel): تقع على بعد 133 كلم جنوب المنيعة على طريق عين صالح عبر تادمايت، أنظر: Anonyme: Op.cit, p92.

(5) - تشتمل البناية على خمس وعشرين غرفة، حولته شركة كوتيلون إلى فندق سنة 1930. أنظر: عاشور شرفي: معلمة الجزائر، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 1381.

(6) - Guy Léon: Dans le sud, In, La Dépêche Algérienne, 21/10/1893.

وحسب ما توفر لدينا من وثائق فإنّ أول وأعنف هجوم تعرض له هذا الحصن كان يوم 7 سبتمبر 1894، حين قام خمسون شعانيا بالاستيلاء على قطع حصن مكماهون يضم 93 بقرة و377 شاة.<sup>(1)</sup>

ومن الغد أغاروا على قافلة تموين في حاسي بوخنفوس، والتي تقع على بعد 45 كلم شرق وشمال شرق مكماهون، في منتصف الطريق بين المنيعة وحصن مكماهون، هذه القافلة التي كانت متوجهة نحو مكماهون، ضمت 600 جمل محملا بالمواد التموينية ويجرسها 100 جندي تحت قيادة الملازم دولا سالف (De la Selve). وقد قال المهاجمون لسائقي جمال القافلة بأنهم يعملون لصالح بوعمامة، لذلك قام عدد كبير من سائقي الجمال بالهروب خوفاً من المهاجمين أو متواطئين معهم. كان نتيجة الهجوم على قافلة مكماهون مقتل خمسة جنود؛ فرنسيان، صبايحي، ومجندان من الأهالي، وجرح العديد تم اسعافهم بعد الدخول إلى حصن مكماهون.<sup>(2)</sup> بينما فقد الشعابنة عشرة قتلى.<sup>(3)</sup> كما أنّ صندوق النقود الذي كان يحتوي على 4000 فرنك قد فقد إضافة إلى طعام الملازم.<sup>(4)</sup>

وذكرت بعض التقارير الصحفية الفرنسية أنّ الهجوم وقع في العاشرة مساء حين قام الجنود بوضع أمتعتهم وأسلحتهم للتخيم والاستراحة؛ حين تفاجؤوا بهجوم الشعابنة الذين كانوا مختفين في الآبار.<sup>(5)</sup>

ورغم هذه الخسائر المادية والمعنوية التي فقدها جيش الاحتلال، إلا أنّ ما أدهش المسؤولين الفرنسيين وقتّ في عضّضهم، هو التواطؤ الذي اكتشفوه من قبل حراس وقواد جمال القافلة، والذين كان أغلبهم شعابنة مع إخوانهم المهاجمين؛ فقد ورد في مراسلة الحاكم العام للجزائر إلى رئيس المجلس ووزير الداخلية والثقافة حول هجوم مكماهون، والمؤرخة بيوم 14 سبتمبر

---

(1) -A. Cauneille: les chaanba leur Nomadisme, p258.

(2) - Anonyme: L'affaire du fort-Mac-Mahon, In, La Dépêche Algérienne, 20/09/1894.

(3) - Ed. Dechaud: Dans L'extrême-Sud, In, Akhbar, 19/09/1894.

(4) - Anonyme: L'affaire du fort-Mac-Mahon, In, La Dépêche Algérienne, 20/09/1894.

(5) - Ed. Dechaud: Dans L'extrême-Sud, In, Akhbar, 19/09/1894.

1894: "وفي الأخير فإنّ موقفَ بعض المجندين القوم قد فاجأني بعد ما بلغني بأنّ حارس قطع مكماهون قد غادر منصبه."<sup>(1)</sup>

بينما كتب الصحفي بجريدة الأخبار؛ السيد ديشو (Dechaud)، ناصحاً قيادته بعدم استخدام الشعابنة في الفرق العسكرية وفي قيادة قوافل البعثات الاستكشافية، بأنّ "الشعابنة يشكّلون قوةً غيرَ منضبطة صعبة القيادة. فعلاقتهم مع مناطق تيديكلت وتوات المتمردة، تعصّبهم، طاعتهم لأوامر أولاد سيدي الشيخ، خداعهم في الأخير، يحتم علينا ألا نستخدمهم إلاّ بحذر، وبعده قليل."<sup>(2)</sup>

أما الرائد بيسوال فقد توصّل بتحرّياته حول حادثة الهجوم بمعلومات تفيد بأنّ حلفاء الأمس (الشعابنة)، حسب زعمه، أضحوأ أعداءً ويجب معاقبتهم بقسوة على الهجوم الأخير على قافلة مكماهون.<sup>(3)</sup>

وللرد على هذا الهجوم، فقد انطلق العقيد ديديه (Didier) من غارداية على رأس 600 مهرباً بهدف مطاردة مهاجمي حصن مكماهون، كما أنّ النقيب بارثيليمي (Barthélemy) انطلق من الأغواط لنفس الهدف على رأس 80 صبايحيا. ويذكر لاقادي بأنّ هناك العديد من الحملات جُهزت لمطارة الثوار الشعابنة، وأنّ العقيد ديديه قد تعرض لطلقات رصاص، وفقد بعض رجاله في هذه الحملات.<sup>(4)</sup>

كما أنّ حصن مكماهون قد تعرض بعد ذلك لعدة هجمات من طرف شعابنة بوعمامة؛ منها تلك التي وقعت في أوت سنة 1895؛ حيث قاموا بنهب ستين جملا من حصن مكماهون.<sup>(5)</sup>

---

(1) -Jules Cambon: Attaque de la colonne de relève de fort-Mac-Mahon, Rapport à Mr Le président du conseil Ministre de l'intérieur et des cultes, N 2234, Alger 14/09/1894, ANOM F80 1695, f7.

(2) - Ed. Dechaud: Dans L'extrême-Sud, In, Akhbar, 19/09/1894.

(3) - Ibidem.

(4) - Eng. Lagadee: L'affaire du Touat, In, Akhbar, 30/09/1894.

(5) -Gustave Regelsperger: Revue géographique Sud-Algérien et Sahara/In/ Revue encyclopédique, Larousse, Paris, 1890-1900, p108.

وقد تعرض الحصن لهجوم آخر سنة 1896؛ نستشف ذلك من مراسلة وزير الداخلية إلى رئيس المجلس حول الهجمات التي قام بها الشعانية. والمؤرخة بباريس يوم 24 أوت 1896: "أبلغني الجنرال القائد العام لعمالة وهران بحدوث هجومين من طرف مخيم بوعمامة، الأول نفذه ثلاثون شعانبياً استهدف من جديد حصن مكماهون، والثاني ضم أربعاً وعشرين شعانبياً استهدف أشغال حفر الآبار في منطقة العرق."<sup>(1)</sup> واستطردت هذه الوثيقة بهذا التعليق: "إنه الموسم المعتاد للهجمات على مواقعنا." وهو ما يدل على أنّ الثوار الشعانية؛ أنصار بوعمامة، كانوا يهاجمون دورياً هذه المواقع العسكرية الفرنسية المنتشرة في هذه المناطق.

### ب- مهاجمة البعثات الاستكشافية والعلمية:

لم تكن مهاجمة الحصون والأهداف العسكرية لوحدها هي ما قام به الشعانية، فقد قاموا أيضاً بالهجوم على الأهداف المدنية والشبه مدنية الفرنسية.

وقد ذكر روجيلسبيرجير (Regelsperger) أنّ المستكشف فرنوند فورو (Fernand Foureau) الذي غادر بسكرة يوم 28 مارس 1895 قد تعرض يوم 4 ماي في الابيوس لهجوم من مجموعة متكونة من أربع وعشرين رجلاً من الشعانية المتمردين، ومن الجرامنة، ومن أولاد بحمو، وأضاف أنّ السبعة وعشرين رجلاً المشكلين لقافلة فورو، وأغلبهم من شعانية ورقلة، رفضوا مقاتلة المجموعة المهاجمة لأنهم شعانية مثلهم فرفضوا مقاتلة إخوانهم.<sup>(2)</sup>

أما المستكشف دي موريس (De Mores) فقد قتل يوم 8 جوان 1896 في منطقة لوطاية بعد تعرض موكبه لهجوم من التوارق والشعانية المتمردين.<sup>(3)</sup> كما أنّ النقيب قولو (Gollot) قتل هو الآخر مع ثلاثة من مرافقيه يوم 31 أكتوبر 1896 على يد ثلاثة ثوار شعانية جنوب المنيعية، على طريق حصن ميريبال وذلك بهدف توقيف البريد.<sup>(4)</sup>

(1) -Jules Cambon: Au Sujet des attaques des Chaamba de Bou amama, Rapport à Mr Le président du conseil, Paris 24/08/1896, ANOM F80 1695, f1.

(2) -Gustave Regelsperger: Op.cit, pp 106-107.

(3) -Ibid, p108.

(4) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t3, p36. وللإطلاع على مختلف العمليات التي

قام بها الشعانية أنصار بوعمامة خلال الفترة من 1894-1896، أنظر الجدول المرفق في الملحق رقم 20.

أمام تزايد هذه الهجمات على الأهداف الفرنسية، وحتى على القبائل المتحالفة مع الفرنسيين، فقد قررت الحكومة العامة بالجزائر شنّ عملياتٍ عسكرية بهدف إعادة استتباب الأمن في المناطق الصحراوية، منها تلك العمليات الكبرى التي قام بها الرائد قودرون (Godron) في شهر ديسمبر 1896، ضد شعابنة بوعمامة؛ والذين لاحقهم حتى وادي زوزفانة قرب الحدود مع المغرب، كما أنّ سي قدور بن حمزة قد شارك في محاربة المتمردين الشعابنة التابعين لبوعمامة، وشن عليهم هجوماً في حاسي بوزيد.<sup>(1)</sup>

وأمام وصول الحملات العسكرية الملاحقة لأنصاره إلى مسافة قريبة من مخيمه على حافة وادي زوزفانة، وكإجراء وقائي، قرر بوعمامة التبرأ من الكثير من تلك الأعمال التي نفذها أنصاره الشعابنة وذلك بمراسلة الحاكم العام وحاكم غارداية وحاكم المنيعية مما جعل سلطات الاحتلال ترتاب في أمر بوعمامة.

وقد فسّرت بعض الوثائق الفرنسية السهولة التي وجدها الشعابنة؛ أنصار بوعمامة، في الهجوم على الأهداف الفرنسية بعدم توقّع سلطات الاحتلال لمثل تلك الهجمات، خاصة أنّها كانت تتواصل مع بوعمامة عبر المراسلات التي تحمل في طياتها نية السلم والأمان. وقد جاء في تقرير الحاكم العام للجزائر إلى رئيس المجلس ووزير الداخلية والثقافة حول هجوم مكماهون. والمؤرخ بيوم 14 سبتمبر 1894: "أن الذين قاموا بالهجوم على قافلة الإعاشة الموجهة لحصن مكماهون في حاسي بوخنفسوس ليسوا توارق، وإنما هم عصابة من الشعابنة المتمردين المحيطين ببوعمامة، هذا الأخير؛ الذي أرسل إليّ قبل شهرين رسالة مودة وسلام، لم يكن يتردد في إرسال رسائل مشابحة من حين لآخر، وهذا ما جعلنا نأمن من وقوع هجوماتٍ من هذا القبيل."<sup>(2)</sup>

ويمكن تفسير هذه الهجمات على أنّها إما تمت بغير علم ببوعمامة، وأنّ قبائل الشعابنة المؤيدة لبوعمامة كانت تتصرف من تلقاء نفسها، أو أنّ بوعمامة كان على علم بها، وكان يستغلّ تلك الهجمات لتكثيف الضغوط على سلطات الاحتلال للخروج بمكاسب أفضل في مفاوضاته معها.

(1) -A. Cauneille: Op.cit, p258.

(2) -Jules Cambon: Attaque de la colonne de relève de fort-Mac-Mahon, Rapport à Mr Le président du conseil Ministre de l'intérieur et des cultes, N 2234, Alger 14/09/1894, ANOM F80 1695, f7.

إنّ كلّ هذه الأحداث، وبسبب ضغوطِ البلاط المغربي وتعثّر المفاوضات مع سلطات الاحتلال الفرنسي، قد دفعت بالشيخ بوعمامة إلى الدخول إلى التراب المغربي مع أنصاره الذين ظلوا مرابطين معه، وبهذا تنتهي هذه المرحلة من مراحل الثورة لتنتقل الثورة إلى آخر مرحلة منها؛ وهي ما سنفصل فيه في المبحث التالي.

## المبحث الثالث:

### نشاط الشعانبة المرافقين لبوعمامة بعد دخوله المغرب.

لقد أفردنا آخرَ مرحلةٍ من مراحل ثورة بوعمامة بمبحث خاص لسببين: أولاهما لنبين أنّ الثورة لم تتوقف بلجوء بوعمامة إلى المغرب من جهة، ومن جهة أخرى لنسلط الضوء على الأعمال التي قام بها الشعانبة المرافقين لبوعمامة خلال آخر مرحلة من مراحل ثورته.

#### أولاً: لجوء بوعمامة إلى المغرب

مكث بوعمامة في واحة دلدول إلى غاية 1894 بعد أن جاءته عروض من السلطنة العلوية باستقدامه للاستقرار في زاوية أجداده في فيقيق. فبدأ رحلة العودة إلى مسقط رأسه والتي دامت سنتين بسبب الأعداد الهائلة المكونة لزمالته المتنقلة، وايضا التردد الذي وجدته لدى بعض القبائل المنضوية تحت لوائه في الصعود نحو الشمال، إضافةً إلى حذرهِ الشديد من السلطات الاستعمارية التي كانت تترصد به.

وقد أكدت التقارير الفرنسية خروج بوعمامة من دلدول واستقراره في فيقيق؛ منها مراسلة الحاكم العام للجزائر إلى رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية حول تحركات بوعمامة والتدابير المتخذة ضده، والمؤرخة بالجزائر يوم 26 أبريل 1896: "بوعمامة الآن هو متمركز في واد زوزفانة قرب فيقيق."<sup>(1)</sup> وكذلك مراسلة كومبون إلى رئيس المجلس وزير الزراعة والمؤرخة بالجزائر يوم 30 نوفمبر 1896 التي أشارت إلى أنّ بوعمامة لا يزال قرب الحمام الفوقاني (فيقيق) أين يتلقى الهدايا والزيارات من القبائل المجاورة خاصة من غيل والمهايات الذين أهدوا له جواداً.<sup>(2)</sup>

#### لكن ما هو موقف شعانبة متليلي؟

(1) -Jules Cambon: Au Sujet des agissements de Bou amama, Rapport à Mr Le président du conseil Ministre de Affaires Etrangères, N 1246, Alger 25/04/1896, ANOM F80 1695, f2.

(2) -Jule Combon: Nouvelles de l'Ouest, correspondance à Mr le président du conseil Ministre de l'Agriculture, N3507, Alger 30/11/1896, ANOM F80 1695, f2.

إنّ الهجمات التي نفذها شعابنة بوعمامة ضد الأهداف الفرنسية، قد اضطرت بوعمامة إلى التبرّأ من الكثير من تلك الأعمال بهدف تغطية انسحابه نحو المغرب، ونتيجةً لذلك؛ فقد انسحب بعضُ الشعابنة من معسكر بوعمامة، ويعضد ذلك ما ورد في مراسلة كومبون إلى رئيس المجلس وزير الزراعة والمؤرخة بالجزائر يوم 30 نوفمبر 1896 أنّ الشعابنة المتمردين المحيطين ببوعمامة فقد تخلوا عنه كلهم تقريبا، لأجل الانسحاب في سهل واد زوزفانة.<sup>(1)</sup>

لكن في المقابل، فقد كانت هذه المواقف من بوعمامة لا تعبّر بالضرورة عن موقفه الحقيقي من تصرفات أنصاره تجاه القوات والأهداف الفرنسية، وإنما قد يدخل ذلك ضمن سياسة التكتيك والمناورة التي دأب بوعمامة على اتخاذها تجاه سلطات الاحتلال؛ وهو ما أوردته بعض التقارير العسكرية التي جاء في بعضها أنّ "بوعمامة يخادعنا؛ ففي الوقت الذي يرسلنا لأخذ الأمان والسلام، فهو يرسل إما فاس وإما رؤساء القبائل للثورة ضدنا."<sup>(2)</sup>

كما أنّ تردد بعض شعابنة متليلي من الدخول معه إلى المغرب لم يكن بسبب "التبرّأ التكتيكي" لبوعمامة من أعمالهم الجهادية، وإنما بسبب التخوف من بعض القبائل المغربية؛ مثل قبائل البرابير؛ والتي كانت في حالة حرب وعداء معها منذ حملة شعابنة متليلي على مضاربها في إقليم تافاللت سنة 1875، لذلك فإنّ بوعمامة كانت تواجهه مشكلةً التوفيق بين القبائل الصحراوية التي كانت متحاربة مع بعضها، وفي نفس الوقت تؤيده، وتدعم ثورته.

ورغم العداء الشديد بين شعابنة متليلي والبرابير إلا أنّ الشيخ بوعمامة نجح في التوفيق بين هاتين الكتلتين المهمتين في زمانه، وقد توج هذا النجاح بعقد معاهدة أخوة وصلاح، بل وتعاهد على نصره بوعمامة في ثورته، في شهر جانفي 1896م،<sup>(3)</sup> وقد تضمن نصّ الوثيقة تعاهداً بينهما على الصلح والأخوة وعلى نصره الشيخ بوعمامة، كما تضمن أسماء أعيان شعابنة متليلي وأسماء أعيان قبائل البرابير الذين شهدوا ووقّعوا على الصلح.

---

(1) -Jule Combon: Op.cit, f2.

(2) -Jules Cambon: Confidentielles, Rapport à Mr Le Ministre des affaires étrangères, N 2057, Alger 21/08/1896, ANOM F80 1695, f4.

(3) — عبد القادر بن محمد بن الجودي: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين شعابنة متليلي وقبائل البرابير ، أ. ز. ش. م، رجب 1313هـ الموافق لجانفي 1896م. أنظر الملحق رقم 21.

أما أسماءُ أعيانِ شعانبةٍ متليلي الذين كانوا في زمالةٍ بوعمامةٍ فعددهم خمسة عشر، وقد وَرَدوا في الوثيقةِ مرَّتينِ على النحو التالي: محمد بن مسعود<sup>(1)</sup>، قويدر بن العابد، محمد بن حكوم، النعيمي بن الشيخ، بوظبية بن محمد، ابراهيم بن الحرمة، بالخير بن ابريك، محمد بن حمادي، الحاج العيد بن عمر، محمد بن احمد، محمد بن النوي، بلغيث بن احمد، أحمد بن البشير، الطاهر بن الزيغم، ومنصور بن احميم.

كما وجدنا وثيقةً أخرى للصلح بين دوي منيع والشعانبة،<sup>(2)</sup> وكذلك بن قبائل اعريب والشعانبة.<sup>(3)</sup>

ونرى أنّ سرَّ نجاح بوعمامة في عقد مثل هذه التحالفات بين القبائل المتعادية، والمنضوية تحت لوائه، يرجع إلى ولأئها للطريقة الشيخية ولأولاد سيدي الشيخ من جهة، ومن جهة أخرى إلى شخصية بوعمامة نفسه؛ الذي كان محل احترام وتقديس من قبل كل القبائل التي كانت تتبعه، وكان حكيماً في التوفيق بينها؛ فيصاهر هذه القبيلة، ويثني على تلك، ويقرب هذه القبيلة، ويؤمّر تلك.

كما أنّ ذلك يرجع بالأساس إلى مستوى الوعي والحكمة والشعور بالمسؤولية لدى أعيان تلك القبائل؛ هؤلاء الذين رضوا بأن يتركوا ثاراتهم وأحقادهم جانبا، ليتوحدوا في مواجهة ما هو أخطر من كل ذلك؛ وهو الغزو الخارجي الصليبي، وهي من أهم الدروس التاريخية التي ينبغي للأمة الاستفادة منها.

---

(1) - محمد بن مسعود: هو الأخ الأصغر لسليمان بن مسعود القايد السابق لشعانبة برزقة، الذي تخلّى عن منصب قايد متليلي سنة 1879. وهو الجد الثالث للطالب الباحث، والجد الأول لعائلة " لكحل " التي تنتمي إلى عرش أولاد عبد القادر فرقة العوامر، وقد روى لي أبي رحمه الله عن أجداده بأنّ محمد بن مسعود كان ناصع البياض - كما هو حال أغلب أفراد العائلة - فلما خرج في إحدى أسفاره إلى الصحراء، عاد متغيّر اللون فقال له أصحابه ممازحين لقد صرت " أكحلا"، أي أسود اللون، فلقّب بـ " لكحل ". وقد كان من كبار أعيان شعانبة متليلي الذين التحقوا بثورة بوعمامة وهذا ما يفسّر تصدر اسمه لهذه المعاهدة.

(2) - عبد القادر بن محمد بن الجودي: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين الشعانبة ودوي منيع، أ. ز. ش. م، ربيع الأول 1313 هـ الموافق لسبتمبر 1895 م.

(3) - عبد القادر بن محمد بن الجودي: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين الشعانبة وقبائل أعريب، أ. ز. ش. م، رجب 1313 هـ الموافق لجانفي 1896 م.

ويذكر مياسي أنّ بوعمامة انتقل مع أنصاره الشعابنة إلى الشمال، واستقر بالعوج التحتاني يوم 26 ماي 1896 على حافة وادي زوزفانة قرب منطقة فيقيق ليتمكن من جمع امكانياته وورصّ صفوفه، فجمع حوالي 420 فارساً، 1130 مشاة، و95 من المهاري من عدة قبائل: الشعابنة، أولاد جرير، دوي منيع...<sup>(1)</sup>

وذكر روس أنّ أنصار بوعمامة الذين ظلوا وفيين له ودخلوا معه المغرب كانوا حوالي مائة خيمة أغلبهم من الشعابنة.<sup>(2)</sup> بينما تتحدث تقارير عسكرية أخرى عن توافد أعداد كبيرة من شعابنة متليلي على بوعمامة سنة 1896؛ منها ذلك التقرير الذي يكشف عن التحاق سبعة خيام من شعابنة برزقة ببوعمامة في يوم واحد؛ وهو يوم 3 ماي 1896.<sup>(3)</sup>

ويبدو أنّ شعابنة متليلي؛ أصهار بوعمامة، قد ظلوا مصاحبين له حتى داخل الأراضي المغربية. وهو ما أكدته بعض التقارير العسكرية الفرنسية؛ من ذلك ما ورد في تقرير الحاكم العام للجزائر كومبون إلى وزير الشؤون الخارجية حول الزيارة التي قام بها إلى الجنوب الوهراني في الفترة من 17 جوان إلى 2 جويلية، والمؤرخ بالجزائر يوم 21 جويلية 1896: "قبل بضعة أشهر تقدم بوعمامة نحو فيقيق، أين خيم على بعد بضعة كيلومترات من زاوية بني ونيف، ليُشرف حسب ما قال على بناء قبة سيدي سليمان بن بوسماحة. يحيط ببوعمامة ثلاثة دواوير من أولاد جرير، دواير من دوي منيع وقبائل مغربية، إضافةً إلى دوايرين من الشعابنة، ودواير آخر مختلط من مختلف القبائل." وكما ورد في ذات التقرير فإنّ: "كلّ الشعابنة وفدوا إلى مخيم بوعمامة من جنوب محافظة الجزائر الذي عرف في الفترة الأخيرة إفراغاً من ساكنيه. كان هؤلاء الشعابنة تحت سلطة أولاد سيدي الشيخ، لكننا قمنا بانتزاعها منهم قبل خمس وعشرين سنة؛ أين أصبحت هذه القبائل تُدار بواسطة القياد. لكنّ هؤلاء القياد الضعاف أصبحوا عرضةً للخروج عنهم بمجرد تقصيرهم أو

(1) - ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 309.

(2) - روس إ. دان: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر:

أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2006، ص 190.

(3) -H.-M.-P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t3, p34.

اجحاف في جمع الضرائب أو أية مشكلة بسيطة."<sup>(1)</sup> وهذا ما يؤكد ما أشرنا إليه من قبل بأن شعابنة متليلي كانوا لا يطيعون قيادهم إذا أمرهم أمراً فيما يخص علاقتهم بأولاد سيدي الشيخ.

كما أنّ عبارة "... من جنوب محافظة الجزائر الذي عرف في الفترة الأخيرة افراغا من ساكنيه..." التي وردت في تقرير كومبون الأخير فيها دلالة واضحة على الهجرة الجماعية لشعابنة متليلي والمنيعة نحو مخيم بوعمامة على الحدود المغربية، وهو ما يؤيد الرويات الشعبية المتواترة؛ والتي تتحدث عن الأعداد الكبيرة من أبناء منطقة متليلي الشعابنة الذين انضموا إلى ثورة بوعمامة، فتحصي عدد الذين خرجوا من منطقة متليلي الشعابنة مع الشيخ بوعمامة بأكثر من ثلاثمائة رجل<sup>(2)</sup> الكثير منهم استشهدوا، وسالت دماؤهم في مختلف مناطق عمليات زمالة بوعمامة سواء في الجزائر أو حتى على الحدود المغربية.

إضافة لكل ذلك، فإنّ الدعم اللوجستي من قبل شعابنة متليلي لم يتوقف حتى بعد دخول بوعمامة إلى المغرب، فقد ظلت الصدقات والهبات تصل زمالة بوعمامة من متليلي تباعاً، رغم تشديد المراقبة على الحدود. وقد ظل شعابنة متليلي يتنافسون في التبرع والتصدق على ثورة بوعمامة وصلت إلى حد توقيف الأملاك والعقارات على زاويته، ولذلك انتشرت في متليلي "شعارات": نخلة سيدي بوعمامة، بعير سيدي بوعمامة، برنوس سيدي بوعمامة... وغير ذلك؛ وهي كناية عن الأملاك والعقارات المحبسة لثورة الشيخ بوعمامة، وقد وجدنا نماذج لتلك الهبات في الزاوية البوعمامية بالمغرب؛ من ذلك عقد هبة عبد القادر "الفنيش"<sup>(3)</sup> الذي أوقف كل أملاكه على الشيخ بوعمامة يوم 9 أكتوبر 1896.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Jules Cambon: Confidentielles, Rapport à Mr Le Ministre des affaires étrangères, N 2057, Alger 21/08/1896, ANOM F80 1695, f5.

(2) - القائمة الاسمية لشعابنة متليلي المتحقين ببوعمامة، أ. خ.

(3) - هو الجد الأول لعائلة "فنيش" المعروفة في متليلي الشعابنة، والتي تنتمي إلى عرش أولاد علوش فرقة أولاد موسى.

(4) - عبد القادر الجودي: عقد هبة عبد القادر الفنيش للشيخ بوعمامة، أ. ز. ش. م، 3 جمادى الأولى 1314 هـ الموافق ل

## ثانيا: مساعي إرجاع الشعابنة من المغرب

أمام هذه الأعداد الهائلة من الملتحقين بثورة بوعمامة، سعت سلطات الاحتلال بكل الطرق لإرجاعهم؛ فقد استغلت خضوع زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة سي قدور بن حمزة، الذي رافق حاكم الجزائر كومبون في جولته في الجنوب الوهراني في جوان سنة 1896، فكلّفه كومبون بمهمة نحو فيقيق لإقناع بوعمامة لإرجاع الشعابنة المتمردين نحو الأراضي الفرنسية.<sup>(1)</sup>

وهو ما اعترف به كومبون في تقريره بقوله: "لم يكن هدفي من هذه الجولة هو المحادثات مع سي قدور، سي الدين، وأبناء سي لعلا حول أوضاع توات وقورارة فقط، وإنما أيضا البحث عن السبل الممكنة لإرجاع الشعابنة المتمردين."<sup>(2)</sup>

وهذا ما يدل على أنّ شعابنة متليلي كانوا يشكلون رافداً مهماً لبوعمامة؛ ذلك أنّ سعي سلطات الاحتلال إلى استغلال العلاقة الروحية التي تجمعهم بأولاد سيدي الشيخ الشراقة قد جعلتهم يسارعون إلى تكليف سي قدور بهذه المهمة.

لكن سي قدور بن حمزة لم ينجح في اقناع الشعابنة بالتخلي عن بوعمامة، والعودة إلى الأراضي الجزائرية؛ لذلك كثّفت سلطات الاحتلال ضغوطها على بوعمامة من جهة، وعلى البلاط المغربي من جهة أخرى.

فقد راسلت بوعمامة عارضةً عليه أخذ الأمان بدون قيد أو شرط مع ضمان مكان إقامته وإعاشته، إلا أنّ بوعمامة رفض هذا العرض، وطلب أن يتمتع أنصاره الشعابنة بامتيازات مماثلة؛ فقد ورد في تقرير الحاكم العام للجزائر جونار إلى السيد رئيس المجلس وزير الداخلية والزراعة حول موضوع بوعمامة، والمؤرخ بالجزائر يوم 8 ديسمبر 1900: "إنّ فرنسا أعطت الأمان لبوعمامة وحده فقط، إلا أنّ بوعمامة يريد أن يتحصل على الأمان له ولمن معه."<sup>(3)</sup>

---

(1) -Gustave Regelsperger: Op.cit, p109.

(2) -Jules Cambon: Confidentielles, Rapport à Mr Le Ministre des affaires étrangères, N 2057, Alger 21/08/1896, ANOM F80 1695, f13.

(3) -Charles Jonnart: Le sujet de Bou Amama, Rapport à Mr Le président du conseil Ministre de l'intérieure et des Cultes, Alger 08/12/1900, ANOM F80 1690, f2.

وأوضحت ذات الوثيقة أنه "عندما يسلمنا بوعمامة قائمة الرجال الذين معه يمكنه أن يأتي إلينا بسلام وسنرحب به ونعطيّه الأمان... إنّ بوعمامة يضع يده مع سلطان المغرب واليد الأخرى مع فرنسا، وسيميل لأحدهما حسب الظروف المستجدة والمحيطه به." (1)

وبالفعل، فقد آثر بوعمامة الطرف المغربي، على أمل أن يجدد امكانياته ويستعدّ للثورة من جديد، وقد أقام بوعمامة سنتين في ضيافة حاكم تافالالت مولاي محمد ولد مولاي حسان. ثم انتقل بعدها إلى عين سيدي ملوك قرب وجدة؛ أين بقي رجاله - الشعابنة - ولمدة ثلاثة سنوات يشتبكون مع الفرنسيين. (2)

### ثالثا: الأعمال الجهادية لشعابنة بوعمامة

في الوقت الذي كانت سلطات الاحتلال تعرض الأمان على بوعمامة؛ حينما كان في فيقيق كان أتباعه الشعابنة يقومون بعمليات من وراء الحدود أثخت في الفرنسيين وفي المتعاونين معهم. ورغم أنّ معاهدة لالة مغنية كانت تحوّل للفرنسيين ملاحقة الثوار الجزائريين حتى داخل الأراضي المغربية، إلا أنّ سلطات الاحتلال لم تغامر خشية تعرضها لخسائر كبيرة بانضمام قبائل مغربية أخرى لبوعمامة من جهة، ومن جهة أخرى فإنها لم ترد ان تُفشل مفاوضاتها مع بوعمامة لأخذ الأمان.

لكن في المقابل، فقد كانت تطالب السلطان المغربي المولى عبد العزيز (3) بمراقبة الحدود ومنع قبائل بوعمامة من تنفيذ هجمات على الحدود، مُشفعةً مطالبها بالتهديد والوعيد. وهو ما قام بالفعل؛ إذ أصبحت سلطات المخزن تتحرش بقبائل زماله بوعمامة باتهامها بالقيام بأعمال السطو والنهب على أراضيها، أو الأراضي الجزائرية المجاورة لها محملة بوعمامة عاقبة هذه الأعمال، وكان

(1) -Ibid, f6.

(2) -A. Cauneille: Op.cit, p258.

(3) - المولى عبد العزيز (1881 - 1944م): بويغ بعد وفاة أبيه مولاي الحسان سنة 1894، لكنه كان صغيرا فاستبد بالحكم الوزير أحمد بن موسى، وبموت هذا الأخير سنة 1900، استلم عبد العزيز مقاليد الحكم. شهد عصره ضعف النظام المغربي وزيادة التدخلات الفرنسية في المغرب، هذا الضعف أدى في الأخير إلى اندلاع ثورة بوحمارة. أنظر:

محمد المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، تح: إدريس بوهليلة، جزآن، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2005، ج2، صص 216-225.

بوعمامة في بعض الأحيان يسعى لتعويض تلك المنهوبات "المحتملة" وذلك حفاظا على العلاقة بينه وبين السلطنة الشريفة.

وكنموذج على ذلك، فقد اتهمت سلطات المخزن أولاد عبد القادر من شعانة متليلي، كما جاء في الوثائق، بالقيام بأعمال نهب وسطو للإبل وراء الحدود الجزائرية، وقد أمرت قايد فيقيق بابلاغهم بهذا الاتهام، ومطالبة بوعمامة باسترجاع ما نهبه الشعانة، مدعية أنها قامت بدفع تعويضات للسلطات الفرنسية في الجزائر نظير أعمال النهب التي تعرضت لها القبائل "الجزائرية" حسب الوثيقة المؤرخة بتاريخ 17 أفريل 1900.<sup>(1)</sup>

وقد استجاب بوعمامة للأوامر "الشريفة" وقام بجمع حوالي 290 دورو قام بتقديمها لقايد فيقيق الحاج علال أومرزوق، نظير منهوبات هؤلاء الشعانة للسنة الماضية، إضافة إلى مكحلتين (بندقيتين). لكن بعد البحث الحثيث لم تجد سلطات المخزن أي أثر للإبل التي اتهمت شعانة بوعمامة بنهبها، عند ذلك أصدر بوعمامة براءة يوم 13 سبتمبر 1900م، وأشهد فيها القضاة والعلماء بأن المبالغ التي أخذها منه قايد فيقيق لا تحل له، وأنه أخذها منه ظلما وجورا بعد ما تبين عدم صحة ادعاءات المخزن ضد الشعانة.<sup>(2)</sup>

ورغم ذلك، فقد أصدرت السلطات المخزنية شهرا بعد ذلك بيانا، أكدت فيه الاتهامات الموجهة لأولاد عبد القادر الشعانة، رغم أنها اعترفت بأن قايد فيقيق بحث عن هذه المنهوبات طيلة سنة كاملة لكنه لم يجد لها أثرا. والغريب في هذا البيان أيضا أنها طالبت المتهمين الشعانة بالقدوم إلى طنجة لتقديم الحجج والتبريرات التي تبرؤهم إن لم يقتنعوا باتهامات المخزن.<sup>(3)</sup> وهو ما يثبت أن هذه القضية تدخل فيها أيادٍ فرنسية؛ فرغم أنها طلبت من الشعانة تقديم تبريراتهم إلى

---

(1) - عبد القادر الجودي: تبليغ بوعمامة باتهامات قايد فيقيق لأولاد عبد القادر الشعانة ، أ. ز. ش. م، 17 ذي الحجة 1317هـ الموافق ل 1900/04/17م.

(2) - عبد القادر الجودي: براءة بوعمامة من اتهامات قايد فيقيق لأولاد عبد القادر الشعانة ، أ. ز. ش. م، 19 جمادى الأولى 1318هـ الموافق ل 1900/09/13م.

(3) - بيان اتهام سلطات المغرب لأولاد عبد القادر الشعانة بالقيام بأعمال نهب داخل الحدود الجزائرية، أ. ز. ش. م، جمادى الآخرة 1318هـ الموافق لأكتوبر 1900م. وانظر الملحق رقم 23.

نائب السلطان المغربي في طنجة، إلا أنّ المقصود من قدومهم إلى طنجة هو مناقشة هذه القضية مع الوزير المقيم الفرنسي.

ولا ندري إن كان غرضُ المخزن من خلال اقتراح قدوم الشعانبة إلى طنجة لتبرير موقفهم هو القبضُ على رؤسائهم وتسليمهم للفرنسيين، وبالتالي الضغطُ عليهم للانسحاب من زمالة بوعمامة، كما فعل السلطان العلوي فيما بعد مع سي الطيب بن بوعمامة، سنة 1905، لما طلب منه القدومُ إلى طنجة لأخذ "الأمان" لكن سرعان ما اقتيد مُكبَّلاً إلى سجن فاس،<sup>(1)</sup> أم هي "حنكة" دبلوماسية لتخفيف الضغوط الفرنسية على المولى عبد العزيز، بتحميل الوزير الفرنسي المقيم في طنجة مسؤولية حلِّ مثل هذه القضايا. كما أنّ هذا القضية تدلّ على حالة الضعف الذي وصلت سلطَةُ المخزن أمام الضغوط الفرنسية، والتدخلات الأجنبية، كما تدل أيضاً على حالة القلق والارتباك الذي أصبحت تسببه هجماتُ شعانبة بوعمامة على الأهداف الفرنسية انطلاقاً من الحدود.

ورغم ما خلفته هذه القضية من صدى في البلاط المغربي، أو في توتير العلاقة بين بوعمامة والفرنسيين الذين كانوا يتفاوضون معه لاستسلامه، إلا أنّ عمليات الشعانبة استمرت وتوسعت، بل وتطورت في نوعية الأشخاص والأماكن المستهدفة.

فقد ورد في مراسلة الحاكم العام للجزائر السيد جوناو (M. Jonnart) إلى السيد ديلكاسي (M. Delcassé) وزير الخارجية، المؤرخة بيوم 22 فيفري 1902: "أنه قد جرى تحقيق بخصوص مقتل النقيب كراتيان (Gratien) والنقيب كريسين (Gréssin) في نواحي جنوب جبل بني سمير، وبين التحقيق أنّ اللذين قاما بالاغتيال هما بدون شك اثنين من الشعانبة."<sup>(2)</sup>

وهذا ما حدى بالسلطات الفرنسية إلى زيادة الضغط على السلطان المغربي المولى عبد العزيز لتجديد معاهدة تثبيت ومراقبة الحدود الجزائرية المغربية عبر اتفاقية 20 أفريل 1902، والتي حملت

(1) - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج2، ص 38.

(2) - Ministère des Affaires Etrangères: Documents Diplomatiques Affaires du Maroc 1901-1905, Imprimerie Nationale, Paris 1905, p31.

فرنسا من خلالها السلطنة الشريفة مسؤولية الأمن على الحدود الشمالية من مصب نهر الجرود وثنية العسة حتى فيقيق، بينما تولت فرنسا مسؤولية الأمن في المناطق الصحراوية.<sup>(1)</sup>

ونتيجةً لذلك راسل السلطان عبد العزيز بوعمامة طالباً منه مغادرة الحدود والدخول إلى المغرب، ووعدّه بتولي منصبٍ رفيعٍ والتمتع بامتيازات سخية. كما كاتب القبائل المغربية ودعاها إلى التخلي عن نصرة بوعمامة ومن معه.<sup>(2)</sup>

لكنّ ضعفَ السلطات المخزنية قد أدى إلى اندلاع ثورة بوحمارة يوم 22 ديسمبر 1902، والتي أيدها بوعمامة عبر إرسال ابنه الطيب؛ الذي أصبح قائداً لجيش بوحمارة في كثير من المعارك. وظل بوعمامة يؤيد بوحمارة حتى سنة 1907، حين مرض وضعف.<sup>(3)</sup>

وذكرت بعضُ التقارير الفرنسية أنّ أحداثَ الثورة لما وصلت إلى عمالة وجدة خرج بوعمامة من قرية عين سيدي ملوك واستقرّ مع زمالته في متليلي؛ وهي قرية صغيرة تقع على بعد 100 كلم غرب مدينة وجدة، بين تاويرت وعين سيدي ملوك.<sup>(4)</sup>

ورغم انشغال بوعمامة بثورة بوحمارة إلا أنّ أنصاره الشعابنة ظلوا يناوشون السلطات الاستعمارية على طول الحدود من وجدة وتلمسان شمالاً حتى البيض جنوباً. بل وصلوا حتى مناطق أبعَدَ في العمق الجزائري؛ نستشف ذلك من مراسلة حاكم الجزائر جونار (M. Jonnart) إلى السيد ديلكاسي (M. Delcassé) وزير الخارجية، المؤرخة بيوم 16 أبريل 1904: "لي الشرف العظيم أن أعلمكم أنه في الأيام الأولى من شهر فيفري، أُبلغت أنّ مجموعةً تضم حوالي ثمانين من الشعابنة، ومعهم أولاد جرير من المقرين لبوعمامة، تقدموا إلى غاية حدود الواحات

---

(1) -E. Rouard De Card: Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord: Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, p367.

(2) - مبارك زكي: المرجع السابق، ص ص 420-421.

(3) - نفسه، ص ص 421-424.

(4) -Comité du Maroc: Dans l'Ouest et le Sud Oranais, In, Bulletin du Comité de l'Afrique française, N 11, Novembre 1904, p341.

الصحراوية، وهاجموا بحاسي العز شمال تيلكوزا<sup>(1)</sup> كتيبةً عسكرية بعدما قتلوا وجرحوا العديد من أفرادها واستولوا على 300 جمل.<sup>(2)</sup>

وفي يوم 11 ديسمبر 1904 هاجم شعابنة بوعمامة الكتيبة الفرنسية الصحراوية بقورارة، حيث تم قتل وأسّر العديد من الفرنسيين.<sup>(3)</sup> وبعد يومين هاجموا قافلة البيض وقتلوا منها أربعين شخصاً، وغنموا حوالي ألف جمل. لذلك استنفرت القوات الفرنسية في بني ونيف، بشار، بني عباس، وتيميمون لملاحقة المهاجمين واستمرت المطاردة أكثر من عشرين يوماً، ولم تتمكن القوات الفرنسية من اللحاق بهم نظراً لبراعتهم في التخفي وفي التمويه؛<sup>(4)</sup> وهذا ما أكدته المراسلة المؤرخة بيوم 24 جانفي 1905 من جوناك الحاكم العام للجزائر إلى السيد ديلكاسي: "... وفي يوم 13 ديسمبر 1904 هاجم الشعابنة أتباع بوعمامة مركز حاسي عوشن جنوب البيض."<sup>(5)</sup>

كما نفذ شعابنة بوعمامة هجومات على المراكز الفرنسية في ضواحي تلمسان، نستشف ذلك من المراسلة المؤرخة بيوم 11 أبريل 1905: "يوم 13 مارس 1905 تسللت مجموعة متكونة من اثنين وخمسين شخصا منهم ثمانية وثلاثين شعابنياً من المقرين لبوعمامة إلى غابة بني بوسعيد في مغنية. وبعد صدّها من طرف أتباعنا قامت بالتراجع نحو قواعدها في المغرب."<sup>(6)</sup> كما أفادت مراسلة أخرى بهجوم أنصار بوعمامة والشعابنة المتمردين على مركز وجدة في 9 أبريل 1905.<sup>(7)</sup>

---

(1) - تيلكوزة: تقع جهة أوقروت في منطقة قورارة، وهي عبارة عن قصر صغير يضم 900 ساكن وهو أحد المركزين الرئيسيين في منطقة تنركوك التي تضم حوالي خمسة عشر قصراً. وحسب كتاب الراحل ديورتار فهذه المنطقة تضم 4600 ساكن و160000 نخلة. أغلب السكان هم عرب يدينون بالولاء لأولاد سيدي الشيخ الشراقة. أنظر:

Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 29/02/1892.

(2) -Ministère des Affaires Etranger: Op.cit, p125. وانظر الملحق رقم 24

(3) - احميدة عميراي وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009، ص 61.

(4) - ابراهيم مياي: المرجع السابق، ص 499.

(5) -Ministère des Affaires Etranger: Op.cit, p194.

(6) -Ibid, p209.

(7) -Ibid, p218.

ولم تكن منطقتا تلمسان ووجدة هما الهدفين المفضلين لدى شعابنة بوعمامة فقط؛ بل تعرضت مراكز أخرى على الحدود لهجماتهم، وهذا ما أكدته مراسلة حاكم الجزائر جوناك إلى السيد ديلكاسي وزير الخارجية، المؤرخة بيوم 23 ماي 1905: "... قبل ثلاثة أيام قام جيش ضخيم مكون من الشعابنة وآخرين من أتباع بوعمامة بالهجوم على ملحق العريشة ونهب قطعان من الماشية وقتل العديد من الأهالي، وهذا ما يؤشر إلى تزايد الأعمال اللصوصية مما يجعلنا نحشى من تصاعد ظواهر انعدام الأمن في المناطق الحدودية."<sup>(1)</sup>

وهكذا نرى بأن مرافقة شعابنة متليلي لبوعمامة داخل المغرب لم تُنتهم عن القيام بالكثير من الهجمات ضد الأهداف الفرنسية من وراء الحدود؛ وهو الهدف الذي خرج لأجله عشرات الشباب من متليلي وتركوا ديارهم وأهليهم في سبيل تحقيقه.

إنّ المفاوضات التي اعقبت مؤتمر الجزيرة سنة 1906<sup>(2)</sup> أعطت للسلطات الفرنسية صلاحيات واسعة لمراقبة الحدود الجزائرية المغربية، لهذا الغرض كلفت وزارة الحربية الفرنسية النقيب بول أزان (Paul Azan) بمراقبة الحدود الجزائرية المغربية في أواخر سنة 1906 ومطلع سنة 1907. وقد تفقد هذه المناطق، على الخصوص المناطق الحدودية الجنوبية، وتحدث عن بعض التطورات التي حصلت في بعض قرى الحدود؛ حيث عرفت استقراراً أمنياً وانتعاشاً اقتصادياً بعد استقرار المعمرين الأوربيين بها.<sup>(3)</sup>

أما عن بوعمامة، فقد قامت فرنسا سنة 1906 باعتقال ابنه سيدي الحاج الطيب، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في الأغواط. وبعد سنتين توفي بوعمامة.<sup>(4)</sup>

---

(1) -Ibid, p222.

(2) - مؤتمر الجزيرة الخضراء: هو مؤتمر دولي عقد يوم 16 أكتوبر 1906، بمشاركة أغلب قادة الدول الأوربية إضافة إلى الرئيس الأمريكي روزفيلت، كان هدفه هو تحديد مصير المغرب كمستعمرة أوروبية. للاطلاع على تفاصيل هذا المؤتمر والقرارات التي أصدرها، أنظر:

E. Rouard De Card: Op.cit, pp 376-413.

(3) - ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 501.

(4) -A. Cauneille: Op.cit, p258.

وقبل وفاته بجوالي شهر، كتب وصيته إلى أتباعه وأحبائه ومريديه، أوصاهم فيها بالتقوى والصلاح والتمسك بالطريقة الشيخية، كما أوصاهم باتباع ومبايعة ولده سي الطيب، وقد جاء في هذه الوصية ذكر كل القبائل والأعراش التي ظلت وافية له حتى آخر أيام حياته، وذكر في مقدمتهم جميعا الشعابنة، ومما ورد فيها: "... أهل الدائرة بالزاوية، وكذلك جماعة الشعابنة، وجماعة المرابطين، وأولاد سي عبد الحاكم وجماعته، وأولاد سي بن عيسى كافة، وأولاد سيدي التاج، وأولاد سيد الحاج أحمد، وأولاد سيدي محمد عبد الله، وجماعة العمور كافة، وجماعة أولاد جرير، وفقكم الله ورعاكم، سلام عليكم ، وبعد أيها الاخوان فيني ... " (1)

لقد كان وقع فاجعة وفاة الشيخ بوعمامة عظيماً، ليس على الشعابنة المحيطين به في المغرب فحسب، بل حتى على الشعابنة المقيمين في متليلي. وقد بكاه الرجال والنساء ورثاه شعراء المنطقة؛ منهم الشاعر قدور بلخضر (2) الذي رثاه في قصيدة فيها الكثير من معاني الود والتقدير والتبجيل الذي يكتفه شعابنة متليلي للشيخ بوعمامة ومما جاء فيها:

عَظْمُ بَجْرٍ عَلَى ابْنِ كَأْمٍ يَاحْوَانُ	وَعَلَى بِلْخَصْلَاتٍ دِيمَا
غَيْبُ قُطْبِ الدَّائِرَةِ مَوْلِ الْبُرْهَانِ	شَيْخِ الْفُقَرَا بوعمامة
غَيْبُ قُطْبِ الدَّائِرَةِ مَعْدَنُ لَكْوَانُ	مَوْلَى الْبِرَاكَةِ وَالْهَمَّةِ

(1) - وصية الشيخ بوعمامة إلى أنصاره، أ. ز. ش. م، 10 شعبان 1326 هـ الموافق ل 06/09/1900 م. وانظر الملحق رقم 25.

(2) - قدور بلخضر: هو الشاعر قدور بلخضر بن ايعيش بيتور، ولد بمتليلي الشعابنة عام 1860، من أسرة ميسورة الحال، ينتمي إلى فرقة لقمارة من عرش أولاد عبد القادر، كان دمث الخلق، حاضر النكتة، حفظ القرآن في مسقط رأسه، وانضم إلى بعض حلقات الذكر عند نضجه على الطريقة القادرية، وتعلم بعضا من العلوم الشرعية بالذي كان متاحا له ولأقرانه . كان معاصرا لثورة الشيخ بوعمامة، كتب عدة قصائد في الشعر الملحون. وقد عُده شعره من الشعر الجهادي كونه كان يركز على الغزوات والفتوحات الاسلامية التي كان يقتبسها من كتاب فتوح مصر وافريقية لابن عبد الحكم. وقد تنوعت مواضيع شعره بين التوحيد وذكر الله تعالى، مدح النبي صلى الله عليه وسلم، سرد غزوات الصحابة والتابعين، مدح أولياء الله الصالحين، مدح أولاد سيدي الشيخ، والتعني بموطنه متليلي الشعابنة وأهلها الكرماء. كما غلب على أغراض شعره الغزل والحكم. وكانت وفاته بمسقط رأسه عام 1924 م. أنظر:

زينب جعني: الشعر الشعبي الشفهني في مدينة متليلي ولاية غرداية، الشاعر قدور بلخضر انموذجا/بي/ملتقى الشاعر "بلخضر قدور بيتور " تحت عنوان "التجربة الشعرية عند الشاعر بلخضر قدور بيتور : الموضوعات و أدوات التشكيل الفني "، 2015/12/12 ، مخبر التراث بجامعة غرداية.

رَأَيْ خَائِفٌ مَا نَشُوفُو طُولَ أَرْمَانِ  
يَا مُفْتِيَّ خَلِيكَ رَانِي فِي لِحْرَانِ  
وَعَلَى شَيْخِي بُوعَمَامِهِ غَالِي الشَّانِ  
قِصَّةٌ وَفَاتُوا اعْجَابِ  
وَاحْرَزْنَا عَنْهُ عَرْشَ شَعْنَبِ  
قِصَّةٌ وَفَاتُوا اثْنَاعِشَ فِي رَمَضَانَ  
فِي عَامِ الْعِشْرِينَ وَاحِدٍ بِالتَّفْنَانِ  
يَا لِحْوَانَ ابْنِكَ مَعَايَا  
رَأَى الْعَوْتُ إِزْفِيقُكُمْ عِنْدَ الْمِيزَانِ  
اغْفِرْ لِلنَّاطِمِ بَرِّضَاتِ الْعُقْرَانِ  
رَاحَ ائْتَمَسَى بِالسَّلَامَةِ  
جُرْجِي مَا تَبْرِيَهُ حِكْمَةَ  
فُنُطَاسِ الْهَيْبَةِ وَالْحُرْمَةِ  
يَوْمَ أَنْ وَصَلْتَنَا أَخْبَارُو  
مِنْ طَيْبِ الْحُلُوهِ مُرَارُو  
مَحْتَاهَا لَيْلَةَ أَعْظِيمِهِ  
تَتَوَرَّخُ مَوْتُو اءْءَلَامَا  
بَعْدَ الشَّيْخِ اءْءَلَاشِ تَرْهَو  
رَأَكُمُ حُرْمَةَ بُوعَمَامِهِ  
بِنِ الْحَضَرِ بِاسْمُو نَسَمَى

#### رابعاً: وضع شعابنة بوعمامة بعد وفاته

بعد وفاة الشيخ بوعمامة لم يكن لشعابنة متليلي من خيارٍ سوى العودة إلى الجزائر، خاصةً بعد أن قامت سلطات الاحتلال باعتقال ابنه الطيب، وضغط السلطات المغربية على من بقي من أولاده؛ فيذكر كوناى أنه بعد وفاة بوعمامة أعطت سلطات الاحتلال الأمان للشعابنة.<sup>(1)</sup>

لكنهم لم يعدوا إلى متليلي، وإنما استقروا في منطقة العرق الغربي، وكونوا نواةً لما بات يُعرف بشعابنة العرق الغربي، وهو ما أكدته تقرير الحكومة العامة للجزائر: "إنّ الشعابنة ليسوا دخلاء على العرق الغربي الكبير.. ينحدر أغلبهم من شعابنة متليلي جاؤوا إلى هنا منذ سنوات قبل الاحتلال الفرنسي الكامل للصحراء؛ حين خرجوا مع بوعمامة، واختاروا هذا العرق كمنفى لهم."<sup>(2)</sup>

ورغم أنّ هذا التقرير يعترف صراحةً بأنّ شعابنة متليلي قد ظلوا وفيين لبوعمامة إلى غاية وفاته، إلا أنّ فيه مغالطةً واضحةً؛ فالأكيد أنّ شعابنة متليلي لم يكونوا محيّرين بين البقاء في منطقة العرق أو العودة إلى أهليهم ودورهم وبساتينهم في متليلي. ويبدو أنّ سلطات الاحتلال هي من

(1) -A. Cauneille: Op.cit, p258.

(2) -Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie, p89.

اختارت منطقة العرق كمنفى لشعابنة متليلي عقوبة لهم على الأعمال الثورية التي قاموا بها مع بوعمامة، وأيضا لحصرهم في هذه المنطقة، ومنعهم من التفكير في الثورة من جديد.

وهو ما أكده رونييه حينما ذكر بأن شعابنة العرق الغربي قد تشكلوا بعد قرار الحاكم العام للجزائر في 30 سبتمبر 1918، وهم يتكونون أساساً من الشعابنة الهارين خلال فترة ثورة بوعمامة إلى مناطق تينركوك و تاغوسي وبني عباس، وأضاف أنهم أربع وثمانون خيمة أي حوالي خمس مائة شخص قدموا من متليلي وورقلة والمنيعة.

وحسب رونييه دائماً، فإن هؤلاء الهارين لم يعودوا إلى ديارهم، وإنما اختاروا هذا المنفى؛ لذلك فإن سلطات الاحتلال قامت باحتجاز أملاكهم ودورهم في متليلي.<sup>(1)</sup>

**وخلاصة القول** فإن شعابنة متليلي تواصلوا مع بوعمامة قبل إعلانه الثورة، وأضحوا يشكلون أهم فصيل في جيشه، كما شاركوا في أغلب المعارك والاشتباكات التي خاضها بوعمامة. وأن مساهمتهم في ثورة بوعمامة لم تكن بشرية فحسب، وإنما قاموا بتموين الثورة بالمواد التموينية والاشتراكات والزكوات.

كما أن شعابنة متليلي ظلوا محيطين ببوعمامة حتى بعد خروجه إلى المغرب سنة 1896 وظلوا يقومون بهجمات على الأهداف الفرنسية انطلاقاً من الأراضي المغربية.

وبعد وفاة الشيخ بوعمامة سنة 1908 أرغمت سلطات الاحتلال الفرنسي من تبقى منهم في المغرب على العودة إلى التراب الجزائري والاستقرار في منطقة العرق الغربي.

---

(1) -Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, p21.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكننا أن نخلص إلى الاستنتاجات التالية:

- تقع منطقة متليلي الشعابنة في ولاية غرداية شمال صحراء الجزائر، وتمتد على مساحة تبلغ حوالي 300 كلم طولا و200 كلم عرضا.
- يسكن هذه المنطقة أهم فرع من فروع الشعابنة وهم شعابنة برزقة المعروفون بشعابنة متليلي، الذين امتازوا بخلق الشجاعة والكرم والدفاع عن حريتهم واستقلالهم.
- وقد كانت تجمعهم بالمجموعات السكانية المجاورة لهم كأولاد سيدي الشيخ بني ميزاب والتوارق أواصر القرابة والولاء والمصالح المشتركة.
- وقد امتهن شعابنة متليلي الرعي؛ حيث امتدت مناطق رعيهم حتى أبعد من حدود المنطقة، كما اشتغلوا بسقي بعض البساتين في الواحات المنتشرة بالمنطقة، وبزراعة بعض المحاصيل الموسمية عند فيضان الأودية.
- ورغم الطابع البدوي والرعوي لشعابنة متليلي إلا أنهم امتهنوا التجارة وأبدعوا في تسيير القوافل التجارية التي كانوا تجوب مناطق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر.
- كما أنّ شعابنة متليلي قد قاوموا المستعمر الفرنسي حتى قبل أن تصل قواته إلى منطقتهم، وذلك من خلال المشاركة في مقاومة الأمير عبد القادر، ونصرة الثائر سي موسى بوحمار الدرقاوي والانخراط بقوة في جيش الشريف محمد بن عبد الله.
- وقد دخلت منطقة متليلي تحت النفوذ الظاهري للفرنسيين لأول مرة سنة 1854، بسبب ولاء أهلها لأولاد سيدي الشيخ وزعيمهم سي حمزة بن بوبكر. ولم يستقرّ فيها الاحتلال إدارياً إلا في سنة 1953 بتشكيل البلدية الأهلية لمتليلي.
- كما أنّ ثورة أولاد سيدي الشيخ قد انطلقت من منطقة متليلي الشعابنة سنة 1864، وكان شعابنة متليلي هم من حرضوا سي سليمان على الثورة وهم من آزره بعد إعلانها.

- وقد تعرضت منطقة متليلي الشعابنة لعدة حملات فرنسية؛ منها تلك الحملة الضخمة التي كانت تحت قيادة العقيد دوسونيس يوم 10 جانفي 1866، حيث قام خلالها باقتحام المدينة والقيام بأعمال تخريبية وانتقامية ضد سكانها.

- ورغم تلك الحملات الانتقامية التي جهزها الضباط الفرنسيون ضد هذه المنطقة، إلا أنّ شعابنة متليلي ظلوا أوفياء لزعماء الثورة خلال كل مراحلها، حتى استسلامهم وخضوعهم للفرنسيين بداية ثمانينات القرن التاسع عشر.

- وقد ارتاب شعابنة متليلي في أمر الشريف بوشوشة عندما ظهر لأول مرة سنة 1870 حين ساندته قسم منهم فقط، لكن لما تبينوا أمره وتحالف مع سي الزبير انضموا إليهم جميعهم وساندوه بكل قوة.

- كما أنّ المبشرين المسيحيين قد نجحوا في تأسيس مركز للآء البيض في متليلي سنة 1874، إلا أنهم سرعان ما أغلقوه بعد مذبحه الآباء الثلاثة سنة 1876؛ وذلك بعدما أحسّوا بعدم الارتياح والأمان في المنطقة، وارتابوا في ولاء شعابنة متليلي.

- أما عن ثورة الشيخ بوعمامة فإنّ شعابنة متليلي قد تواصلوا مع بوعمامة قبل إعلانه الثورة، وأضحوا يشكلون أهم فصيل في جيشه. وأنّ مساهمتهم في ثورة بوعمامة لم تكن بشرية فحسب وإنما قاموا بدعم الثورة بالمواد التموينية والاشتراكات والصدقات والهبات ... وغيرها.

- وقد ظل شعابنة متليلي محيطين ببوعمامة حتى بعد خروجه إلى المغرب سنة 1896، واستمروا في شن الهجمات على الأهداف الفرنسية في المناطق الحدودية بين المغرب والجزائر، وحتى داخل العمق الجزائري، انطلاقا من الأراضي المغربية.

- وبعد وفاة الشيخ بوعمامة سنة 1908 أرغمت سلطات الاحتلال الفرنسي من تبقى منهم في المغرب على العودة إلى الجزائر والاستقرار في منطقة العرق الغربي.

- ويمكن القول أنّ منطقة متليلي الشعابنة قد قاومت الاستعمار الفرنسي طيلة الفترة موضوع الدرس، وأنّ هذه المقاومة قد أعاققت سيطرة القوات الفرنسية على الصحراء لمدة خمسين سنة.

- كما أنّ عاملِي النزعة الاستقلالية لدى شعانبة متليلي، وتنقذ الطرق الصوفية الجهادية بينهم قد ساهما بشكل كبير في إدكاء جذوة المقاومة في المنطقة خلال كل الفترة المدروسة.

وآخرًا، وليس أخيرًا، يمكننا القول بأننا حاولنا، من خلال صفحات هذه الدراسة، أن ندرس مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي حسب ما توفر لدينا من مادة علمية؛ خاصة من خلال الأرشيف الفرنسي والمغربي، إضافة إلى الأرشيف المحلي الذي حال دون توظيفه توظيفاً جيداً في هذا البحث ضياعاً أغلبه أو إخفاؤه. وفي انتظار أن تظهر الوثائق المحلية فإنّ جهدنا يبقى بداية متواضعة لدراسات أخرى مستقبلية قد تميّط الثام عن تفاصيل أخرى لمقاومة هذه المنطقة للاستعمار الفرنسي.

الملاحق

الملحق رقم 1

موقع البلدية الأهلية لمتليلي الشعابنة في شمال افريقيا سنة 1958<sup>(1)</sup>



Fig. 1. — Carte de l'Afrique du Nord. En grisé, la commune de Metlili.

<sup>(1)</sup> -P. Passager: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale, p 514.

## الملحق رقم 2

خريطة توضح الحدود الادارية لمركز متليلي (Poste de Metlili) ضمن المقاطعة

الادارية لدائرة غارداية سنة 1949<sup>(1)</sup>



(1) - حدود المنطقة تبدأ من أسفل الخط الأحمر. وقد قام الطالب الباحث بترجمة بعض الأماكن الموجودة في الخريطة إلى اللغة العربية. للاطلاع على مصدر الخريطة أنظر:

Lieutenant-Colonel Comes: Au Sujet d'une Requête des Chaamba de Metlili, Correspondance au Ministre Gouverneur Général de l'Algérie, N 5/AS/S, Laghouat, 04/01/1950, ANOM OA59, f4.

الملحق رقم 3

تقييد يتضمن شجرة نسب الشعانية إلى ادريس الأكبر<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّهْنَا  
 وَهَلْدُهُ شَبْرًا أَضْلَعًا أَصْبَاهُ وَخَلَّاهَا خَلِيلًا وَقَدَّرَهَا جَلِيلًا وَسَهَّمَهَا  
 نَبِيلًا وَلَوْلَا كَثْرَةُ السُّؤَالِ وَكَلْبَةُ بَعْضِ الْأَخْوَانِ أَصْحَابِ اللَّهِ كِوَلِمِ  
 الْحَالِ وَالْبَشَانِ وَرُحْمِ مَنْهُمْ عَلَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ كَتَمْنَا  
 كَمَا كَتَمُوا هَامِي فَيْلَنَا غَوْ بِأَمْرِ الرَّيَاءِ وَالشُّقْرِ أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَلِيمِ  
 مِنْ شَرِّهَا وَقَالَ الْغَابِلُ الْبَشْرُ الْهَمُّ الْعَالِيَةُ لَا بِالرَّمِّ الْبَالِيَةُ  
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمْتُمُ الْإِنْسَانَ فِي آدَمَ مِنْ كَيْبَرِهِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَيْكُمْ وَقَالَ تَعَالَى وَمَنْ  
 تَعَمَّلْ مَثْقَلًا ذَرَّةً خَيْرًا بَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا بَرَّهُ بِالْإِنْسَانِ  
 يَعْلَمُ بِالْأَسْبَابِ لَا بِالْإِنْسَابِ رَفِئًا إِنَّمَا لَكَ رَحْمَةٌ وَهَيْئًا لَنَا مِنْ  
 أَهْلِ نَارٍ لَشَاءَ خَمًّا عِيدَ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ بِاللَّهِ الْعَلِيمِ مَنْ شَرَّكَ حَاسِدًا  
 كَمَا عَرَفْنَا زَمَنًا بِنَفْسِهِ مَنَاعَ الْخَيْرِ مَعْنَدَ آثِمِهِ كَمَا شَتَّرُوا جِلْوِيَّ  
 الْأَبْصَارِ فِيمَا مَضَى وَلَا جَالِ يَدُومَ أَنَّ اللَّهَ مَلِكُهُمْ أَنَا اللَّهُ وَأَنَا إِلَهُهُ  
 رَاجِعُونَ وَلَا عَنَاءَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ وَرَعْدَ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ  
 عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَايَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَسَبًا ٥١٢٦٩ فُلْتُ الْإِسْتِدَادَ بَابِ شَمْرِي  
 الْعَبِيدَ بِالْأَعْوَرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى  
 ابْنِ سَعْدِ بْنِ عَلْوَانَ الصَّغِيرِ ذَا عَرَبِيٍّ قِتْلَةَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ شَرِيٍّ  
 سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ  
 الْفَاسِمِ الْعَلْوَانِ بْنِ عَلْوَانَ الْجَبْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
 عَيْسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ الْحَسَنِ الصَّنْفَرِيِّ بْنِ الْحَسَنِ السَّيِّدِيِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي كَلْبٍ بْنِ عَبْدِ  
 الْمَلِكِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ فَصْرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ كَعْبِ  
 ابْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ بَهْرَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ

(1) - عبد الله مولاي محمد بن عبد الرحمان: سلسلة نسب عمر بن العبد بلعور، أ. خ.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهذه شجرة أصلها أصيل وظلها ظليل، وقدرها جميل وسهمها نبيل ولولا كثرة السؤال وطلب بعض الاخوان أصلح الله لي ولهم الشان وألح منهم علي لا أتكلم ولا أبخ بشيء منها، وأكتمها كما كتموها من قبلنا خوفاً من الرياء والشهرة، أعوذ بالله العظيم من شرها وقال القائل الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية، وقل صلى الله عليه وسلم كلكم لآدم وآدم من طين،<sup>(1)</sup> وقال [صلى الله عليه وسلم] الله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وقال تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فالإنسان يعلى بالأسباب لا بالأنساب، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ثم أعيد هذه السلسلة بالله العظيم من شر كل حاسد طاعن، وهماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم، فاعتبروا يا أولي الأبصار فيما مضى ولا حال يدوم إلا الله في ملكه، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فعد هذه السلسلة عبد الله بن مولاي عبد الرحمان سنة 1269هـ<sup>(2)</sup> قلت الابتداء بأني عمر بن العيد بلعور بن محمد احمد بن محمد بن احمد بن عيسى بن موسى بن سعد بن علوش الصغير **ثامر بن ثلال** محمد بن سعد بن شرور بن سالم بن عبد بن محمد بن احمد بن اعلي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم العلوان بن علوش الكبير بن منديل بن علي بن عبد الرحمان بن عيسى بن احمد بن محمد بن عيسى بن ادريس بن ادريس **بن عبد الله** ابن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي (34) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

(1) - لعله يقصد حديث: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، وهذا الحديث رواه أبو داود وأحمد بصيغ مختلفة.

(2) - الموافق لسنة 1852م.



الملحق رقم 5

تاريخ المسجد العتيق بمتليبي الشعانية<sup>(1)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على رسول الله .  
550 هـ تاريخ المسجد العتيق 1156 م  
تأسس المسجد العتيق ببلدة متليبي الشعانية سنة 550 هجرية  
الموافق لسنة 1156 ميلادية على يد الجماعة المحلية . وقد بنوه  
وسط ديارهم على ربوة مرتفعة تطل على كافة أنحاء  
البلدة . كما بنوا حوله عدة محلات للوضوء . الكتابات القرآنية  
التي تخرج منها كثير من الطلبة يحملون كتاب الله تعالى  
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلوم الفقه ... كما  
بنوا فوقه منارة على شكل هرمي يصعد عليها المؤذن ليعلن  
الأذان . وقد تعاقب عليه عدة أئمة ومؤذنون . ولما ضاق  
الجامع بالمصلين زيد فيه سنة 800 هجرية . وبقي على هذه  
الحالة إلى عام 1946 ميلادي حيث أعيد بناؤه من جديد  
باقتراح الجماعة المصلحين ، وقد شارك في بنائه كافة  
أهل البلدة مع إغاثة بعض المصلحين ، كما نظموا مرافقه  
وكتاتيبه القرآنية والفقهية . كما زودوه بمكتبة كبيرة  
تضم عددا كبيرا من الكتب . كما أعادوا بناء منارتهم . وبقي على  
هذا الوضع إلى سنة 1986 إذ ضاق رحابه بالمصلين وخاصة  
يوم الجمعة حتى اضطر بعض المصلين إلى الصلاة خارجه .  
فبعد ذلك رأى الجميع توسيعه وذلك بزيادة صحن الجامع  
فيه . فقام الجميع إلى هذا الهدف ونهضوا لإصلاحه إضافة  
إلى إصلاح ابوابه ونوافذه وغير ذلك . كما بنوا ديارا للغريب  
ولصالح المسجد ، ويوتا للذكر وأصلحوا الطرقات المؤدية  
للمسجد . وألا فرشته والمراويح والمبردات وكل ما يحتاجه  
المسجد في جميع أموره . والمحمد لله وذلك بفضل الله ورحمته  
والتعاون والاتحاد والاجلاس وتجنيد كافة أهل البلدة  
صغيرها وكبيرها رجالها ونساءها كل غلو حسب طاقتهم

(1) - المجهول: تاريخ المسجد العتيق، أ. م. ع، س. أ.

الملحق رقم 6

قصر متليلي الشعانية سنة 1882<sup>(1)</sup>



<sup>(1)</sup> -Adolphe Joanne: Géographie de l'Algérie, p 15.

## الملحق رقم 7

الشعانة بنوا مقاما في مكان مخيم محمد بن عبد الله في متليلي<sup>(1)</sup>

376

LES FRANÇAIS DANS LE DÉSERT

immondices et par toutes les impuretés ; à lui toutes ces hideuses maladies sans nom qu'il a reçues en héritage, et qu'il transmettra religieusement à ses enfants !

Telles sont les observations que nous nous communiquons en parcourant l'oasis, et en admirant ces Châanba qu'on dirait avoir été coulés en bronze.

Le colonel s'arrête tout à coup dans une clairière, au centre de laquelle est un *mqam*<sup>1</sup> circulaire qui semble être de fraîche date ; il demande le nom du saint homme à qui l'on a fait cet honneur. Quelques Châanba qui nous suivent répondent, en hésitant un peu, que ce monument a été élevé, au mois de septembre dernier, sur l'emplacement de la tente de Mohammed-ben-Abd-Allah, en commémoration de son séjour dans l'oasis. Le colonel sait qu'il importe surtout de frapper l'imagination de ces populations ; il n'ignore pas non plus que ces délicatesses, ces égards dont nous usons, à charge de revanche, envers un ennemi civilisé, ne seraient pour elles que des signes de faiblesse ; aussi, après avoir témoigné sévèrement son mécontentement aux Châanba de ce qu'ils ont laissé subsister ce *mqam*, leur ordonne-t-il de le renverser sans délai et d'en disperser les pierres. Ils ne se le font pas dire deux fois, et ils détruisent ce souvenir de leur amour pour l'ex-sultan avec le même zèle, sans doute, qu'ils ont mis à l'élever. On le voit, dans le Sahra comme ailleurs, les vaincus sont comme les absents, ils ont toujours tort.

Les quelques qbab élevées dans l'oasis à la mémoire de ses marabouts n'ont pas de coupoles. Doit-on attribuer ce sans-façon à l'égard des saints methliliens à la difficulté de faire venir des maçons de Figuig, ces architectes

<sup>1</sup> Nous avons dit que le *mqam* est une sorte de monument commémoratif en pierres sèches élevé sur le lieu où un saint personnage a dressé sa tente. Le *mqam* de Methlili se composait d'une rangée de pierres marquant le périmètre de la tente de l'ex-sultan d'Ouargla.

(1) - C. Trumelet: Les français dans le désert, p 367.

### ترجمة الفقرة الثانية من الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

توقّف العقيد فجأة عند ساحة منبسطة، لاحظ في وسطها مقاما دائريًا، يبدو أنه حديث البناء، فسأل عن اسم الولي الذي كرمه الشعانبة بهذا البناء. بعض الشعانبة الذين كانوا يتبعوننا، أجابوا، بعد تردد، أنّ هذا المقام بُني في شهر سبتمبر الماضي، في المكان الذي أقام فيه محمد بن عبد الله مخيمه، كتخليد لإقامته بالواحة. يعلم العقيد أنّه يجب طمس ذاكرة هؤلاء السكّان، كما لا يخفى عليه أنّ الرقة والاحترام اللذين نتعامل بهما مع الغير، مع وجود رغبة كبيرة في الانتقام تجاه عدوّ مدني، ستفسر بأنها علامة ضعف؛ لذلك وبعد أن أبدى سخطه بقساوة بالغة عليهم، أمرهم بهدمه حالا، وتفريق حجارته. لم يحتج إلى تكرار الأمر مرّة ثانية، قام الشعانبة بتهدم ذكرى ولائهم لسلطان ورقلة السابق، بلا شكّ، بنفس الحماس الذي بنوه به من قبل. إنّنا نرى في الصحراء كما في غيرها أنّ المنهزمين مثلّ الهاربين، هم دوماً غيرُ مُوقَّقين.

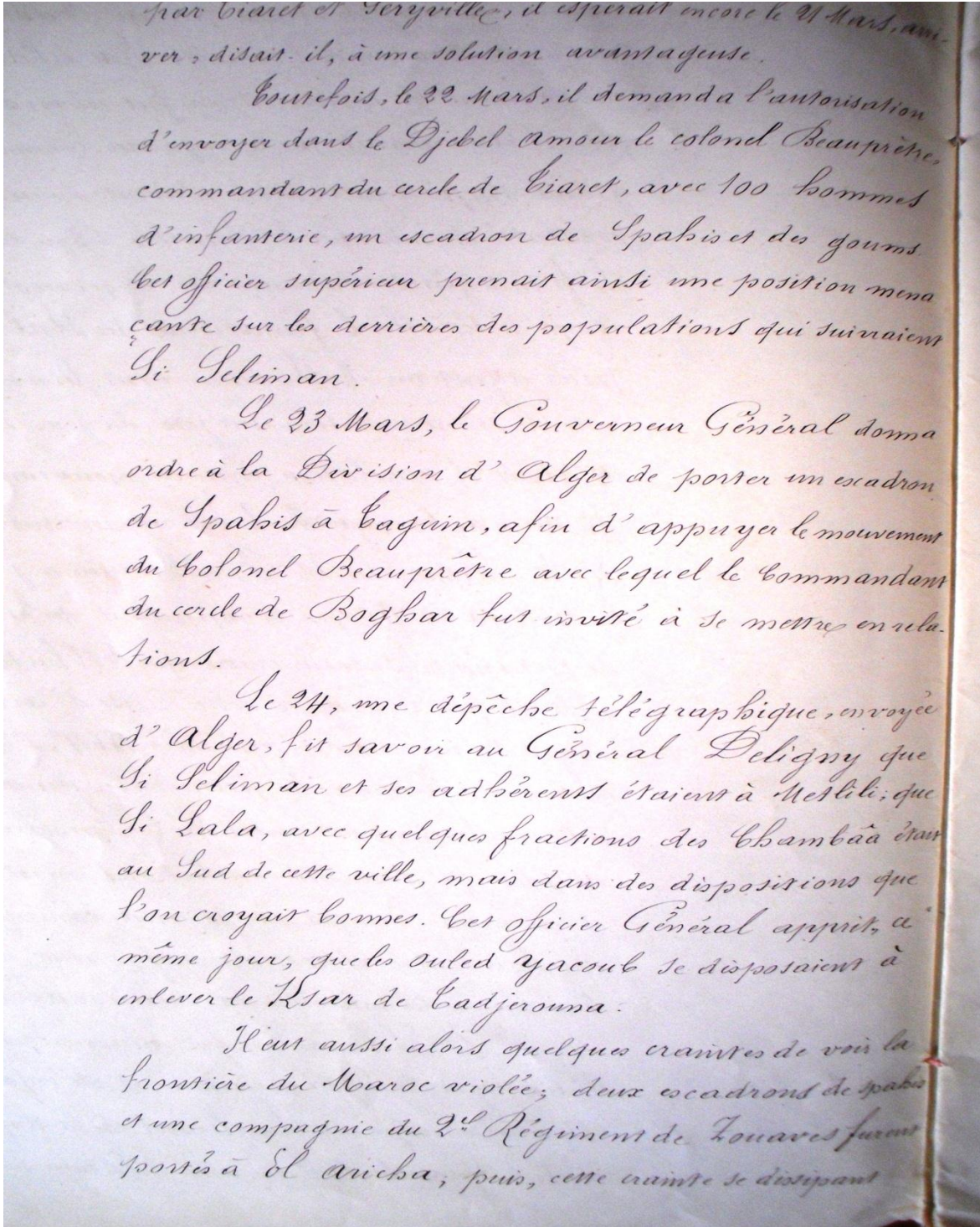
---

(1) - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث.



## الملحق رقم 9

تخيم سي سليمان وسي لعلا وأنصارهما في منطقة متليلي الشعانية قبل اندلاع الثورة<sup>(1)</sup>



(1) -Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80/1679, f 6.

## ترجمة الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

الحكومة العامة للجزائر

إلى سعادة السيد المشير وزير الحرب  
باريس

الموضوع: تقرير سياسي حول الثورة في الجزائر سنة 1864

.....  
لكن، يوم 22 مارس طالب بإعطاء الإذن لإرسال العقيد بوبريتز قائد دائرة تيارت إلى جبال عمور مرفوقا بـ 100 جندي من المشاة، مع سرية خيالة من الصبايحية والقوم. هذا الضابط السامي أخذ موضعاً خطراً خلف السكان الذين يؤيدون سي سليمان.

يوم 23 مارس، أعطى الحاكم العام أمرا إلى مقاطعة الجزائر بنقل سرية صبايحية إلى تاقين، لأجل اسناد حركة العقيد بوبريتز الذي دعاه قائد دائرة بوغار للتواصل معه.

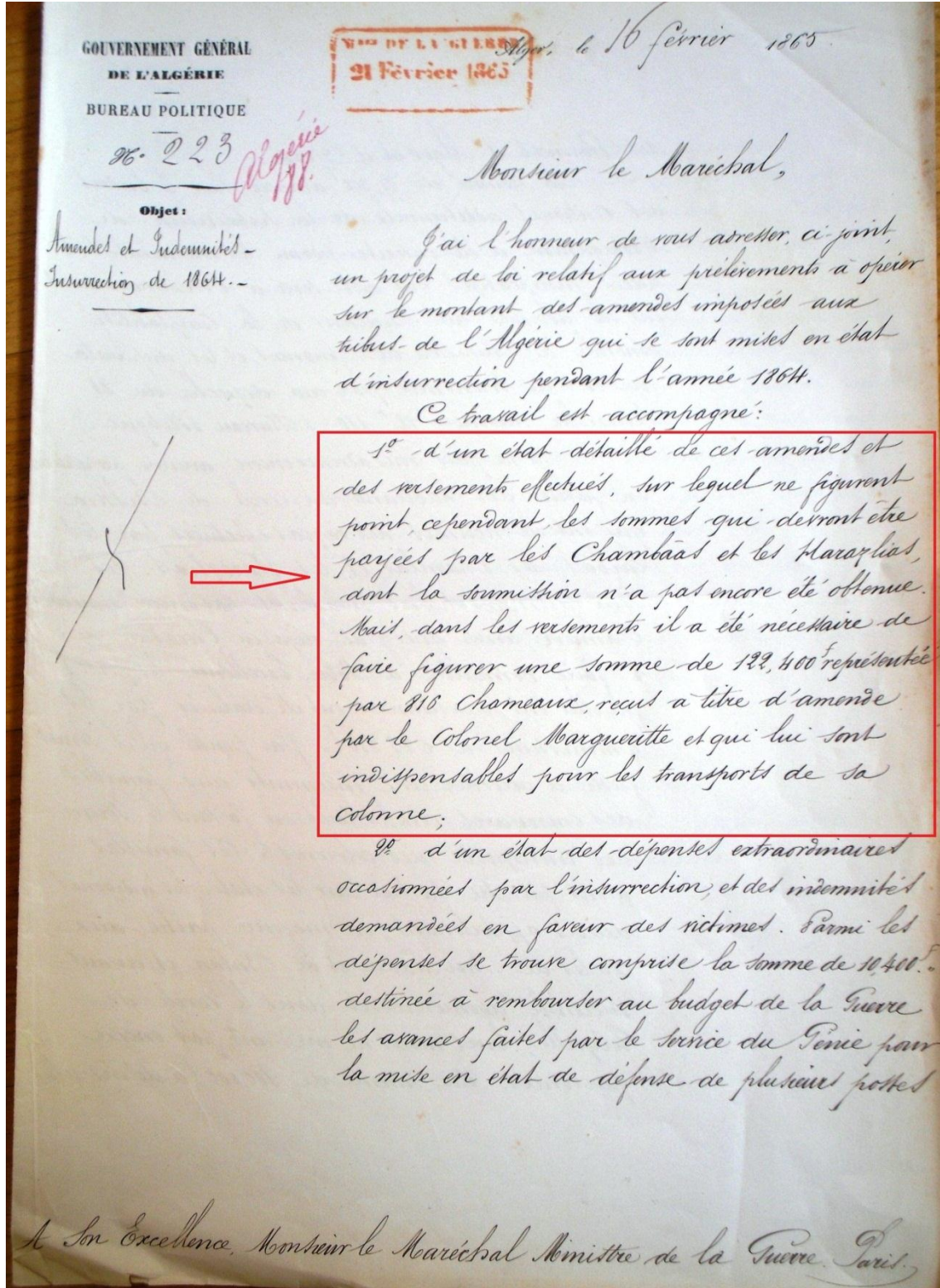
يوم 24، برقية عاجلة مرسله إلى مدينة الجزائر تخبر الجنرال ديلينييه بأن سي سليمان وأنصاره موجودون في متليلي، وأن سي لعلا، مع بعض الفرق من الشعانية، متمركزون بشكل جيد جنوب هذه المدينة. هذا الجنرال وصلته أخبار، في نفس اليوم، تفيد بأن أولاد يعقوب يستعدون للهجوم على قصر طاجرونة.

المشير مكماهون

<sup>(1)</sup> - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث.

الملحق رقم 10

(1) شعانة متليلي غير معينين بضرية ثورة 1864 بسبب عدم استسلامهم



(1) - Le maréchal de Mac-Mahon: Amendes et Indemnités Insurrection de 1864, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 16/02/1865, ANOM F80/1679.

ترجمة الفقرة الثانية من الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

الجزائر يوم 16 فيفري 1865

الحكومة العامة للجزائر

المكتب السياسي

رقم 223

إلى سعادة السيد المشير وزير الحرب

باريس

الموضوع: ضرائب وتعويضات ثورة 1864

سيدي المشير

لي الشرف العظيم أن أرسل إليكم في المرفقات مشروع القانون المتعلق بالاقتطاعات من مبلغ

الضرائب المسلطة على قبائل الجزائر الذين كانوا في حالة ثورة سنة 1864.

إنّ هذا العمل مرفق :

1- بعرض مفصل لهذه الضرائب والمدفوعات المحصلة، والتي لا تشمل لحد الآن المبالغ التي

يجب ان يدفعها الشعانبة والحرازية والذين لم يتم استسلامهم بعد. لكن في المدفوعات

يجب تعيين مبلغ 122400 فرنك ما يقابل 816 جملا تم استلامها على أساس ضريبة من

قيل العقيد مارقوريت والذين استخدمهم في تنقلات حملته.

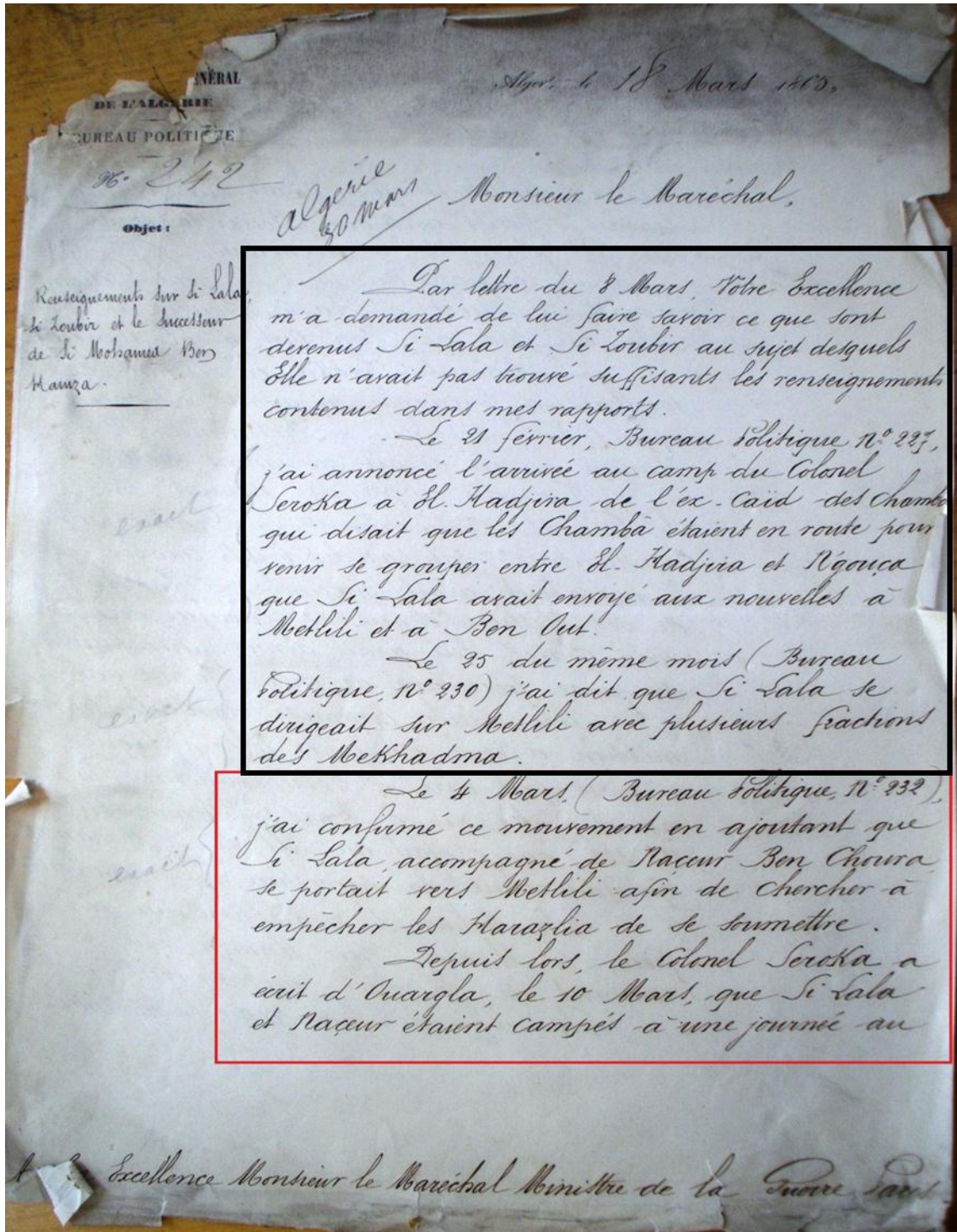
.....-2

.....

<sup>(1)</sup> - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث.

## الملحق رقم 11

(1) تخييم سي لعلا والناصر بن شهرة جنوب متليلي سنة 1865.



(1) - Le maréchal de Mac-Mahon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, Alger : 18/03/1864, ANOM F80/1695.

sud de Mellili et qu'on disait que Si Zoubir  
l'aurait rejoint, ainsi que Boudissa, exilé  
du fort Morand, à Laghouat.

A la date du 14, le Général Deligny  
crovait Si Zoubir à Massi-Bouzig et Si  
Sala au sud de Ben-Out à El-Mengoub.

Le Colonel Seroka, en écrivant le  
10. Mars d'Ouargla n'avait pas encore  
appris la mort de Si Mohamed Ben  
Hamza qu'on disait seulement blessé.

Il a dû apprendre depuis, soit par  
le Général Commandant la Province de  
Constantine, soit par les bruits arabes, que  
le marabout avait succombé à la suite  
de ses blessures et que la Zaouia des Ouled  
Sidi Cheïck lui avait donné pour successeur  
son jeune frère âgé de onze à douze ans.

Une erreur, commise dans la trans-  
mission d'une dépêche télégraphique,  
m'avait fait dire à Votre Excellence, dans  
ma dépêche du 9 Mars (Bureau Politique  
n° 233,) que c'était au fils de Si Mohamed  
qu'était échue la succession du marabout.

Si Mohamed avait avec lui un  
frère, Si Ahmed Ben Hamza, qui, au  
moment de sa mort, aurait écrit à  
Si Sala afin de faire cesser la méintelligence.

qui s'était produite entre ce dernier et Si  
Mohamed.

Veuillez agréer,  
Monsieur le Maréchal,  
la nouvelle assurance de mon profond respect.

Le Maréchal de France,  
Gouverneur-Général de l'Algérie

M<sup>te</sup> M<sup>te</sup> M<sup>te</sup>

ترجمة بعض الفقرات من الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

الجزائر: 18 مارس 1865

الحكومة العامة للجزائر  
المكتب السياسي  
رقم 242

إلى سعادة السيد المشير وزير الحرب  
باريس

الموضوع: معلومات حول سي لعلا سي الزبير وخليفة سي محمد بن حمزة

سيدي المشير

في مراسلة 8 مارس، طلب مني فخامتكم إعلامه بمصير سي لعلا وسي الزبير هذا الموضوع الذي لم تجدوا بخصوصه المعلومات الكافية في مضمون تقاريري. يوم 21 فيفري (مكتب سياسي رقم 227) أبلغت بوصول القايد السابق للشعابنة إلى مخيم العقيد سيروكا في الحجيرة، والذي قال بأن الشعابنة كانوا في طريقهم للتجمع بين الحجيرة ونقوسة، وأن سي لعلا كان قد أرسل من جديد إلى متليلي وبن عوط.

يوم 25 من نفس الشهر (مكتب سياسي رقم 230) ذكرت بأن سي لعلا توجه نحو متليلي بعدة فرق من المخادمة.

يوم 4 مارس (مكتب سياسي رقم 232) تأكدت من هذه الحركة، وأضفت بأن سي لعلا مرفوقاً بالناصر بن شهرة قد توجهها نحو متليلي لغرض منع الحرازية من الاستسلام.

---

<sup>(1)</sup> - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث. وقد تم تأطير الفقرات المترجمة.

منذ ذلك الحين، كتب العقيد سيروكا من ورقلة، يوم 10 مارس، بأنّ سي لعلا والناصر قد  
خيما على بعد يوم جنوب متليلي، وبأنه التحق بهما سي الزبير، وكذلك بوديسة الهارب من  
حصن موراند بالأغواط.

في تاريخ 14، يعتقد الجنرال ديلينييه بأنّ سي الزبير قد توجه نحو حاسي بوزيد وسي لعلا  
نحو جنوب بن عوط في المنقوب.

.....

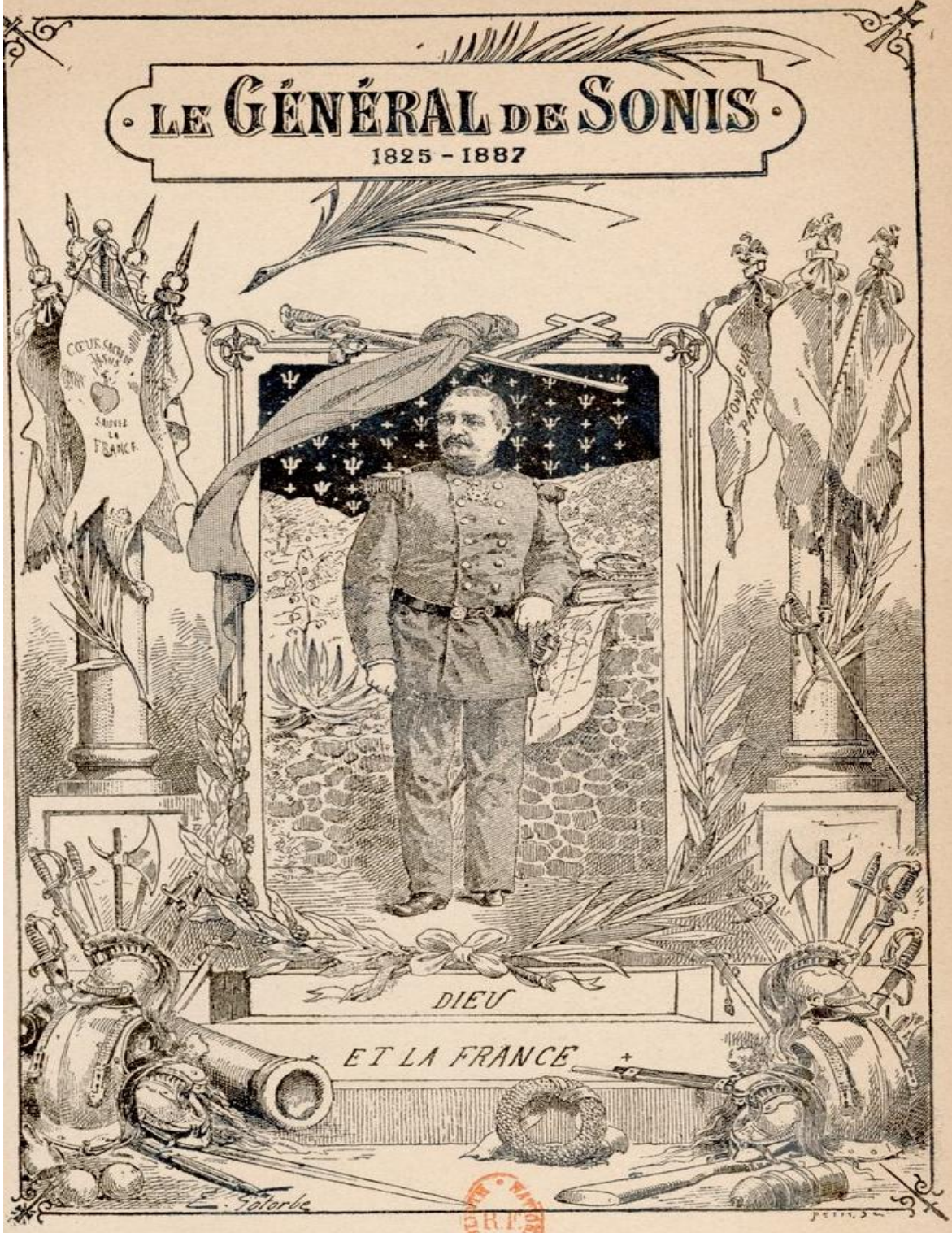
تقبلوا سيدي المشير تحياتي المتجددة

ماريشال فرنسا الحاكم العام للجزائر

مكماهون.

الملحق رقم 12

الجنرال دو سونيس قائد حملة 10 جانفي 1866 على متليلي<sup>(1)</sup>



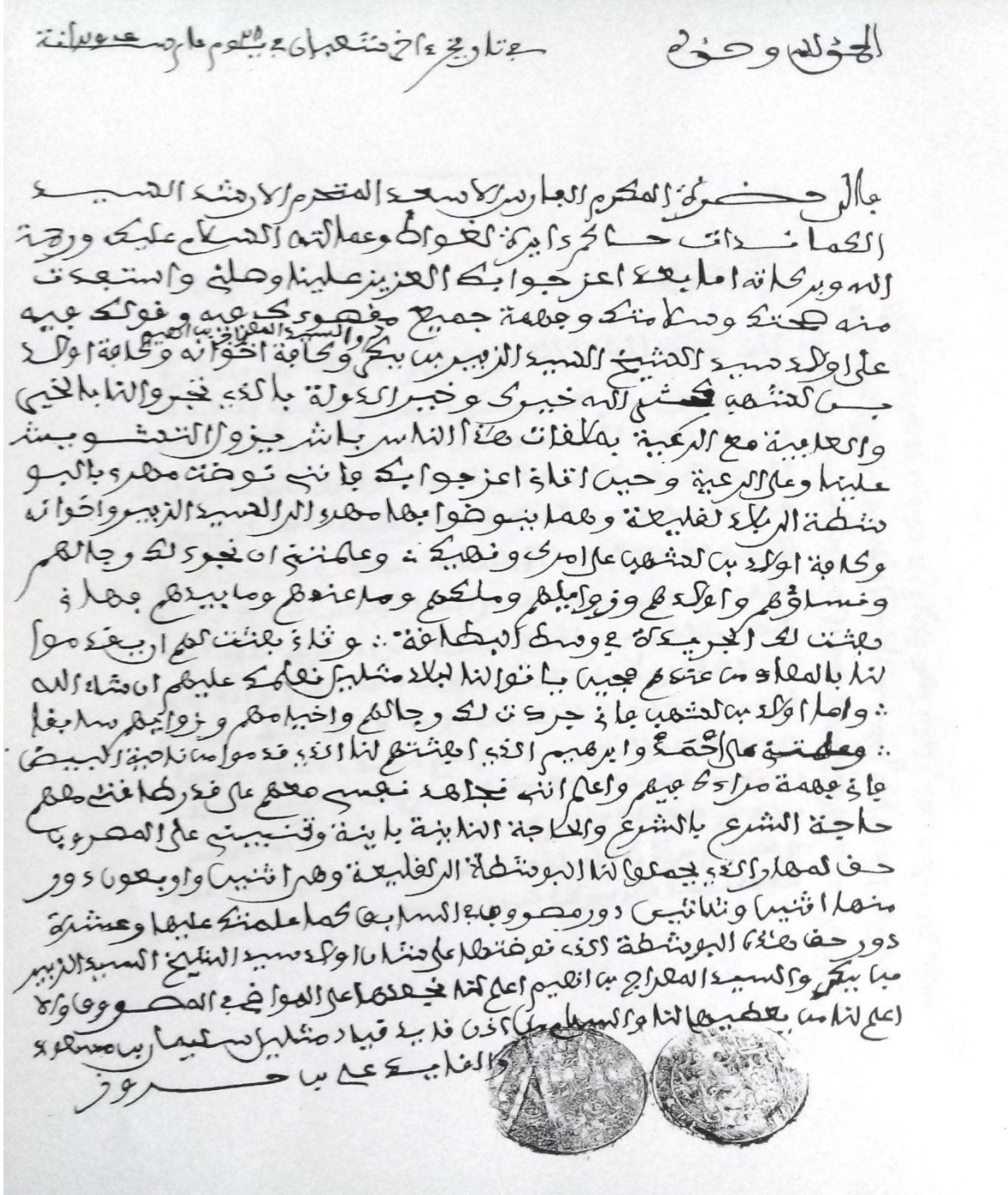
<sup>(1)</sup> - Charles d'Hallencourt: La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis, p04.





الملحق رقم 15

طلب سلطات الاحتلال من قياد متليلي التوسط لدى زعماء أولاد الشيخ لبدأ المفاوضات معهم في متليلي<sup>(1)</sup>



(1) - قائد قياد متليلي سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز: مراسلة إلى حاكم الأغواط حول طلب سلطات الاحتلال التفاوض مع أولاد سيد الشيخ، متليلي: 28 شعبان 1294هـ/ 6 سبتمبر 1877م، A. O. .

## الحمد لله وحده في تاريخ آخر شعبان يوم 28 عام سنة 1294

فإلى حضرة المكرم الفارس الأسعد المحترم الأرشد الكماندان حاكم دايرة لغواط وعمالته، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

أعز جوابك (رسالتك) العزيز علينا وصلني واستفدت منه صحتك وسلامتك وفهمة (فهمت) جميع مقصودك فيه وقولك فيه على أولاد سيدي الشيخ السيد الزبير بن بوبكر والمعراج بن النعمي وكافة إخوانه وكافة أولاد بن لشهب، كثر الله خيرك وخير الدولة بالذي تجروا علينا بالخير والعافية مع الرعية بملاقات (لأجل التفاوض مع) هاذ الناس باش (لأجل) يزول التشويش (تتوقف أعمال العنف) علينا (على الفرنسيين) وعلى الرعية (الجزائريين).<sup>(1)</sup>

وحين أتاني أعز جوابك (رسالتك) نوضت (بعثت) مهري بالبوشطة (البريد) إلى بلاد لقلية (المنية) وهما ينوضوا بها (وهم يبعثون لأجلها) مهري إلى السيد الزبير وإخوانه وكافة أولاد بن لشهب على أمرك ونهيك.

وعلمتني (طلبت مني) أن نجرد (نحصي) لك رجالهم ونساؤهم وأولادهم وزوايلهم (حيواناتهم) وملكهم وما عندهم وما بيديهم، فهاني (فإني) بعثت لك الجريدة في البطاقة (مع هذه المراسلة). وأيضاً بعثتهم (أرسلت إليهم) أن يقدموا بالمعاد من عندهم (في الموعد الذي يحددونه). فحين ياتوا لنا لبلاد مثليل (متليلي) نعلمك عليهم ان شاء الله.

وأما أولاد بن لشهب فإني جردت (أحصيت) إليك رجالهم واخيامهم وزوايلهم (حيواناتهم) من قبل. واعلمتني (طلبت مني) على أحمد وابراهيم الذي ابعثتهم لنا (الذين بعثت بهما إلينا) الذي (اللذين) قدموا (كذا) من ناحية البيض فإني فهمة (فهمت) مرادك فيهم، واعلم أنني نجاهد نفسي معاهم (أبذل جهدي معهم) على قدر طاقتي معهم، حاجة الشرع بالشرع والحاجة البينة باينة.

وتجيني على المصروف تاع لمهار (بالنسبة لتكاليف المهاري) والذي يحملوا لنا البوشطة (البريد) لقلية (المنية) وهي اثنين (كذا) وأربعون دورو منها اثنين وثلاثين مصروف في السابق كما علمتكم عليها (طلبتها منك) وعشرة حق هذه البوشطة (البريد) الذي نوضتها (بعثتها) على شان (لأجل)

(1) - هذا هو مضمون مراسلة حاكم الأغواط إلى قياد متليلي حول طلب سلطات الاحتلال التفاوض مع أولاد سيد الشيخ في متليلي. فالضمائم تعود إلى سلطات الاحتلال الفرنسي وليس إلى القياد.

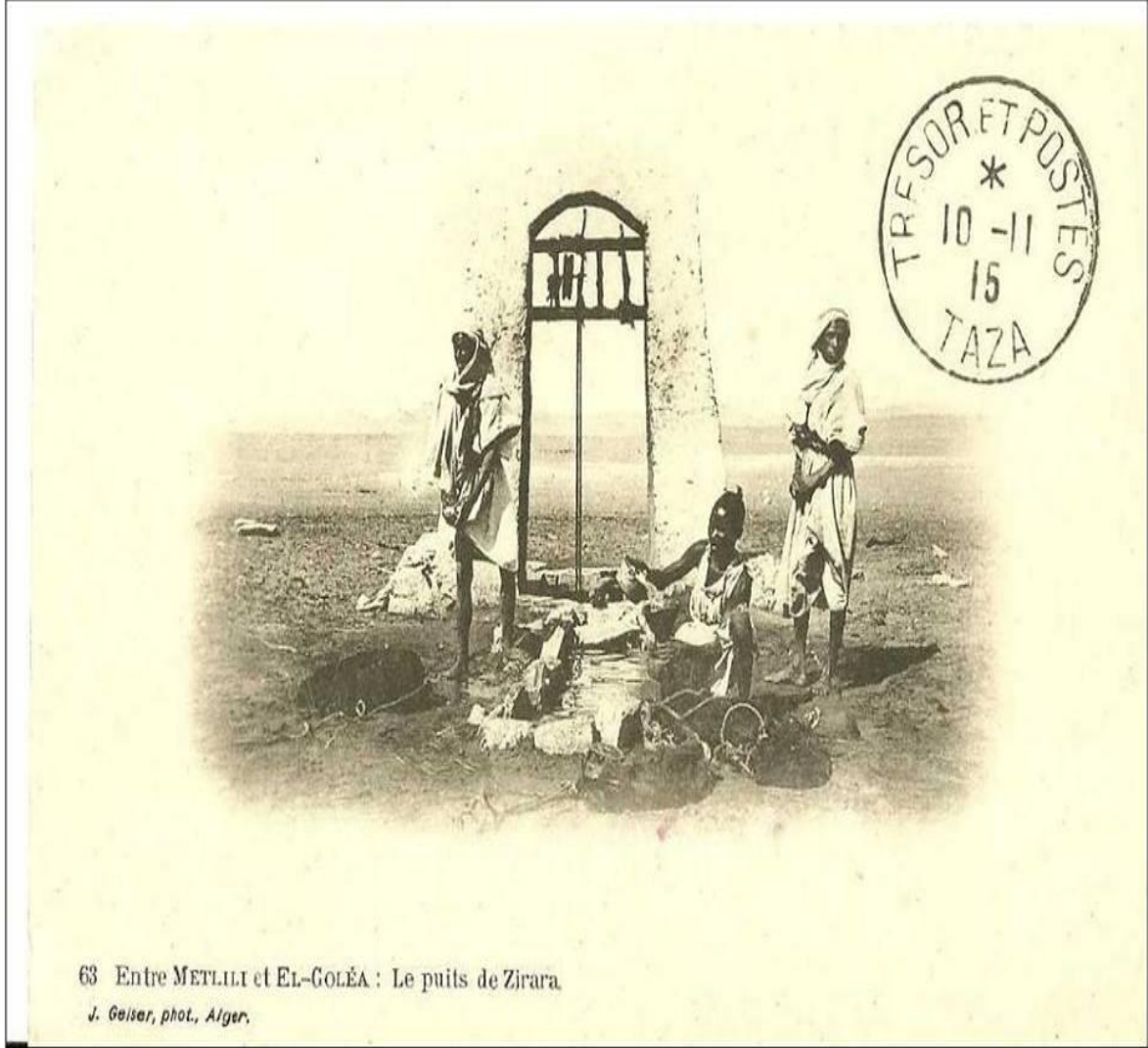
أولاد سيدي الشيخ السيد الزبير بن بوبكر والسيد المعراج بن النعيمي، اعلم لنا نجعلها في المواضي في المصروف (أبلغنا لنضيفها إلى التكليف السابقة)، وإلا اعلم لنا (أبلغنا) من يعطيها لنا. والسلام.

ياذن قايد قياد مثليل (متليلي) سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز.

الأختام

## الملحق رقم 16

آبار زيرارة بين متليلي والمنيعَة<sup>(1)</sup>



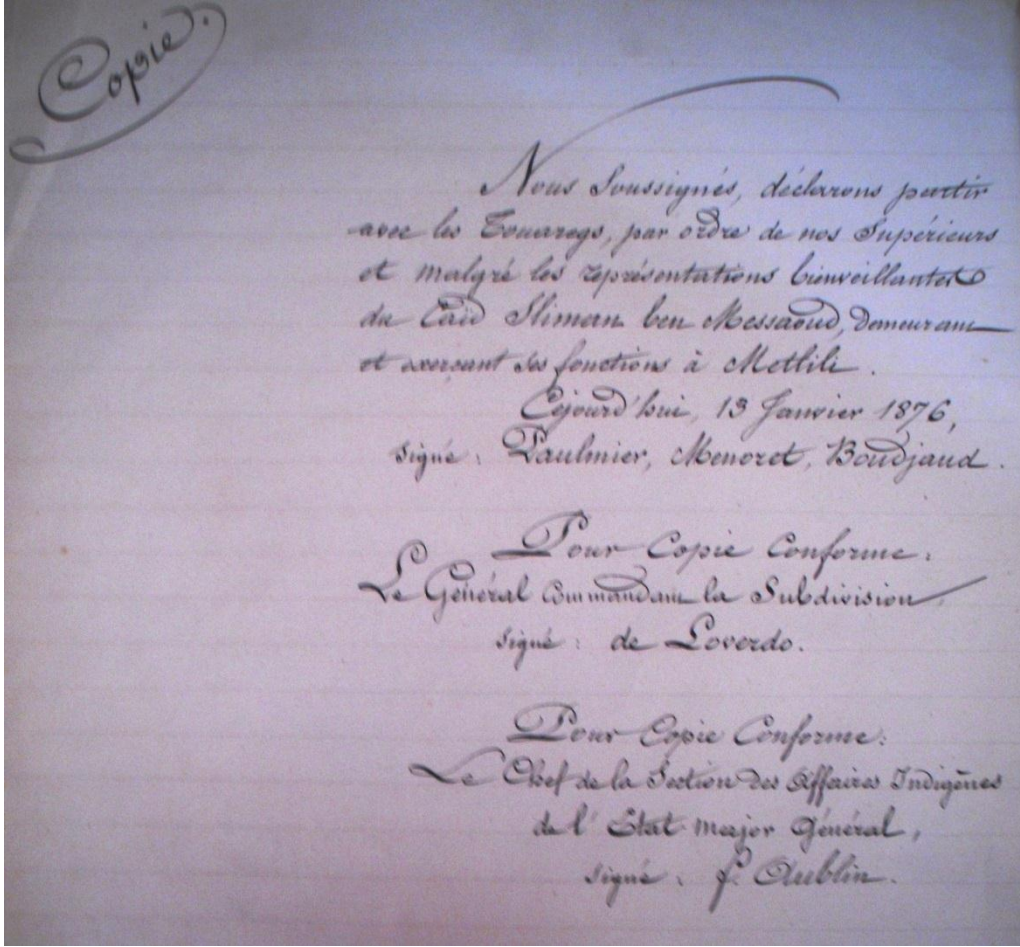
Varon

www.delcampe.net

<sup>(1)</sup> - موقع ديلكامب (Delcampe): www.delcampe.net

## الملحق رقم 17

(1) تبرئة الآباء البيض لسليمان بن مسعود من مسؤولية ما قد يقع لهم خلال رحلتهم



### (2) ترجمة محتوى الوثيقة

نحن الممضون أسلفه، نعلن أننا قررنا الذهاب مع التوارق، تنفيذاً لأوامر عليا، وذلك رغم تحذيرات ونصائح القاييد سليمان بن مسعود المقيم والعامل في متليلي.

اليوم: 13 جانفي 1876.

امضاء: بوليمييه، مونورو، بوجون

(1) -Le General Chanzy: Au sujet de Missionnaires assassinés au Sahara, Rapport à Mr Le Ministre de guerre, N 1016, Alger 13/06/1876, ANOM F80 1683, f 8.

(2) - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث.



## إعادة كتابة الوثيقة

بسم الله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله

إلى جماعتنا المحروسة بعين الرضى كافة جماعة الشعانية أخص الأعيان منهم القائمين بأمر الزمان قبيلة بعد قبيلة من غير تخصيص أرشدكم الله وأعانكم وللخير والجهاد وفقكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه وخيرته واحسانه وانعامه وافضاله وبعد، نعلمكم اعلمكم الله خيرا نريد قدمكم ونتلاقوا على أمر الجهاد في سبيل الله. هذا الأمر نادا(نادى) به المنادي من قبال(قبيل) الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأمر رجال الله الصالحين. من أراد منكم ذلك فالله يوافق(يوققه) ويعينه يأتين(يأتيني) في الحليات.<sup>(1)</sup> هذا هو الموعد الصحيح الذي بيننا وبينكم، [وتاتوا بعوين شهر كاملا]<sup>(2)</sup> ومن لم يردده فلا حاجة لنا به، ولا يأتينا بعد ذلك. والسلام.

وكتب بأمر سيدنا نصره الله، وعلى الكفر (الكفار) أعانه، سيدنا أبو عمامة بالعرب(بن العربي) بن الحرمة أمّنه الله ورعاه. وكتب بتاريخ ثمانية وعشرون من جماد الثاني (جمادى الثانية) عام 1248. بيانه 1298.<sup>(3)</sup>

(1) - الحليات مكان اللقاء بين الشعانية وزمالة بوعمامة.

(2) - هذه الجملة وردت في هامش الرسالة، والظاهر أنها من متن الرسالة إلا أنها أضيفت بعد ختمها، وقد أدرجناها في هذا الموضوع استكمالا للكلام.

(3) - الموافق ل 27 ماي 1881.

## الملحق رقم 19

(1) شعانة متليلي في طليعة القبائل الثائرة سنة 1881

**SITUATION POLITIQUE DE L'ALGÉRIE**  
**Au 10 septembre 1881**

PROVINCE D'ALGER

La situation politique de la province d'Alger est aussi bonne qu'on peut le désirer, surtout après les événements qui ont agité le pays pendant plusieurs mois.

Du reste, les mesures militaires qui ont été prises sur divers points, l'arrivée de nombreuses troupes de la métropole, démontrent à la masse de la population indigène, qui est certainement avide de tranquillité, que le Gouvernement a l'intention bien arrêtée d'empêcher que la paix publique ne soit troublée et qu'il a en mains les moyens de se faire obéir.

Toutes ces mesures ont produit un excellent effet ; c'est ainsi que l'administration a pu, le mois dernier, sans avoir besoin de déploiement de force et sans causer d'émotion, arrêter les sept principaux mokkadem de la zaouia de Sidi Ali Ou Moussa, chez les Maatka de Dra El-Mizan. Ces indigènes, dont les agissements hostiles et les excitations anti-françaises étaient étroitement surveillés, ont été interçés en France, leur zaouia fermée et les bâtiments remis à l'administration des Domaines, en attendant qu'on y installe une des nouvelles écoles françaises à créer en Kabylie.

Aussi, malgré les prévisions de certaines gens malintentionnés, qui avaient annoncé un désordre général à la fin du Rhamadan, le calme n'a pas cessé de régner, d'une façon générale, dans le pays, et les ordres des agents français ou indigènes s'exécutent facilement.

Ce n'est pas à dire que des sollicitations ne soient faites auprès de nos tribus pour les pousser au désordre, mais, jusqu'à présent, ces tentatives ont été infructueuses, tout au moins en ce qui regarde la région comprise entre la mer et l'Oued Djeddi ; il n'en a pas été de même parmi les Chambâa de Metlili et de Goléa.

Quelques tentes de ces deux agglomérations ont pris part aux mouvements insurrectionnels de l'ouest. Plusieurs d'entre elles sont même revenues à Metlili et entretiennent une agitation dangereuse.

Un groupe de Chambâa insoumis, campé dans les environs de Brézina, vient d'être razzé par le makhzen de Géryville.

Plusieurs d'entre elles sont même revenues à Metlili et entretiennent une agitation dangereuse.

Un groupe de Chambâa insoumis, campé dans les environs de Brézina, vient d'être razzé par le makhzen de Géryville. Malgré cette sévère leçon, il est à craindre que les Chambâa ne prennent part à un mouvement insurrectionnel, s'il est dirigé par les Oulad Sidi Cheikh Cheraga, dont ils sont les serviteurs religieux les plus dévoués.

Au M'zab, la tranquillité règne en ce moment, mais il est possible qu'elle ne soit que de courte durée, en raison de l'agitation qui a lieu chez les Chambâa.

Dans l'aghalik d'Ouargla, les troubles de Tunisie préoccupent les habitants de cette oasis, qui ont des relations très intimes avec la Régence ; jusqu'à présent, ces préoccupations n'ont donné lieu à aucun fait de désordre ayant un caractère bien déterminé.

Au commencement du mois dernier, l'agha d'Ouargla avait été prévenu qu'un razzou s'organisait à Insalah pour opérer vers l'est.

Ce razzou, composé des Medaguenat, qui a, en effet, contourné le M'zab, passait, le 19 août, à Hassi El-Khefif et enlevait, à hauteur de Taibet El-Dahrania, 60 chameaux appartenant à des gens de ce ksar. L'agha d'Ouargla se mit à la poursuite de cette bande, qui se dirigea vers l'ouest en passant par Teniet El-Biod. Il ne put l'atteindre, mais celle-ci, se sentant pressée de près, abandonna les chameaux qu'elle avait pris.

Un tirailleur du 3<sup>e</sup> régiment, échappé au massacre de la mission du lieutenant-colonel Flatters, vient d'arriver ces jours derniers à Metlili, après avoir séjourné pendant trois mois à Insalah, chez le cheikh El-Hadj Abdelkader ben Badjouda, il assure que quatre tirailleurs de son régiment, dont il donne les noms, sont encore vivants et prisonniers du cheikh des Touareg Hoggar, Aïtaghel ; des ordres ont été donnés pour que des négociations soient entamées en vue de traiter de la reddition de ces tirailleurs.

(1) - Gouvernement Générale de l'Algérie: Situation politique de l'Algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 MI 91.

ترجمة بعض الفقرات من الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

الحكومة العامة للجزائر

الوضع السياسي للجزائر

حتى 10 سبتمبر 1881

محافظة الجزائر

.....

هذا لا يعني القول بأنّ الإغراءات ليست مسلّطة على قبائلنا لدفعها إلى الفوضى، ولكن حتى الآن لم تنجح هذه المحاولات، على الأقل فيما يتعلق بالمنطقة الواقعة بين البحر ووادي جدي. لكن ليس الأمر كذلك بين شعابنة متليلي والمنيعة.

بعض الخيام في هذين التكتلين يشكلون جزءا من الحركة الثورية في الغرب (ثورة بوعمامة). حتى أنّ العديد منهم عادوا إلى متليلي وأثاروا حركة خطيرة.

مجموعة من الشعابنة المتمردين المخيمين نواحي بريزينة قد تعرضوا لهجوم من مخازنية البيض، ورغم هذا الدرس القاسي إلا أنه لا يزال هناك اعتقاد من أنّ هؤلاء الشعابنة لن يكونوا جزءا من حركة ثورية، إذا تزعمها أولاد سيدي الشيخ الشراقة والذين هم أتباعهم الدينيين الأكثر إخلاصا.

في ميزاب، الهدوء يعم حاليا، لكن يحتمل أن يكون لفترة قصيرة بسبب التمرد لدى الشعابنة.

.....

<sup>(1)</sup> - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث. وقد تم تأطير الفقرات المترجمة.

## الملحق رقم 20

جدول يوضح أهم العمليات التي شارك فيها شعانية بوعمامة ضد الفرنسيين أو المتعاونين معهم بين سنتي 1894-1897.<sup>(1)</sup>

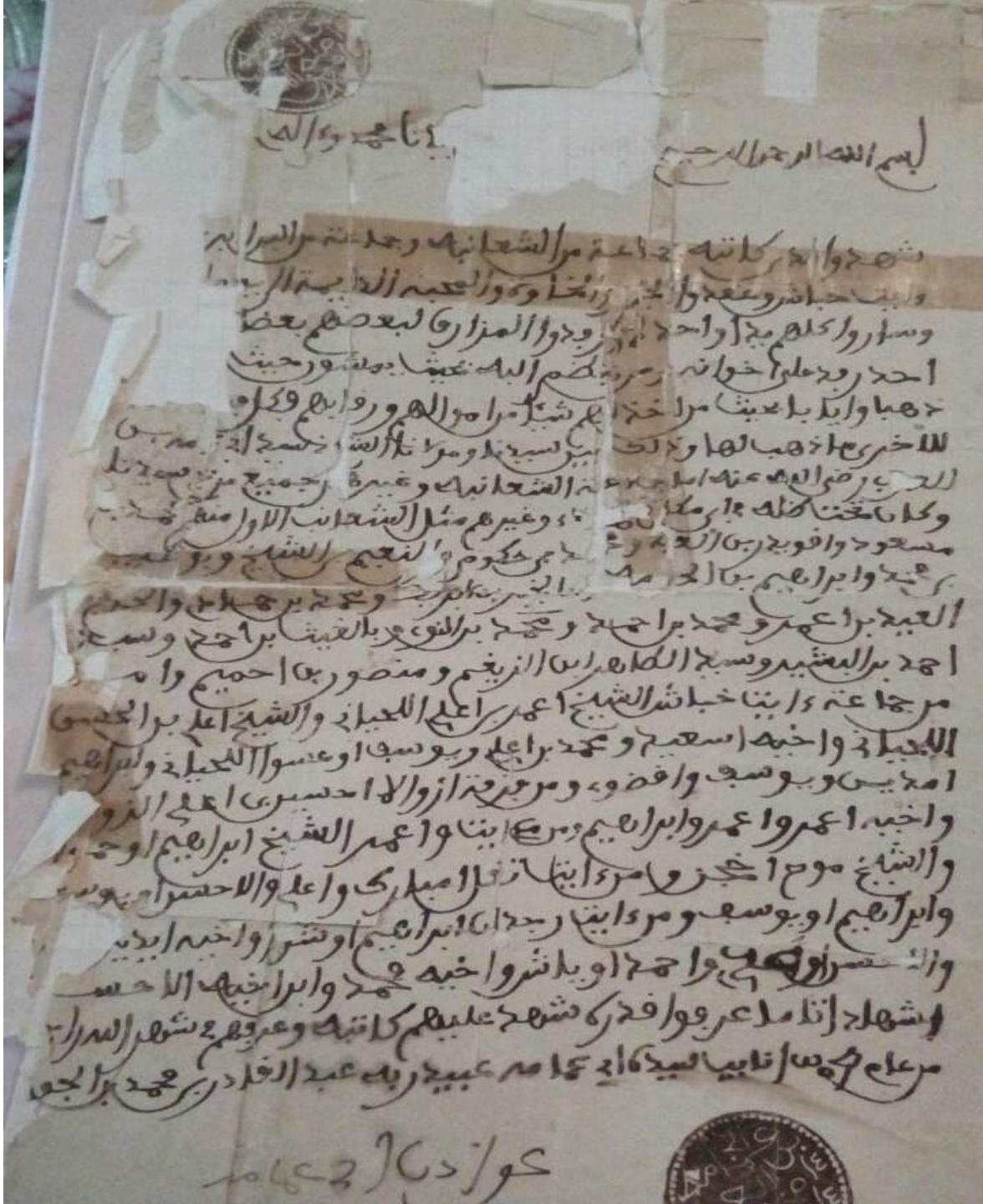
التاريخ	عدد المهاجمين	المكان	النتائج
1 ماي 1894	30 شعانيا	----	نهب 30 جملا للتوارق
29 ماي 1894	7 شعانية	وادي محيقن	نهب 40 جملا لسعيد عتبة
جويلية 1894	25 شعانيا	تابلبالة	نهب 200 جملا للتوارق
7 سبتمبر 1894	50 شعانيا	حصن مكماهون	نهب 93 بقرة و 377 شاة
8 سبتمبر 1894	50 شعانيا	حاسي بوخنفوس	قتل 5 جنود فرنسيين، نهب 600 جمل و 4000 فرنك
17 ديسمبر 1894	8 فرسان مهاري تابعين لبوعمامة	بوشاوشة (جنوب تاجرونة)	150 جمل لأولاد يعقوب
أفريل 1895	60 من الشعانية، الزوى والجرامنة	أوهان (بن غات وغدامس)	نهب 700 جمل و 20 عبدا للتوارق
4 أفريل 1895	12 شعانيا	الفتح (شمال المنيعه)	نهب 35 جملا من فرقة من شعانية المواضي
4 ماي 1895	60 من الشعانية، الزوى والجرامنة	الايبوض	قتل المستكشف فورو واثنين من مرافقيه
فيفري 1896	12 شعانيا	بين تيط وإينغار	نهب 200 جملا من أولاد زينان
13 فيفري 1896	----	مور لشهب (البيض)	نهب 12 جملا من أولاد سيدي الحاج الشيخ - العرباوات

<sup>(1)</sup> - هذا الجدول من تصميم الطالب الباحث. وأنظر:

قتل المستكشف ديموريس	لوطاية	مجموعة من التوارق والشعانية الثائرين	9 جوان 1896
نهب 72 مهريا	حصن مكماهون	30 شعانبا	12 أوت 1896
تعطيل الخط. ونهب 250 جملا من أولاد جاما	مركز مراقبة التلغراف بحاسي أولاد زيد	35 شعانبا	22 أكتوبر 1896
قتل الملازم قولو وثلاثة من مرافقيه	الطريق من المنيعا إلى حصن مكماهون	3 شعانبا	21 أكتوبر 1896
نهب 60 جملا لبني ثور	حاسي سمهري	7 شعانبا	11 نوفمبر 1896
نهب 350 جملا للارباع	بلعدين (واد زرقون)	50 شعانبا	2 ديسمبر 1896

### الملحق رقم 21

وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين شعانة متليلي وقبائل البرابر المغربية  
لنصرة بوعمامة<sup>(1)</sup>



(1) - عبد القادر بن محمد بن الجودي: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين شعانة متليلي وقبائل البرابر ، أ. ز. ش. م، رجب  
1313 هـ الموافق لجانفي 1896 م.

## الختم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

شهدوا لدى كاتبه جماعة من الشعابنة وجماعة من البرابير(.....)<sup>(1)</sup> آيت خبّاش وعقدوا الخير والخواوة (الأخوة) والمحبة الدائمة إلى يوم(.....)، وساروا كلهم يداً واحدةً، ورفدوا المزارق لبعضهم بعض(.....) أحد رفد على إخوانه ومن ينضم إليه بحيث يمشون حيث(.....)ذهب(ذهاباً) وإياباً، بحيث من أخذ إليهم شيئاً من أموالهم ورقابهم فكل(.....) للآخرين ما ذهب لها، وذلك بين سيدنا ومولانا الشيخ سيدي أبي عمامة بن العربي رضي الله عنه.

أما من جماعة الشعابنة وغيرهم من جميع من تبع سيدنا وكان تحت ظله في أي مكان (كلمة غير واضحة) وغيرهم مثل الشعابنة: الأول منهم محمد بن مسعود، وقويدر بن العبد(العابد)<sup>(2)</sup>، ومحمد بن حكوم، والنعمي بن الشيخ<sup>(3)</sup>، وبوظبية بن محمد<sup>(4)</sup>، وإبراهيم بن الحرمة، وبالخير بن ابريك، ومحمد بن حمادي، والحاج العيد بن عمر، محمد بن احمد، محمد بن

---

(1) - الوثيقة مهترئة ومقطعة، هناك بعض الكلمات الناقصة مكان التقطيع، وبما أننا لم نستطع إضافة الكلمات المناسبة المفقودة فقد وضعنا مكانها نقاط.

(2) - هو الجد الأول لعائلة "العابد" التي تنتمي إلى عرش القصر فرقة أولاد اسماعيل.

(3) - هو الجد الأول لعائلة "أولاد نعيمي" التي تنتمي إلى عرش القصر فرقة المرابطين.

(4) - هو الجد الأول لعائلة "بوظبية" التي تنتمي إلى عرش أولاد عبد القادر فرقة العوامر.

النوي<sup>(1)</sup>، وبلغيث بن احمد<sup>(2)</sup>، السيد أحمد بن البشير<sup>(3)</sup>، والسيد الطاهر بن الزيغم، ومنصور بن احميم.

وأما من جماعة آيت خبّاش الشيخ اعمر بن علي اللحياني، الشيخ اعلي بن الحسين اللحياني، وأخيه اسعيد، ومحمد بن اعلي، ويوسف أوعسوا اللحياني، وابراهيم امدين، ويوسف واقضوي، ومن فرقة أزوالا احسين بن اعلي الزولالي، وأخيه اعمر، واعمر وابراهيم، ومن آيت واعمر الشيخ ابراهيم أوحمو، والشيخ موح أحنن، ومن آيت نقل امبارك واعلي، ولحسن أويوسف، وابراهيم أويوسف، ومن آيت رجدان ابراهيم أوشوزو، وأخيه ايدير، ولحسن واعلي، وأحمد أوياش، وأخيه محمد، وابن أخيه لحسن، اشهادا تاما عرفو قدره.

شهد عليهم كاتبه وعرفهم في شهر الله راجب (رجب) من عام 1313<sup>(4)</sup> نايبا (نائبا) لسيدته أبي عمامة عبيد ربه عبد القادر الجودي.

## الختم

عن اذن أبي عمامة بن العربي

---

(1) - هو الجد الأول لعائلة " بن نوي " التي تنتمي إلى عرش أولاد عبد القادر فرقة السوايح. وقد ورد في وثيقة أخرى أن محمد بن النوي ينتمي إلى أولاد حنيش.

(2) - هو الجد الأول لعائلة " بلغيث " التي تنتمي إلى عرش القصر فرقة المرابطين.

(3) - هو الجد الأول لعائلة " بلبشير " التي تنتمي إلى عرش القصر فرقة المرابطين وقد ورد في وثائق أخرى أنه ينتمي إلى أولاد سيدي الزيغم.

(4) - الموافق ل: جانفي 1896.



## الحمد لله

بإذن كاتبه والمصادق عليه اعترف على نفسه المهاجر<sup>(1)</sup> عبد القادر بن عبد الرحمان الملقب بالفنّيش<sup>(2)</sup> ثم الشعنبي أنه بعد دبره منه<sup>(3)</sup> وهب جميع ما هو يملكه على رب الزاوية وهو الشيخ الكامل أو ما خلف بعده لما يدخل فيه بعد الادبار أحد سوى الموهوب له وهو سيدنا أبي عمارة بن العربي نفعنا الله به إهابة تامة بالإهابة المتوفرة الشروط اعترافا صحيحا لازما شهد عليها مما فيه من أشهاداه وهما بحال أتم الاشهاد والاعتراف وأنه قدمهما في 3 من جمادى الأول عام 1314 بإذن عبد ربه غلام أبي عمارة (.....)<sup>(4)</sup> وعبيد ربه وذميم شيخه علا اسمه أمين عبد القادر الجودي.

---

(1) - المهاجر: هذا مصطلح كان في تلك الفترة يطلق على الثائر المجاهد، وكان يطلق أيضا على الذي هجر داره وبلده.

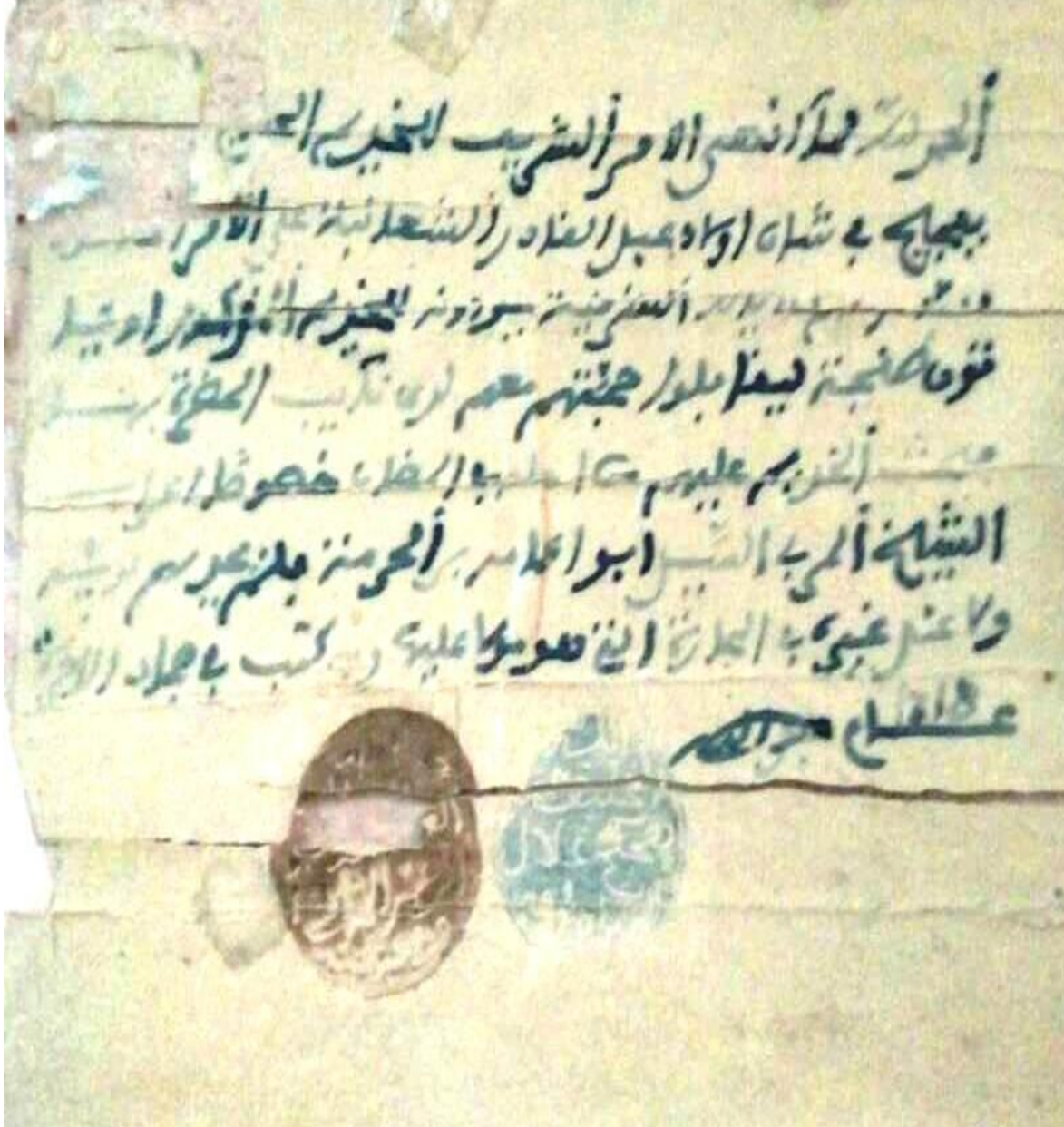
(2) - هو الجد الأول لعائلة " فنّيش " المعروفة في متليلي والتي تنتمي إلى عرش أولاد علوش فرقة أولاد موسى.

(3) - أي بعد موته.

(4) - لم نستطع قراءة الكلمات المشطوبة فوضعنا مكانها نقاطا.

## الملحق رقم 23

وثيقة اتهام سلطات المغرب لأولاد عبد القادر الشعانية بالقيام بأعمال نهب داخل الحدود الجزائرية<sup>(1)</sup>



<sup>(1)</sup> - بيان اتهام سلطات المغرب لأولاد عبد القادر الشعانية بالقيام بأعمال نهب داخل الحدود الجزائرية، أ. ز. ش. م، جمادى الآخرة 1318هـ الموافق لأكتوبر 1900م.

## الحمد لله

مما أنهى الأمر الشريف للخدم الحاج علال بفيقيق في شأن أولاد عبد القادر الشعانية<sup>(1)</sup> على الأمر [الذي يخص ما نُهبوه]<sup>(2)</sup> في الأيالة الشرقية<sup>(3)</sup> يردونه للخدم المذكور أو ياتون طنجة ليقابلوا حجتهم لدى (عند) نايب (نائب) الحضرة<sup>(4)</sup> بها.

بحث الخدم عليهم عاما في المضرب (في فيقيق) خصوصا [عند]<sup>(5)</sup> أعراب الشيخ المرابي السيد أبو عمامة بن الحرمة فلم يجدهم لديه ولا عند غيره في المفازة (المنطقة) التي هو مولا عليها.

كتب في جمادى الآخرة عام 1318<sup>(6)</sup>

ختم قايد فيقيق الحج علال

ختم آخر (غير واضح)

- 
- (1) - هم مجموعة من عرش أولاد عبد القادر من شعانية متليلي كانت في زمالة بوعمامة.
  - (2) - ما بين المعقوفتين هو من اجتهادنا لأنّ الكلمات غير واضحة في الوثيقة الأصلية، وقد وضعناها بناء على اطلاعنا على وثائق أخرى تتحدث عن هذه القضية.
  - (3) - الأيالة الشرقية، يقصد به إيالة الجزائر.
  - (4) - الحضرة: يقصد بها الحضرة الشريفة أي السلطنة العلوية بالمغرب، ونائب الحضرة معناه، نائب السلطان المغربي في طنجة.
  - (5) - كلمة مضافة ليستقيم المعنى.
  - (6) - الموافق لشهر أكتوبر 1900.

الملحق رقم 24

هجمات شعانية بوعمامة على الأهداف الفرنسية داخل العمق الجزائري  
انطلاقاً من الحدود المغربية<sup>(1)</sup>

---

N° 148.

M. JONNART, Gouverneur général de l'Algérie,  
à M. DELCASSÉ, Ministre des Affaires étrangères.

Alger, le 16 avril 1904.

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que, dans les premiers jours du mois de février, il m'était rendu compte qu'un groupe d'environ 80 Chaamba et Oulad Djerir de l'entourage de Bou Amama s'était avancé jusqu'aux abords des oasis sahariennes et avait attaqué à Hassi el Azz, au nord de Tabelkoza, une fraction des grandes caravanes annuelles du cercle de Géryville à laquelle il avait réussi à enlever 250 ou 300 chameaux, après avoir tué ou blessé plusieurs des caravaniers.

Le 8 février, une patrouille de 30 goumiers et mokhaznis de Beni Ounif, sous les ordres du qaïd Mohammed ben Ahmed, des Oulad Amran, rejoignait ce rezzou au nord du Grouz et, malgré l'infériorité numérique dans laquelle elle se trouvait, n'hésitait pas à l'attaquer.

Après une lutte inégale, dans laquelle nos caravaniers firent preuve de beaucoup de bravoure et d'énergie, la patrouille rentra à Beni Ounif, ayant perdu 8 morts et ramenant 9 blessés. Elle avait réussi à reprendre au rezzou onze chameaux seulement.

L'ennemi laissait dix morts sur le terrain et emportait une vingtaine de blessés.

JONNART.

---

(1) -Ministère des Affaires Etrangères: Documents Diplomatiques Affaires du Maroc 1901-1905, p125.

## ترجمة الوثيقة السابقة<sup>(1)</sup>

رقم: 148

السيد جونار الحاكم العام للجزائر

إلى السيد ديلكاسي وزير الشؤون الخارجية

الجزائر يوم 16 أبريل 1904.

لِي الشرف العظيم أن أعلمكم أنه في الأيام الأولى من شهر فيفري، أُبلغت أنّ مجموعةً تضم حوالي ثمانين من الشعانبة، ومعهم أولاد جرير من المقربين لبوعمامة، تقدموا إلى غاية حدود الواحات الصحراوية، وهاجموا بحاسي العز شمال تيلكوزا جزءاً من القوافل السنوية لدائرة البيض، وقد نجحوا في الاستيلاء على 250 إلى 300 جمل بعدما قتلوا وجرحوا العديد من أفرادها.

وفي يوم 8 فيفري، قامت دورية متكونة من 30 من القوم ومخازنية بني ونيف، تحت قيادة القايد محمد بن أحمد من أولاد عمران، بملاحقة المهاجمين شمال القروز. ورغم قلة عدد الدورية إلا أنّها لم تتردد في مهاجمة المجموعة.

وبعد معركة غير متكافئة، أظهر فيها جنودنا شجاعة وقدرة كبيرة، عادت الدورية إلى بني ونيف، بعد ما فقدت 8 قتلى وجلبت معها 9 جرحى. وقد نجحت في استعادة 11 جملاً فقط.

وقد ترك العدو عشرة قتلى على أرض المعركة وحمل معه حوالي عشرين جريحاً.

جونار

<sup>(1)</sup> - هذه الترجمة من عمل الطالب الباحث.

الملحق رقم 25  
وصية الشيخ بوعمامة<sup>(1)</sup>



<sup>(1)</sup> - وصية الشيخ بوعمامة إلى أنصاره، أ. ز. ش. م، 10 شعبان 1326 هـ الموافق ل 06/09/1908 م.

# المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

#### أ- الوثائق:

1. بيان اتهام سلطات المغرب لأولاد عبد القادر الشعانبة بالقيام بأعمال نهب داخل الحدود الجزائرية، أ. ز. ش. م، جمادى الآخرة 1318هـ الموافق لأكتوبر 1900م.
2. التتلاي عبد الرحمان: رحلة التتلاي إلى ثغر الجزائر، مخ، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، أدرار.
3. الجودي عبد القادر: براءة بوعمامة من اتهامات قايد فيقيق لأولاد عبد القادر الشعانبة ، أ. ز. ش. م، 19 جمادى الأولى 1318هـ الموافق ل 13/09/1900م.
4. الجودي عبد القادر: تبليغ بوعمامة باتهامات قايد فيقيق لأولاد عبد القادر الشعانبة ، أ. ز. ش. م، 17 ذي الحجة 1317هـ الموافق ل 17/04/1900م.
5. الجودي عبد القادر: عقد هبة عبد القادر الفينش للشيخ بوعمامة، أ. ز. ش. م، 3 جمادى الأولى 1314هـ الموافق ل 09/10/1896م.
6. الجودي عبد القادر: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين الشعانبة ودوي منيع، أ. ز. ش. م، ربيع الأول 1313هـ الموافق لسبتمبر 1895م.
7. الجودي عبد القادر: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين الشعانبة وقبائل أعريب، أ. ز. ش. م، رجب 1313هـ الموافق لجانفي 1896م.
8. الجودي عبد القادر: وثيقة معاهدة الصلح والأخوة بين شعانبة متليلي وقبائل البراير، أ. ز. ش. م، رجب 1313هـ الموافق لجانفي 1896م.
9. قايد القياد سليمان بن مسعود والقايد علي بن حروز: مراسلة إلى حاكم الأغواط، متليلي: 28 شعبان 1294هـ/ 6 سبتمبر 1877م، A. O.
10. القائمة الاسمية لشعانبة متليلي الملتحقين ببوعمامة، أ. خ.
11. قياد وأعيان متليلي: شكوى حول المخطط الجديد لترسيم حدود متليلي الشعانبة في وادي زرقون، مراسلة إلى السيد رئيس ملحقة غارداية، متليلي: 18/1/1928، أ. م. ع.، س. ع.

12. المجهول: تاريخ المسجد العتيق، أ. م. ع.، س. ح.
13. مولاي محمد عبد الله بن عبد الرحمان: سلسلة نسب عمر بن العيد بلعور: أ. خ.
14. ناصري الحاج بحوص: هجرة أولاد سيدي الشيخ، مخ، Cote: 0 198 1000 00  
Ghardaïa –CCDS.
15. وصية الشيخ بوعمامة إلى أنصاره، أ. ز. ش. م، 10 شعبان 1326هـ الموافق ل  
1908/09/06م.

### ب- المصادر:

1. ابن خلدون عبد الرحمان: العبر، 8 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 2000.
2. اطفيش محمد بن يوسف: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر، تح: فتيحة يطو، جامعة النيلين، السودان 2006.
3. اطفيش محمد بن يوسف: الرسالة الشافية في تاريخ بني ميزاب، طبعة حجرية، 1908.
4. أعزام إبراهيم بن صالح: غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بحاز وسليمان بومعقل، العالمية، غارداية 2013.
5. الأغواطي ابن الدين: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
6. بن ابراهيم محمد عيسى: مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب، مطبعة النهضة، تونس 1951.
7. الحشائشي محمد بن عثمان: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، تح: علي مصطفى المصراطي، دار لبنان، بيروت 1965.
8. الشقراني احمد بن عبد الرحمن: القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
9. المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت 2006.
10. المازري بن عودة: طلوع سعد السعود، تح: يحيى بوعزيز، جزآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1990.

11. المشرفي محمد: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، تح: إدريس بوهليلة، جزآن، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2005.
12. الوزان الحسن: وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983.

### ج- المراجع:

1. الباكستاني إحسان إلهي ظهير: دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، القاهرة 2005.
2. أعوش بكير بن سعيد: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، غارداية 1991.
3. بن سليمان فاطمة: الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881، منشورات Edisciences، تونس، 2009.
4. بوعزيز يحي: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
5. بوفيل أ. و. وهاليت روبين: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1988.
6. تشايحي عبد الرحمان: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، تر: علي اعزازي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1982.
7. التميمي عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية للنشر، تونس 1972.
8. الحاج سعيد يوسف بن بكير: تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غارداية، 1992.
9. حوتية محمد الصالح: توات والأزواد، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007.
10. دان روس إ.: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر: أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2006.
11. داود عمر: الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا مقارنة سوسيو- تاريخية، دار نزهة الألباب، الجزائر 2016.

12. زكرياء مفدي: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تح: ابراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر 2009.
13. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة 1881-1908، جزآن، موفم للنشر، الجزائر، 2010.
14. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، 4 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
15. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، 10 مجلدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م.
16. سعيدوني ناصر الدين: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.
17. سعيدي مزيان: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري وأسليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892، دار سيدي خالد للكتاب، الجزائر، 2009.
18. سليمان محمد الطيب: موسوعة القبائل العربية، 4 أجزاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.
19. شرفي عاشور: معلمة الجزائر، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر 2009.
20. العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
21. العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت 2002.
22. عميرايو حميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
23. فيرو شارل: الحوليات الليبية، تر: محمد عبد القادر الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1994.
24. قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994.
25. مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
26. مياسي ابراهيم: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، 1996 Rouiba(Algérie), Imprimerie ANEP.

## د- المقالات والدوريات:

1. بوسليم صالح وميسوم ميلود: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى دراسة تاريخية، في الواحات، جامعة غارداية، ع 15، نوفمبر 2011.
2. بوعزيز يحي: أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881، في الثقافة، تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر، ع51، ماي-جوان 1979.
3. بوعزيز يحي: الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي/في/ الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع25، ماي-جوان 1975.
4. بوعزيز يحي: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبه/في/ مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
5. جعني زينب: الشعر الشعبي الشفهي في مدينة متليلي ولاية غرداية، الشاعر قدور بلخضر نموذجاً/في/ملتقى الشاعر "بلخضر قدور بيتور" تحت عنوان "التجربة الشعرية عند الشاعر بلخضر قدور بيتور: الموضوعات و أدوات التشكيل الفني"، 2015/12/12، مخبر التراث بجامعة غرداية.
6. حاكمي مصطفى: ترجمة سيدي سليمان بن أبي سماحة، في موقع الطريقة الشيخية الشاذلية، <http://www.cheikhiyya.com/Sidi-Sliman.php>، 2018/05/13، 9:30.
7. زكي مبارك: المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة، في الثقافة، ع83، سبتمبر أكتوبر 1984.
8. سعيدوني ناصر الدين: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، في الأصالة، ع 41، جانفي 1977م.
9. عواريب لخضر: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية منها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانها، في مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع17، ديسمبر 2014.
10. لكحل الشيخ: احتلال مدينة متليلي الشعانبة الاسباب الوقائع والنتائج، في الواحات، جامعة غارداية، ع 21، ديسمبر 2014.
11. المبشر، ع149، 15 أكتوبر 1853.
12. المبشر، ع153، 15 جانفي 1854.
13. المبشر، ع155، 15 فيفري 1854.

## هـ- الرسائل الجامعية:

1. هيبة سيف الدين: الطريقة الشيخية في متللي دراسة سوسيو أنثروبولوجية لزاوية سيدي أحمد بن بوحفص، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006.
2. شلي شهرزاد: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008.

## و- المعاجم والموسوعات:

1. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، 23 جزءا، مطابع سلا، المغرب، 1989.
2. الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، 20 جزءا، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، 2004.
3. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
4. كحالة عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.
5. الكيلاني عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، 7 أجزاء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.
6. مرتاض عبد المالك: المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
7. الموسوعة العربية العالمية: 22 جزءا، دار الفكر، دمشق، 2010.
8. نصار حسين محمد وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.

## ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

### أ- الوثائق:

1. Anonyme: Organisation Administratif et Populaire, Rapport à Mr le Général du Subdivision de Médéa, FR ANOM GGA 50 II/261.
2. Ben Driss Mohamed: La prise de Bouchoucha, Rapport à Mr Le Chef d'Escadron d'Etat Majeur Rois commandant de Tuggurth, Ouargla 11/04/1874, ANOM 2H84Gmm.

3. Ben Messaoud Sliman: Dépêche Télégraphique, Metlili : 28/08/1877, A. O.
4. Le General De Loverdo: Dépêche Télégraphique à Mr le General de Division d'Alger, N 155, Médéa: 26/04/1877, A. O.
5. Le General De Loverdo: Dépêche Télégraphique, N 316, Médéa: 08/09/1877, A. O.
6. Le Colonel Belin: Dépêche Télégraphique, N 379, Laghouat: 23/06/1879, A. O.
7. Le Colonel Belin: Dépêche Télégraphique, N 962, Laghouat: 19/06/1879, A. O.
8. Emé A.: Monographie sur Metlili, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 01920007.
9. Jules Cambon: On signale le meurtre du chef d'une caravane des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 303, Alger 04/02/1892, ANOM F80 1695.
10. Kleinknecht Charles t: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili, Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et Gouverneur General de l'Algérie, N 383, Ghardaïa, 03/10/ 1956, ANOM OA 59.
11. Le Colonel Belin: Au Sujet de Trois indigènes des chaamba à interner, N 42, 26/02/1880, Correspondance de la colonne de Metlili-Ouargla 1880, FR ANOM GGA 53 II/17.
12. Le Colonel Belin: Marche du Ghazzou des Ouled Sidi Cheikh, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 227, 09/08/1879, A. O.
13. Le Colonel Belin: Nouvelle en Circulation dans le Sud, Correspondance à Mr le Général du Subdivision de Médéa, N 396, 13/12/1878, A. O.
14. Le Colonel Mirchez: Situation Politique, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, Alger 03/02/1872, ANOM F80 1682.
15. Le General Chanzy: Au sujet de Missionnaires assassinés au Sahara, Rapport à Mr Le Ministre de guerre, N 1016, Alger 13/06/1876, ANOM F80 1683.
16. Le General Chanzy: Au sujet des Missionnaires envoyés dans le grand désert par M<sup>gr</sup> l'Archevêque d'Alger, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 83, Alger 16/06/1876, ANOM F80 1683.

17. Le General Dastugue: Notice sur Bouchoucha, Rapport à Mr Le General de division de Constantine, N 1125, Batna 24/09/1873, ANOM 2H84Gmm.
18. Le General De Loverdo: Renseignements sur le cherif Bouchoucha, Rapport à Mr Le Gouverneur General d'Alger, N 1734, Médéa 30/11/1873, ANOM 2H84Gmm.
19. Le General De Loverdo: Un sujet de Chaamba de Metlili, Rapport à Mr Le Gouverneur General d'Alger, N 1298, Médéa 06/11/1873, ANOM 2H84Gmm.
20. Le maréchal de Mac-Mahon: Amendes et Indemnités Insurrection de 1864, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 16/02/1865, FR ANOM F80/1679.
21. Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport au ministre de la Guerre sur l'insurrection de 1864, N 43, Alger, 20/02/1865, FR ANOM F80/1679.
22. Le maréchal de Mac-Mahon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 18/03/1864, FR ANOM F80/1695.
23. Le maréchal de Mac-Mahon: Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 20/02/1865, FR ANOM F80/1679.
24. Le maréchal de Mac-Mahon: Rapport politique sur l'insurrection en Algérie en 1864, FR ANOM F80/1679.
25. Le maréchal Randon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchal Ministre de Guerre, 18/03/1864, FR ANOM F80/1695.
26. Le Maréchal Randon: Rapport sur L'insurrection en Algérie en 1864, ANOM F80 1679
27. Mr le Général du Subdivision de Médéa: Rapport sur l'Anexation du M'zab et sur l'Organisation politique et administrative du Cercle de Ghardaia, Rapport à Mr le Gouverneur General d'Alger, Medea : 26/01/1883, ANOM GGA 50 II/261.
28. Pillet Denys: Le Poste de Ghardaïa depuis ses origines à nos jours (1884-1950), Archives des Pères Blancs, Maison Généralice, Rome.

29. Tirman Louis: Voyage du Gouverneur à Goléa, Rapport à Mr Le Ministre de l'intérieur, N 1684, Alger 09/12/1890, ANOM F80 1695.
30. Vellard P.: Le Sahara Mission et Histoire, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144.

ب- المصادر:

1. Abou Zakaria: Chronique d'Abou Zakaria, Trad: Emile Masqueray, Imprimerie de L'association Ouvrière V. Aillaud et Cie, Alger 1878.
2. Amat Charles: Le M'zab et les M'zabites, Challamel et C<sup>ie</sup> Éditeur, Paris, 1888, p36.
3. Barth Heinrich: Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855, Trad: Paul Ithier, 4 Tomes, Firmin Didot Frères Fils et C<sup>ie</sup>, Paris, 1863.
4. Baunard Mgr: Le Cardinal Lavigerie, 2 Tomes, Librairie Ch. Poussielgue, Paris 1896.
5. Baunard Mgr: Le général de Sonis d'après ses papiers et sa correspondance, Librairie Charles Poussielgue, Paris 1891.
6. Blidi Brahim Ben Youb: De l'Indigénat son application aux Mozabites, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Philippeville 1903.
7. Charmetant Félix: Les Peuplades kabyles et les tribus nomades du Sahara, Des Presses à Vapeur de " La Minerve", Montréal 1875.
8. Chatalier M.: Question Saharienne, Mission dans le sud Algérien, Juin- Aout 1890, Alger.
9. Claude-Antoine Rozet et Autres: Algérie Etats tripolitains Tunis, Firmin Didot Frères Editeurs, Paris, 1850.
10. Coÿne A.: Une Ghazzia dans le Grand Sahara, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1881, p 10.
11. Daumas Eugène: Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (royaume de Haoussa), Imprimerie et Librairie centrales de Napoleon Chaix et Cie, Paris 1848.
12. Daumas Eugène: Le Sahara Algérien, Dubos Frères, Alger, 1845.

13. Daumas Eugène: Mœurs et coutumes de l'Algérie, Librairie de L. Hachette Et C<sup>ie</sup>, Paris 1853.
14. De La Martinière H.-M.-P. et Lacroix N.: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897.
15. Du Barail François-Charles: Mes souvenirs, 2 Tomes, E. Plon, Nourrit et C<sup>ie</sup> Imprimeurs-Éditeurs, Paris 1898.
16. Ezziani Aboulqasim ben Amed: Le Maroc de 1631 à 1812, extrait de l'ouvrage intitulé Ettordjemân el-moarib an douel elmachriq ou 'Imaghrib, Trad: O. Haudas, Imprimerie Nationale, Paris 1886.
17. Graulle E.: Insurrection de Bou-Amama (avril 1881), Henri Charles Lavauselle Editeur Militaire, Paris 1905.
18. Hallencourt Charles d': La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis, C. Paillart Imprimeur-Editeur, Abbeville 1893.
19. Innocenti Le Général: Insurrection du Sud-Oranais en 1881. Bou-Amama et le colonel Innocenti, Tequi Libraire Editeur, Paris 1893.
20. Jacquot Félix: Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en avril et mai 1847, Gide Et J. Baudry, Libraire-Editeur, Paris, 1849.
21. Le Chatelier A.: L'Islam dans l'Afrique occidentale, G. Steinheil Editeur, Paris, 1899, p292.
22. Mac Carthy Oscar: Géographie Physique Économique et Politique de l'Algérie, Dubos Frère Imprimeur – Editeur, Alger 1858.
23. Motylinski Calassanti-: Guerara depuis sa fondation, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur Alger 1885.
24. Rastoul A.: Le Maréchal Randon (1795-1871) D'après Ses Mémoires et Des Documents Inédits, Librairie De Firmin-Didot Et C<sup>ie</sup>, Paris 1890.
25. Rinn Louis: Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger, 1884.
26. Solleillet Paul: Avenir de la France en Afrique, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1876.
27. Solleillet Paul: l'Afrique occidentale Algérie M'zab Tidikelt, Imprimerie de F. Seguin Aîné, Avignon, 1877.

28. Solleillet Paul: Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'In-Salah, Typographie et Lithographie. A Jourdan, Alger, 1875.
29. Trumelet Corneille: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879.
30. Trumelet Corneille: Les français dans le désert, Challamel Aîné Éditeur, Paris, 1885.
31. Variot Joseph: Les pères blancs ou Missionnaires d'Alger vingt ans d'apostolat, Société Saint Augustin, Lille 1887.
32. Victor Bérard: Indicateur général de l'Algérie, renfermant la description géographique, statistique et historique de chacune des localités des trois provinces, Bastide Libraire-Éditeur, Alger 1867.
33. Vuillot Paul: L'exploration du Sahara étude historique et géographique, Augustin Challamel Editeur, Paris 1895.

ج- المراجع:

1. Albert Bessières: Sonis 1825-1887, Beauchesne Editeur, Paris 1946.
2. Aumassip Ginette: Le Bas-Sahara dans la Préhistoire, Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris 1986.
3. Capot-Rey R.: Le Sahara français, Presses Universitaires de France, Paris 1953.
4. Cauneille A.: les chaambas leur Nomadisme, Edition du C. N. R. S, Paris 1968.
5. Clancy-Smith Julia A.: Rebel and Saint, University of California, 2002.
6. D'Armagnac: le Mzab et les pays Chaamba, Bracoonnier Editions, Alger, 1934.
7. De Card E. Rouard: Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord: Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, A. Pédone Editeur, Paris, 1906.
8. Decraene Philippe et Zuccarelli François : Grands sahariens, Denoël Editions, Paris 1994.
9. Diocèse de Laghouat: Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000.

10. Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie Première Partie. Ce qu'ils sont - Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger 1929.
11. Julien Charles-André: Histoire de l'Algérie Contemporaine, Casbah Editions, Alger, 2005.
12. P. Richard: Le Père Richard à Metlili (en 1875), In Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000.
13. Régnier Yves: Les Chaamba sous le régime français, Les Editions Domat-Montchrestien, Paris, 1933.
14. UNESCO: Nomades et Nomadisme au Sahara, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963.

#### د-المقالات والدوريات:

1. Alan C.: Voyage du Gouverneur, In, La Ligue Algérienne, 18/12/1890.
2. Anonyme: Affaire Coloniale Algérie, In, Le Temps, 25/02/1892.
3. Anonyme: En route vers le lac Tchad, In, Le Petit Fanal, 21/11/1890.
4. Anonyme: L'affaire du fort-Mac-Mahon, In, La Dépêche Algérienne, 20/09/1894.
5. Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 07/03/1892.
6. Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 08/03/1892.
7. Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 10/03/1892.
8. Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 24/03/1892.
9. Anonyme: Voyage de M. Cambon, In, Le Temps, 29/02/1892.
10. Anonyme: Voyage du Gouverneur, In, Le Mobacher, 27/02/1892.
11. Bruche Jean: les Oasis du Souf et du M'zab comme type d'établissements Humains, In, La Géographie, Bulletin de la société de Géographie, V: 5, Mars 1902.
12. Comité du Maroc: Dans l'Ouest et le Sud Oranais, In, Bulletin du Comité de l'Afrique française, N 11, Novembre 1904.
13. Coÿne A.: Le Mzab/In/ R.A., V23, 1879.
14. Dechaud Ed.: Dans L'extrême-Sud, In, Akhbar, 19/09/1894.

15. Deverier Henry : Coup d'œil sur les pays des Beni-M'zab et sur celui des Chaamba Occidentaux/In/ Revue Algérienne et coloniale, Librairie de L. Hachette et C<sup>ie</sup>, Paris, T2, Janvier- juin 1860, p138.
16. Deverier Henry : Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili/In/ Bulletin de la Société de géographie, Librairie de Ch. Delagrave, Paris, S6, T2, Juillet- Décembre 1876.
17. Diocèse de Laghouat: La mort des PP Paulmier, Menoret et Bouchand (janvier 1876), In Aperçu sur L'histoire de la Mission du Sahara, Ghardaïa 2000.
18. Dr Reboud: Notes archéologiques sur les ruines de Djelfa, In, R.A, V 1, 1856.
19. Esqueur G.: Un Rival d'Abd el Kadeur/In/ R.A., V68, 1927.
20. Féraud C.: Les Ben-Djellab Sultans de Tougourt /In/ R.A., V25, 1881.
21. Féraud Ch.: Les Ben- Djellab Sultans de Tougourt, In, R.A, V31, 1887.
22. Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, In, R.A, V64, 1923.
23. Guignard Didier: Conservatoire ou révolutionnaire ? Le sénatus-consulte de 1863 appliqué au régime foncier d'Algérie, In Revue d'Histoire du XIXe siècle, N41, 2010.
24. Holsinger Donald C.: Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century, In, R.O.M.M, N°30, 1980.
25. Huguet J.: Les conditions générales de la vie au Mzab. La médecine et les pratiques médicales indigènes/In/ B.M.S.A.P, V° Série, T 4, 1903.
26. Keddache Mahfoud: L'insurrection de 1871, In Ellassala, N 2, Mai 1971.
27. Lagadee Eng.: L'affaire du Touat, In, Akhbar, 30/09/1894.
28. Le Chatelier: Les Medaganate/In/ R.A., V30, 1886.
29. Le Commandant Cauvet: Les Marabouts petits monuments funéraires et votifs du Nord de l'Afrique, In, R.A, V64, 1923.
30. Léon Guy: Dans le sud, In, La Dépêche Algérienne, 21/10/1893.
31. Louis Rinn: Nos Frontières Sahariennes/In/ R.A., V30, 1886.
32. Mangin E.: Note sur l'Histoire de Laghouat/In/ R. A., V 39, 1895.
33. Martin Alfred G.: L'action Française dans Le Sahara, In, R. A., V37, 1893.

34. Ministère des Affaires Etrangères: Documents Diplomatiques Affaires du Maroc 1901-1905, Imprimerie Nationale, Paris 1905.
35. Moniteur de L'Algérie: 11<sup>e</sup> année, N°217, 12/09/1871.
36. Passager P.: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale/In/ Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, T: XXXVI. N:4. décembre 1958.
37. Pothier Edgard: Les Tumulus de la daia de Tilghemt, In, Revue d'Ethnographie, Ernest Leroux, Paris 1886.
38. Regelsperger Gustave: Revue géographique Sud-Algérien et Sahara/In/ Revue encyclopédique, Larousse, Paris, 1890-1900.
39. Rinn Louis: Deux Documents Indigènes sur l'Insurrection de 1871/In/ R.A., V35, 1891.
40. Simon H.: Comment Bouchoucha raconta un jour son histoire, In B.L.S, N19, Janvier 1955, Alger.
41. Voignier J. -M.: Les Gravures Rupestres de Metlili des Chaamba, In, Libyca, T: XII, 1964.

#### هـ - المعاجم والموسوعات:

1. Anonyme: Dictionnaire des communes de l'Algérie, Pierre Fontana Imprimeur-Éditeur, Alger 1903.
2. Faucon Narcisse: Le Livre d'Or de l'Algérie, Challamel et C<sup>ie</sup> Éditeurs, Paris 1889.
3. Joanne Adolphe: Géographie de l'Algérie, Librairie Hachette et Cie, Paris 1899.
4. Lamirault Henri et C<sup>ie</sup>: La Grande Encyclopédie inventaire raisonné des sciences des lettres et des arts, 31 Tomes, H. Lamirault et C<sup>ie</sup>. Editeurs, Paris, 1885-1902.

#### ثالثاً: مواقع الانترنت

- 1- موقع الطريقة الشيخية الشاذلية: [www.cheikhiyya.com](http://www.cheikhiyya.com)
- 2- موقع المكتبة الوطنية الفرنسية (Gallica): [www.gallica.bnf.fr](http://www.gallica.bnf.fr)
- 3- موقع بيرسي (Persée) به العديد من المجلات والدوريات: [www.persee.fr](http://www.persee.fr)
- 4- موقع ديلكامب (Delcampe): [www.delcampe.net](http://www.delcampe.net)
- 5- موقع قووقل إيرث (Google Earth): [www.earth.google.com](http://www.earth.google.com)

الفهارس

## فهرس الأعلام

- إدریس الأكبر: 20
- إبراهیم بن بوهون: 43، 105، 106
- إدریس بن عبد الله: 21
- إبراهیم بن عبد القادر الجیلانی: 66
- أرنودو العقید: 119
- ابن جلاب: 81
- اسماعیل بوضریة: 60
- ابن خلدون: 40، 64
- اطفیش القطب: 41، 125
- ابن سی النعمی: 132
- أعزام: 138، 146، 147
- ابن ناصر بن شهرة: 41، 85، 110
- أعوشة: 42، 272
- 114، 147، 148
- ألبرت قریفی: 149
- أبو القاسم الزبانی: 23
- أمات: 42، 51، 113، 114، 153
- أبو القاسم سعد الله: 66، 70
- 186
- أبو ممدین الغوث: 66
- أمدین أفندی خوجة: 81
- أبو العباس الرفاعی: 66
- أنوسونتی العقید: 180، 181
- أحمد الشارف بن تكوك: 68
- أولیفی: 160
- أحمد باي: 1، 59
- ب-
- أحمد بن أحمد الشعانی: 11، 26، 34
- أحمد بن حمزة: 81
- البابا بیبی التاسع: 161
- أحمد بن عبد الرحمن الشقرانی: 182
- بالحاج سیدی السعدی: 78
- أحمد بن علی: 46
- بارث هاینریش: 60، 92، 164
- أحمد بن محمد بلحاج: 169، 170، 171
- بارثیلیمی النقیب: 200
- باساجیه: 4، 30، 62، 70، 79، 184
- أحمد عزت باشا: 81
- باسکال الأب: 162
- بافو محمد بن یوسف: 165
- بروسلان: 61
- بلیدی: 9، 10، 90، 91، 125، 166

- بو حمارة: 183، 213.  
بوبريتز: 112، 113، 119، 123.  
بوبكر بن قاسي: 105، 106.  
بوجو بيار: 162، 166، 168، 169، 170.  
بوديسية: 114.  
بوشوشة: أغلب صفحات المبحث الأول والثاني من الفصل الرابع.  
بوعمامة الشيخ: أغلب صفحات الفصل الخامس.  
بوفيل: 20.  
بول أزان: 215.  
بول صولبيه: 11، 49، 53، 54، 166، 165، 164، 151، 167، 172.  
بولميه ألفريد الأب: 162، 163، 166، 167، 168، 169، 170.  
بولينياك: 60.  
بومزراق: 60، 146، 148، 175.  
بونارد: 117، 170.  
بيسوال الرائد: 186، 200.  
بيلان العقيد: 130، 131، 138، 132، 187، 188.  
بيليسييه: 163.  
بين النقيب: 86.
- ج-
- الجديد بن النعيمي: 136، 137.  
جعفر القايد: 137.  
جلول بن حمزة: 111، 146.  
الجنرال يوسف: 78.  
جول فيري: 61.  
جونار: 209، 212، 213، 214، 215.  
جيني أنطوانيت: 118.
- ح-
- الحاج بوبكر: 170، 171.  
الحاج قدور صحراوي: 180.  
الحاج موسى بن أحمد: 70.  
الحسن الاول: 182.  
حمو بن مسعود: 154.
- خ-
- الخوجة سي الفضيل: 104، 109.
- د-
- داستيق الجنرال: 138، 139.  
دانسي كولينيون: 180.
- ت-
- تامر (تامر) بن ثلال: 21، 72.

- دحمان بن الشيخ: 38.  
رويين الرائد: 189.  
دو سونيس: 33، 116، 117، 118،  
روجيلسبيرجير: 201.  
119، 120، 121، 122، 123، 124،  
روس: 207.  
125، 127، 128، 134، 219.  
روشي: 156، 160.  
دو غاليفيه: 150.  
ريبو: 191.  
دوباريل الرائد: 89، 90، 91، 95، 96،  
ريتشارد الأب: 162، 167، 170، 171، 105.  
رينيه: 23، 31، 48، 62.  
دوران النقيب: 132، 145، 151.  
دوريو النقيب: 12، 89، 91، 92، 96.  
دوفرييه: 10، 11، 22، 27، 34، 50،  
51، 60، 164.  
دولا كروا: 138.  
دولاتور الجنرال: 132، 189.  
دوليسبس فردينوند: 61.  
دونقرييه الجنرال: 182، 187.  
دي لامارتينيار: 39، 63، 195.  
دي موريس: 201.  
ديتريه الجنرال: 133، 181.  
ديشو: 200.  
ديغيري: 173.  
ديلاماي: 173.  
ديلكاسي: 212، 214، 215.  
ديلينبي: 111، 141، 212.  
دينيري الأب: 169.
- س-
- سالم بن شرير: 154.  
سليم بن منصور: 20.  
سوسيه الجنرال: 182، 183.  
سي احمد بن حمزة: 114، 137.  
سي الحاج الطاهر: 72.  
سي الحاج محمد: 52.  
سي الدين: 38، 97، 133، 163، 209.  
سي الزبير: 91، 104، 113، 114،  
124، 129، 133، 142، 143، 144،  
145، 146، 148، 174، 220.  
سي الشريف بن لحرش: 84، 86.  
سي المعراج: 112.  
سي بحوص بوغفالة: 102.  
سي بوبكر ولد حمزة: 82.  
سي حمزة بن بوكر: 82، 86، 87، 88،  
89، 90، 91، 92، 93، 96، 97، 98،  
99، 103، 104، 108، 142، 163،  
192، 193، 194، 219.  
سي علي بن يونس: 136.
- ر-
- راندون الجنرال: 81، 89، 95، 103.

- سي لعلا: 99، 104، 106، 107،  
110، 111، 112، 113، 114، 119،  
120، 124، 125، 128، 129، 130،  
132، 162، 163، 209.  
سي محمد بن حمزة: 109.  
سي موسى بوحمار الدرقاوي: 60، 76،  
78، 95، 98، 219.

-ص-

- سيد المهناي: 191.  
سيدي التاج: 36، 176، 216.  
سيدي بولنوار: 28، 102.  
سيدي علي بن محمد: 143.  
سيدي موسى: 70.  
سيروكا العقيد: 114، 240، 241.  
سيمون النقيب: 140.

-ط-ظ-

- طريف: 21.  
الطيب بن بوعمامة: 212.  
الظاهر بيبرس: 66.

-ع-

- عبد القادر أخ القايد أحمد بن أحمد: 165.  
عبد القادر الأمير: 37، 59، 61، 66،  
77، 98، 219.  
عبد القادر الجيلاني: 65، 66، 70، 71.  
عبد الله بن خالد المخادمي: 83.  
عبد الله بن وهب: 41.  
عبد الوهاب التازي: 67.  
عدون بن باسعيد: 10، 125، 132،  
143، 144، 145، 151، 165، 166.  
علي بن حروز: 132، 190.  
عمر بن العيد بلعور: 21.  
عيسى البركاني: 78.

-ش-

- شارل الخامس: 63.  
شارموتان الأب: 112، 161، 162،  
163.  
شانزي الجنرال: 168.  
الشريف محمد بن عبد الله: 58، 68، 80،  
81، 83، 84، 86، 87، 91، 92، 93،  
95، 98، 103، 142، 219.  
شريف نفطة محمد بن عبد الله: 147.  
شريف وزان: 76.  
شقوان: 47.  
الشيخ الساييس بن بوبكر: 70.  
الشيخ السنوسي: 66، 177.

-ف-

- فاتون: 60.  
فاطمة بنت جلول: 143  
فالكون: 112، 163.  
فرانسوا رودير: 61.  
فرانسوا كسافييه: 173.  
فرنوند فورو: 201.  
فلترز: 69.  
الغنيش عبد القادر: 208.  
فيرو: 83، 89، 90، 91، 125.  
فيرو الأب: 175.  
فيلاز الأب: 20، 152، 154، 166،  
167، 171، 186، 188، 190.  
فيليكس: 50.

-ل-

- لابيرين: 47  
لافيجري الكاردينال: 157، 158، 159،  
160، 161، 162، 163، 164، 168،  
171، 172.  
لالة الزهرة: 81، 83.  
لامى النقيب: 174.  
لخضر بن محمد: 137، 140، 149،  
150.  
لروي: 163، 164.  
لورو النقيب: 121، 123.  
لوشاتولييه: 24، 152، 154.  
لوهيني: 170.  
لويس رين: 66، 67، 68، 100، 101،  
137، 138، 139، 142، 144، 148،  
152.

-ق-

- قدور بن حمزة: 38، 129، 132، 133،  
191، 192، 193، 194، 197، 202،  
209.  
قدور بن عدة: 180.  
قرول الرائد: 178.  
قوج: 146.  
قودرون الرائد: 202.  
قولو النقيب: 202.  
قوم العقيد: 148.  
قويدر بن سانية: 170.

-ك-

- لويس فيليب: 80.  
ليون الأفريقي: 51.
- معمر بن ايعيش: 123.  
المقراني: 147، 148، 175.  
مكماهون: 103، 114، 158، 159،  
198.  
مهدي السودان: 66.  
مولاي الطيب: 70، 72.  
مولاي سليمان: 70، 72.  
المولى اسماعيل: 23.  
المولى عبد الله: 23.  
ميرشير: 60.  
ميرشيز العقيد: 149، 150.  
مينوري فيليب: 168، 169، 173.
- م-
- ماج: 61.  
مارتينو الجنرال: 113.  
مارجوريت العقيد: 114.  
ماشرال الأب: 173.  
ماك كارثي: 51.  
محمد الرسيوي: 122، 140.  
محمد الطيب بن ابراهيم: 67.  
محمد المهدي: 67.  
محمد بشريرات: 72.  
محمد بن أحمد بن لروي: 164.  
محمد بن حمزة: 78، 109.  
محمد بن عبد الرحمن السهيلي: 100.  
محمد بن علي السنوسي: 67، 80.  
محمد بن فرجالله: 123، 140، 190.  
محمد بن محمد: 123.  
محمد بن مسعود: 165، 206، 165.  
محمد بن موسى: 174.  
محمد بن ميلود: 140.  
محي الدين الأمير: 138، 149.  
مصطفى بن مختار الغريسي: 66.  
المعراج بن نعيم: 133.  
معمر بن أحمد: 165.
- ن-
- ناصر: 112.  
نيكو الرائد: 89، 90، 91، 95، 96.
- ه-
- هوفمان: 60.
- و-
- وينبرونر الملازم: 180.
- ي-
- يحي بن سعيد: 143، 144.  
يحي بن كرواية: 105، 106.  
يوسف بن الحاج سعيد: 4.

## فهرس الأماكن

- أ -
- بوخنيفيس: 137.
- بوسعادة: 51، 60، 86.
- بونورة: 40.
- ب -
- آبار عسّاوة: 52
- آحباس العرش: 127.
- اسطانبول: 78.
- الاسكندرية: 53
- أم الدلي: 88.
- أهقار: 45.
- آولف: 165.
- ت -
- تاجرونة: 186.
- التاسيلي: 45.
- تافلات: 26، 44، 51، 53.
- تبسة: 61.
- تديكليت: 44.
- تركيا: 65.
- تلمسان: 66، 67، 80، 213، 214، 215.
- تماسين: 84.
- تمبوكتو: 26، 51، 92، 168.
- تنس: 26، 56، 65، 67، 100، 118.
- توات: 21، 25، 43، 44، 50، 51، 54، 69، 74، 95، 111، 129، 137، 164، 139، 167، 168، 178، 183، 186، 192، 196، 197، 200، 208، 209.
- توقرت: 50، 51، 55، 83، 162.
- تونس: 23، 29، 51، 53، 55، 60، 69، 74، 82، 92، 148، 149، 160، 164، 180.
- تيلغمت: 18، 30، 153.
- ج -
- باب الواد: 43.
- البايور: 147.
- باتنة: 114، 119.
- باريس: 31، 62، 114، 119، 158، 172، 172، 182، 192، 193، 195، 196، 201.
- برقة: 67.
- بريان: 40، 85، 87، 105، 189.
- بريزينة: 88، 133، 143، 187.
- البطحاء: 143.
- بلاد القبائل: 51، 78، 118.
- بنغازي: 52، 67.
- بني عباس: 22، 214، 218.
- بني يزقن: 40، 42، 165، 90.

- تيممون: 50، 165، 216.
- الحجيرة: 55، 114، 119.
- الحسِّي: 110، 11.
- الحمام الفوقاني: 176، 204.
- ث-
- الثنية: 112.
- ج-
- جبل أبي قبيس: 67.
- الجبل الأخضر: 67.
- جبل بوكحيل: 86.
- جبل عمور: 81، 114، 155، 194.
- الجزائر(مدينة): 43، 50، 53، 58، 68، 143، 151، 163، 164، 165، 168، 171، 175، 197.
- جزر الأنتيل: 116.
- جغوب: 67.
- الجلفة: 42، 136، 189.
- جوادلوب: 116.
- ح-
- حاسي الحاج عيسى: 174.
- حاسي الفحل: 18، 28.
- حاسي اينيفل: 171، 198.
- حاسي بركاوي: 46، 124، 149، 150.
- حاسي بن مخلوفة: 149.
- حاسي تامزغيدة: 148.
- حاسي عين الناقة: 87.
- حاسي لحم: 141.
- حضور: 127.
- ر-
- الرويسات: 67، 70، 73، 75، 92، 148.
- ز-
- زياشة: 154.
- زرقون (وادي): 18، 19، 26، 28، 76، 86، 88، 112، 188.
- الزعاطشة واحة: 79.
- زلفانة: 18، 130.
- زندار: 52.
- زيارة: 18، 150، 170.
- س-
- الساورة: 25، 95.
- سببب: 18، 50، 120، 121، 123، 130، 137، 139، 140.
- سد مارب: 45.
- سعيدة: 95، 118، 180.
- السوارق: 28، 143.
- السودان: 27، 51، 65، 66، 68، 71، 135، 157، 161، 163، 167، 168، 191.
- سورية: 78، 158.
- سوق الأربعاء: 118.

عين صالح: 25، 43، 46، 52، 53، 60،  
69، 74، 137، 138، 139، 141،  
142، 148، 151، 1521، 153،  
154، 164، 165، 166، 167، 168،  
169، 171، 192، 198.  
عين ماضي: 77، 87، 148.

-غ-

غات: 25، 44، 95.  
غارداية: 18، 40، 42، 50، 55، 67،  
87، 97، 98، 102، 113، 143،  
161، 165، 173، 174، 189، 194،  
200، 202.  
الغاسول: 80، 112.  
غدامس: 25، 83، 95، 173، 186.  
الغيشة: 136.

-ف-

فاس: 67، 197، 205، 212.  
فرنسا: 23، 39، 40، 55، 59، 63،  
82، 84، 88، 89، 90، 94، 95،  
103، 104، 108، 117، 118، 120،  
128، 136، 141، 142، 143، 147،  
157، 159، 180، 192، 193، 195،  
196، 209، 210، 213، 215.  
فزان: 22، 52، 152.  
فقارة الزوى: 54، 154.  
فيقيق: 176، 182، 183، 190، 196،  
197، 204، 207، 209، 210، 211،  
213.

-ق-

السويس: 53، 61.

سيدي الحاج الدين: 19، 109.

سيدي بلعباس: 137.

سيدي مناع: 48.

سيدي يعقوب: 80.

السينغال: 69.

-ش-

الشبكة: 40، 48، 120.  
شعبة الحميد: 150.  
شعبة سيدي الشيخ: 28، 38، 102،  
121، 187.

-ص-ض-

الصومال: 65.

ضاية بوفكرون: 170.

-ط-

طرابلس: 23، 48، 52، 60، 81، 83،  
173.

-ع-

العراق: 65.

العرق الغربي الكبير: 22، 217.

العطف: 40، 113، 128، 154.

عناية: 53، 82.

عوينة بوبكر: 112.

عين الرق: 81.

- قارة الحاج: 82  
قارة الموهاند: 171.  
القاهرة: 52، 272، 273.  
القرارة: 40، 43، 89، 104، 105،  
106، 130.  
قصر متليلي: 27، 29، 33، 34، 42،  
43، 49، 546، 73، 85، 121، 122،  
123، 126، 127، 140، 149، 167،  
174.  
القعدة: 48.  
قورارة: 22، 44، 50، 53، 54، 77،  
183، 186، 192، 196، 197، 209،  
214.  
قوفاة: 30، 88.  
-ك-  
كاسرتس: 117.  
كاف القصر: 122، 123.  
كورسيكا: 82، 106.  
-ن-  
نقوسة: 50، 86، 91، 92، 111، 138،  
139.  
النومرات: 110، 111، 131، 143،  
154.  
النيجر: 45.  
-ه-  
الهاوسا: 52، 53.  
الحقار: 45، 60، 61، 152، 153، 171.  
الهند: 65.  
قارة الحاج: 82  
قارة الموهاند: 171.  
القاهرة: 52، 272، 273.  
القرارة: 40، 43، 89، 104، 105،  
106، 130.  
قصر متليلي: 27، 29، 33، 34، 42،  
43، 49، 546، 73، 85، 121، 122،  
123، 126، 127، 140، 149، 167،  
174.  
القعدة: 48.  
قورارة: 22، 44، 50، 53، 54، 77،  
183، 186، 192، 196، 197، 209،  
214.  
قوفاة: 30، 88.  
-ك-  
كاسرتس: 117.  
كاف القصر: 122، 123.  
كورسيكا: 82، 106.  
-ن-  
نقوسة: 50، 86، 91، 92، 111، 138،  
139.  
النومرات: 110، 111، 131، 143،  
154.  
النيجر: 45.  
-ه-  
الهاوسا: 52، 53.  
الحقار: 45، 60، 61، 152، 153، 171.  
الهند: 65.

-و-

وادي درعة: 152.  
وادي زوزفانة: 183، 202، 204، 205،  
207.  
وادي لفحل: 149.  
وادي متليلي: 21، 22، 40، 121، 140.  
وادي محيقن: 19، 28، 76.  
وادي مَصك: 120، 123.  
وهران: 23، 36، 63، 82، 86، 106،  
108، 129، 154، 180، 193، 201،  
207.

-ي-

اليمن: 65.

واد إتل: 84.  
واد الطويل: 487.  
واد النسا: 48.  
واد أوريقنو: 48.  
واد بلعبّاس: 71.  
واد سبب: 48.  
واد سوف: 22.  
واد قير: 132.  
واد مسين: 48.  
واد نشو: 48.  
وادي ثغير: 125، 149، 150.



شعانية بوعمامة: 196، 200، 202،  
205، 210، 211، 212، 214، 215،  
217.

الشيخية: 65، 69، 70، 71، 73، 74،  
76، 100، 101، 102، 178، 206،  
216.

-ص-

الصبايحية: 95، 120، 195.  
الصديقية: 100.

-ط-

الطيبة: 71، 76، 100.

-ع-

العطاطشة: 105.  
علاهم: 25.

-ق-

القادرية: 65، 66، 67، 71، 74، 75،  
76، 100.

قبائل أولاد مولى: 84.

قبائل باحمو: 46.

قبائل خمير: 82.

قبيلة المجاهر: 68.

قبيلة أولاد سعيد بن سالم: 85.

القصر(عرش): 33، 34، 35، 123.

-م-

الماسونية: 117.

بوروية (شعانية): 22، 75، 84، 91،  
114.

-ح-

الحرار: 84، 110، 192.

الحرزلية: 105، 114، 116.

جمير: 45.

-د-

الدرقاوية: 71، 76، 78.

-ر-

الرفاعية: 66.

-ز-

زناتة، القبائل الزناتية: 30، 40،

الزواف: 95، 120.

الزوى: 24، 38، 54، 110، 154،  
169.

-س-

سعيد عتبة: 63، 83، 84، 91، 11،

119، 120، 121، 123، 128، 130،

137، 147، 186.

السنوسية: 65، 67، 68، 69، 74، 80.

السوايح: 29، 105.

-ش-

الشاذلية: 78، 100.

الشرفة: 24، 29، 70، 72.

الشعانية: أغلب الصفحات

المخادمة: 81، 83، 84، 91، 92، 11	المذاييح: 119.
114، 125، 153.	المرابطين: 24، 29، 71، 75، 101،
المخاليف: 140.	216.
المداقنات: 132، 152، 153، 154،	المواضي (شعانية): 22، 84، 111، 128،
155، 168، 169، 171.	137، 141، 171، 193.

## فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

- 1-----مقدمة
- الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة متليلي الشعانية خلال القرن التاسع عشر ----- 17
- 
- 18 -----المبحث الأول: التعريف بمنطقة متليلي الشعانية
- 
- أولاً: الموقع الجغرافي ----- 18 -
- ثانياً: التركيبة السكانية ----- 20 -
- المبحث الثاني: التراتبية الاجتماعية ----- 26
- 
- أولاً: قصر متليلي ----- 26 -
- ثانياً: التاريخ الحضاري لمنطقة متليلي الشعانية: ----- 27 -
- ثالثاً: شعانة متليلي ----- 28 -
- رابعاً: إدارة القبيلة ----- 30 -
- خامساً: تعداد شعانة متليلي ----- 33 -
- سادساً: علاقة شعانة متليلي بالمجموعات السكانية المجاورة: ----- 34 -
- المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادي ----- 48
- 
- أولاً: الرعي والزراعة ----- 48 -
- ثانياً: التجارة ----- 50 -

الفصل الثاني: مساهمة منطقة متليلي الشعانية في مقاومة الشريف بن عبد الله واحتلال  
متليلي(1851-1862) ----- - 58 -

المبحث الأول: توغل الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري ومساهمة شعانية متليلي في  
المقاومات الشعبية قبل سنة 1851. ----- - 59 -

أولاً: اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية ----- - 59 -

ثانياً: أسباب ودوافع مقاومة شعانية متليلي للاستعمار الفرنسي: ----- - 62 -

ثالثاً: مساهمة شعانية متليلي في مقاومة الاستعمار الفرنسي قبل سنة 1851 ----- - 78 -

المبحث الثاني: مساهمة شعانية متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ----- - 81 -

أولاً: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ----- - 81 -

ثانياً: مساهمة شعانية متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ----- - 83 -

المبحث الثالث: احتلال مدينة متليلي الشعانية. ----- - 95 -

أولاً: أسباب الاحتلال ----- - 95 -

ثانياً: وقائع الاحتلال ----- - 96 -

الفصل الثالث: دور منطقة متليلي الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1880) --

----- 100

-المبحث الأول: متليلي منطلق لثورة أولاد سيدي الشيخ. ----- - 101 -

أولاً: الطريقة الشيخية بمتليلي ----- - 101 -

ثانياً: أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ: ----- - 104 -

ثالثاً: اندلاع الثورة وعلاقتها بشعانية متليلي ----- - 110 -

المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على مشاركة شعانية متليلي في الثورة --- - 117 -

أولاً: التعريف بالعقيد ديسونيس ----- - 117 -

ثانياً: حملة ديسونيس على متليلي "معركة متليلي" ----- - 120 -

- 130 - ----- المبحث الثالث: مصير ثورة أولاد سيدي الشيخ بعد حملة دوسونيس
- 130 - ----- أولا: المواجهات العسكرية
- 135 - ----- ثانيا: المفاوضات
- الفصل الرابع: دور منطقة متليلي الشعانية في ثورة بوشوشة وفي مقاومة النشاط التبشيري  
للآباء البيض (1870-1881) ----- 137 -
- 138 - ----- المبحث الأول: دخول بوشوشة إلى المنطقة وموقف شعانية متليلي منه.
- 138 - ----- أولا: ثورة الشريف بوشوشة
- 141 - ----- ثانيا: علاقة شعانية متليلي ببوشوشة
- المبحث الثاني: رد فعل الاستعمار الفرنسي على انضمام شعانية متليلي لثورة بوشوشة. -----  
148 -----
- 
- 148 - ----- أولا: جبهة ورقلة
- 151 - ----- ثانيا: جبهة متليلي
- 154 - ----- ثالثا: المداقنات
- 159 - ----- المبحث الثالث: مقاومة النشاط التبشيري في المنطقة.
- 160 - ----- أولا: مركز الآباء البيض بمتليلي
- 170 - ----- ثانيا: مذبح الآباء البيض وتوقف مهمة الآباء في المنطقة
- 174 - ----- ثالثا: النشاط التبشيري في المنطقة بعد المذبحة
- الفصل الخامس: دور منطقة متليلي الشعانية في ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908) -----  
177 -----
- 
- 178 - ----- المبحث الأول: ثورة الشيخ بوعمامة.
- 178 - ----- أولا: التعريف بالشيخ بوعمامة

- 179 - ثانيا: مراحل ثورة بوعمامة-----
- 186 - المبحث الثاني: مشاركة شعانية متليلي في ثورة بوعمامة-----
- 186 - أولا: مرحلة المواجهة المباشرة 1881-1883-----
- 187 - 1- مساندة شعانية متليلي للثورة:-----
- 189 - 2- رد فعل الاستعمار الفرنسي:-----
- 191 - ثانيا: مرحلة المواجهة الغير مباشرة: 1883-1908-----
- 206 - المبحث الثالث: نشاط الشعانية المرافقين لبوعمامة بعد دخوله المغرب.-----
- 206 - أولا: لجوء بوعمامة إلى المغرب-----
- 211 - ثانيا: مساعي إرجاع الشعانية من المغرب-----
- 212 - ثالثا: الأعمال الجهادية لشعانية بوعمامة-----
- 219 - رابعا: وضع شعانية بوعمامة بعد وفاته-----
- 221-----خاتمة
- 223-----الملاحق
- 267 - قائمة المصادر والمراجع-----
- 281 - فهرس الأعلام-----
- 287 - فهرس الأماكن-----
- 292 - فهرس القبائل والجماعات-----
- 295 - فهرس المحتويات-----

**République Algérienne démocratique et populaire**  
**Ministère de l'Enseignement supérieur et de la recherche**  
**scientifique**

**Université Djilali Liabess de Sidi Bel Abbes**

**Faculté des Sciences Humaines et Sociales**

**Département des Sciences Humaines**

**Filière de l'Histoire**

***Résistance de la région de Metlili  
Chaamba à la Colonisation  
Française durant la période entre  
1851-1908.***

**Thèse du Doctorat en Histoire Moderne et Contemporaine**

**Préparé par:**

**Mr: Chikh LAKEHAL**

**Encadré par:**

**Dr: Mohamed EZZINE**

**Année Universitaire: 1438-1439AH/2017-2018AD**

## Résumé

### - Définition de l'étude:

Dès la signature du traité de soumission, le 5 juillet 1830, les forces françaises d'invasion entrent à Alger, déclarant la fin de l'époque ottomane. Après une profonde controverse, le gouvernement français a décidé que la terre de l'Algérie est un territoire occupé et que cette occupation devrait être étendue à toutes les régions du pays algérien.

L'entrée des troupes françaises étend leur occupation dans les villes côtières. Comme ils ont commencé à rouler dans les régions internes, ont été choqué par les résistances de l'Emir Abdelkader dans Ouest et Ahmed Bey dans l'Est du pays, qui ont été en face d'eux durant une vingtaine d'années, et le sud de l'Algérie était alors loin de l'influence française.

Après l'élimination de ces deux résistances en 1847, l'autorité coloniale est dirigée vers les régions du sud, la résistance du Zaatcha en 1849 a été la première confrontation avec le peuple du sud, alors la résistance du Cherif Mohammed ben Abdullah, qui est la confrontation la plus grande et la plus importante avec la population du sud-est de l'Algérie.

Il semble que la région de Metlili Chaamba n'a pas prendre de retard dans cette lutte, sa population a poussé à résister à cette coloniale avant même qu'il atteigne ses forces à leur région, où participe leurs compatriotes dans la plupart des résistances et des révolutions au cours du XIXe siècle,

Malgré l'honorable histoire de cette région, mais elle n'est pas encore reçu une étude indépendante en évidence les manifestations de la population de résistance du colonialisme français, et pour cela, je l'ai vu d'étendre cette étude intitulée: **la résistance de la région de Metlili Chaamba au colonialisme français durant la période entre 1851 et 1908.**, de manière à accomplir Thèse de doctorat en histoire moderne et contemporaine.

### - La région de Metlili Chaamba:

Metlili Chaamba est l'une des anciennes communes algériennes, située dans le sud de l'Algérie sur un linéaire de 17 ° 32 de latitude nord et 41 ° 3 est, à partir du niveau de la mer est estimée à 525 m, a été sous la juridiction de Laghouat elle a devenue l'une des municipalités du Wilaya de Ghardaïa, qui se trouve sur une superficie estimée à 7300 km<sup>2</sup> dans le site est de 45 km à partir du siège de la Wilaya alors que loin de la capitale environ 650 km. Le nombre d'habitants en l'an 2008 à 40576 personnes. Distinguer un climat désertique, chaud et sec en été d'un peu de pluie et un hiver froid.

La plupart de la population de la région actuellement sont des Chaamba; ils sont des arabes descendus du Soulim ben Mansour, Les sources ont parlé que les Chaamba arrivait en Afrique du Nord au cours de l'immigration Hylalite dans la première moitié du Ve siècle de l'Hégire/ XIe siècle.

### **- Grand choix de sujet:**

Il y'a un certain nombre de raisons qui m'a fait choisir ce sujet de cette étude, y compris:

- Désir personnel; être d'origine de la région, pour mettre en évidence le rôle joué par la population de la région de Metlili Chaamba dans l'histoire contemporaine de l'Algérie.

- Mon désir de contribuer à écrire l'histoire de l'Algérie, en particulier les événements de résistances populaires connues dans la région.

- Essayer de remplir le vide laissé par l'abandon des études universitaires dans l'écriture de l'histoire de la région.

- Enrichir l'étude de bibliothèque historique algérienne sur la résistance à la colonisation française dans l'une des régions du sud de l'Algérie.

### **- Problématique:**

Le problème soulevé par cette étude est la recherche concerne répondre aux questions suivantes:

- Les habitants de la région de Metlili chaamba sont-ils résistés au colonialisme français?

- Quels sont les aspects de leurs contributions aux résistances populaires au cours du XIX<sup>e</sup> siècle?

- Quelle est la réaction du colonialisme à leurs résistances?

- Quelle est l'impact de leur résistance à l'expansion coloniale dans le sud?

**Résultats de l'étude:**

Et à l'issue de cette étude, j'ai conclu les résultats suivants:

- Les Chaamba Metlili sont résistés à la puissance coloniale française, même avant que ses troupes s'atteignent dans leur région, par la participation à la résistance de l'Emir Abdelkader et le soutien de Si Moussa Bouhmar Aldarquoui et l'engagement fermement à l'armée du cherif Mohammed ben Abdallah.
- La région de Metlili est entrée sous le régime virtuelle des Français pour la première fois en 1854, à cause de la loyauté à la famille des Ouled sidi Cheikh et leur chef Hamza ben Boubekker. L'occupation ne s'est pas arrangée administrativement jusqu'en 1953 dans la formation de la municipalité de Metlili.
- Les Ouled sidi Cheikh sont choisis la région de Metlili Chaamba pour déclencher sa révolution en 1864. Les Chaamba sont les instigateurs de Si Sliman sur la Révolution, et ils l'ont soutenu après avoir annoncé.
- La région de Metlili Chaamba a fait l'objet de plusieurs colonnes françaises, notamment la colonne massive menée par le colonel De Sonis le 10 janvier 1866, au cours de laquelle il a pris l'assaut sur la ville et commis des actes de sabotage et de représailles contre ses habitants.
- Malgré ces actes de vengeance françaises contre cette région, Les Chaamba de Metlili sont restés fidèles aux dirigeants de la révolution à travers toutes ses étapes, jusqu'à ce qu'ils se sont rendus et ils sont soumis aux Français le début des années quatre-vingt du XIXe siècle.
- Les Chaamba de Metlili se sont méfiés de Bouchoucha quand il est apparu pour la première fois en 1870 alors qu'il était seulement soutenu par certains d'entre eux, mais quand ils l'ont découvert et il s'est allié avec Si Zubir, ils l'ont tous soutenus..
- Les pères blancs ont réussi à établir le centre de Metlili en 1874, mais bientôt ils l'ont fermé après le massacre des trois pères, se sentant mal à l'aise et l'insécurité dans la région, et se méfiant de la loyauté des Chaamba de Metlili.
- Quant à la révolution Cheikh Bouamama, les Chaamba Metlili avait communiqué avec Bouamama avant d'annoncer la révolution, et

constituent la plus importante faction dans son armée. Et que leur contribution à la révolution Bouamama n'était pas seulement au combat, mais ils ont fourni la révolution avec des approvisionnements alimentaires, des abonnements et des œuvres de charité ... et d'autres.

- Ils ont continué à soutenir Bouamama même après son départ pour le Maroc en 1896, et ils ont continué à lancer des attaques sur des cibles françaises dans les zones frontalières entre le Maroc et l'Algérie, et même à la profondeur algérienne, à partir du territoire marocain..

- Après la mort de Bouamama en 1908, les autorités françaises autorisent à ceux qui restaient au Maroc ont été contraintes de retourner en Algérie, et l'obligent de s'installer dans la région de l'Erg occidentale.